حسن البنا

الذى لا يعرفه أحد

حلمى النمنم

مكتبة مدبولى

حسن البنا
الذي لا يعرفه أحد

تأليف

حلمي النمنم

الناشر
مكتبة مدبولي
2011

النمنم ، حلمي.
حسن البنا .. الذي لا يعرفه أحد / تأليف : حلمي النمنم.
ـ ط١. ـ القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠١١ م.
٢٦٤ ص ؛ ١٧× ٢٤ سم.
تدمك : 6 ـ 907 ـ 208 ـ 977 ـ 978
١ ـ الإخوان المسلمون
٢ ـ الإسلام - تراجم
٣ ـ البنا ، حسن ١٩٠٦م - ١٩٤٩م
أ ـ العنوان.
ديوى ٢١٧.٦
رقم الإيداع : ٢٤٦٨٥ - ٢٠١١م

مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٢٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤
الموقع الإلكتروني : www.madboulybooks.com
البريد الإلكتروني : Info@madboulybooks.com

الإخراج الداخلي : مكتب النصر - تليفون : ٠١١٤١٠١٣٣٢

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر.

المقـدمة

من بين رموز الحركة الإسلامية المعاصرة بقيت مشـاعرى محايـدة تجـاه الشـيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين. فلا أنا تعاطفت معه وأحببته مثل الإمام محمد عبده وغيره، ولا أنـا انتقدتـه أو هاجمتـه كـما فعلـت مـع بعضـهم. وفي نهايـة السبعينيات ومطلع الثمانينيات، حين كنت في مرحلة الطلب بالجامعة، كانت رسائل حسن البنا متوفرة، فقد كانت الجماعة الإسلامية منذ أن أتيح لأعضائها السيطرة على الاتحادات الطلابية، تنشر بميزانية الاتحاد أعمال البنا وسيد قطب وغيرهما بدلاً من أن توظف هذه الميزانية في الأنشطة والخدمات الطلابية، وحاولت أن أقرأ رسـائل البنـا، لكنها لم تستهوني. فلم أجد فيها حرارة أسلوب سيد قطب وصوته، ولا لمحت فيهـا جهد الباحث والعالم كما هي الحال في بعض أعمال الشـيخ محمد الغزالي التـي أتـيح لي قراءتها في ذلك الوقت، كنت أشعر أنه متعجل في الكتابة، وتفتقد كلماتـه إلى الضـبط المنهجي والعلمي. واستشهاداته بالآيات القرآنيـة لا تـنم عـن فهـم عميـق للقـرآن الكريم، وغالبـا تـأتي استشـهاداته في غير مواضـعها؛ لـذا تركتـه وتركـت أعمالـه، ولم أنشغل به.. ثم فرضت على الظروف أن أقرأ أعماله كلها، منتصـف التسـعينيات، حين كنت أعد كتابي عن سيد قطب وثورة يوليو.. ولم يكن هو الهدف، كنت أحاول التعرف على العالم الذي ألقى سيد قطب نفسه فيه، نهاية الأربعينيات، خاصة أن سيد قطب له مقالاً مطولاً عن حسن البنا، حمل عنوان «حسن البنا وعبقرية البناء».

وكنت ألاحظ حب الإخوان الذي يصل حد التقديس لمرشدهم حسن البنا. ومن يراجع سجل الإنتاج العلمي وأعمال الإخوان لن يجد أنهم أصدروا كتابًا يمكن الوقوف أمامه عن حياة وسيرة النبي محمد ﷺ ، ولا كتاباً ذا قيمة عن أبي بكر الصديق، أول الراشدين والذي لولاه لتبدد الإسلام بعد وفاة النبي، وهكذا الحال

بالنسبة إلى شخصيات عظيمة ومؤثرة فى تاريخ الإسلام كله، بينما أصدروا العديد من الكتب والدراسات عن حياة البنا وسيرته، ومنحوه صفات مذهلة يصعب أن تجتمع فى إنسان، وكانت بعض الآراء فيه والتصورات عنه تحمل قدرًا من الشطط.. فهناك كتاب صدر للأطفال الصغار عنوانه «حسن البنا.. منشئ الدعوة الإسلامية» ولو صح هذا، وهو غير صحيح، فماذا عن النبى محمد وماذا عن صحابته رضوان الله عليهم ؟!، ومع هذا كنت أفهم ذلك على أنه جزء من ظاهرة عامة، لدى الكثيرين فى مختلف التيارات الفكرية والسياسية، حيث يركز كل منها عن شخص أو رمز، جعلوه قبلتهم، وعادة ما ينتمى ذلك الشخص الرمز إلى مرحلة مضت، الوفديون تسمر وعيهم عند سعد زغلول وسنوات العشرينيات من القرن العشرين، الناصريون أو بعضهم فعلوا الشيء نفسه مع جمال عبد الناصر، وهكذا..

وفى كل مؤتمرات جماعة الإخوان المسلمين وندواتهم ومطبوعاتهم تجد صور حسن البنا وبعض كلمات له ولن تجد شيئًا من ذلك بالنسبة إلى من تلاه من مرشدى الجماعة، وللوهلة الأولى يبدو ذلك مستفزًا للمراقب من بعيد، لكن فى أدبيات الجماعة، فإن شخصية حسن البنا أو الإمام الشهيد تكاد أن تكون مقدسة، والغريب فى الأمر أنه لم يكن كذلك فى حياته، فقد اختلف معه بعض الإخوان وانشق عنه بعضهم، وهاجمه عدد منهم، وصل الأمر أن أحمد السكرى، الذى كان الرجل الثانى فى الجماعة وشريك حسن البنا في تأسيسها ورفيق عمر البنا اتهمه بالكذب وبأشياء أخرى، وطعن بعضهم فى ذمته المالية، واتهمه كل من انشق عن الجماعة بالتسلط والديكتاتورية، وأنه يتحدث عن الشورى لكنه لا يعملها بالمرة، أما بعد عودة الإخوان إلى النشاط فى السبعينيات فقد اجتهدوا فى تقديم مرشدهم الأول، فى صورة الإنسان المثالى، لن تسمع منهم أنه وقع فى هفوة أو ارتكب خطأ ولو صغيراً .. وهو أمر يصعب أن نجده فى تناول سيرة أى إنسان مهما كان، فلا يوجد إنسان مضت حياته بلا خطأ ارتكبه، حتى لو كان خطأ صغيرًا.. والحديث النبوى يقول: كل بنى

آدم خطاءٍ، حتى فى تناولنا لسير الأنبياء يصعب أن نجردهم مما هو إنسانى، ففى القرآن الكريم تجد عتاباً من الله سبحانه وتعالى للنبى محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين.. مثلاً قوله تعالى عن النبى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ١-٣]. وهناك تحذير فى القرآن الكريم لسيدنا موسى من أن يصبح جبارًا، وهكذا، لكن حسن البنا عند تابعيه غير ذلك. إنه الإنسان الكامل وأكاد أقول الأكمل. ومع ذلك لم يشغلنى هذا كثيرًا، هم وشأنهم.. ذلك لمرشدهم وهم أتباعه..

لكن فى نهاية عام ٢٠٠٨م كان لا بد من التركيز على حياة وشخصية حسن البنا، ففى ديسمبر من نفس السنة مر ستون عامًا على اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى، وكان النقراشى فى جيله واحداً من رموز الوطنية المصرية، شارك فى ثورة ١٩١٩م وأصدر الإنجليز بحقه حكمًا بالإعدام، ثم انشق عن الوفد مؤسسًا الحزب السعدى، بعد أن رأى هو وصديقه د. أحمد ماهر أن وفد النحاس باشا يبتعد عن مبادئ الوفد الأولى، خاصة فى القضية الوطنية، وقد قام الإخوان باغتياله فى ديسمبر ١٩٤٨م إثر إصداره قرارًا بحل الجماعة، وكان مرور ستين عامًا على اغتياله مدعاة إلى الحديث عنه، وإذا بعدد من كتاب جماعة الإخوان يكتبون أن النقراشى كان ذا ميول صهيونية، وهذا يعنى أنه ليس هناك من جانبهم أسف حقيقى على اغتياله، بل إنه طبقًا لذلك التوصيف يستحق الاغتيال، وكان ذلك مستفزًا بالفعل، كنت أتصور أن تكون المناسبة فرصة لنقد ذاتى تقوم به الجماعة لنفسها ولمسلكها فى مرحلة معينة، لكن إذا بهم يصرون على موقفهم، فلا قاموا بمراجعة ولا نقد ذاتى، بل تكريم - ضمنى - لمبدأ العنف وتصفية الخصوم جسديًا، ثم تصفيتهم معنويًا. فالنقراشى كان وطنيًا، وتخوينه أو تجريده من وطنيته وتكفيره أو تجريده من عقيدته، أخطر كثيراً من اغتياله بالرصاص، وهكذا وجدتنى أخوض فى شؤون الجماعة وتاريخها، خاصة تاريخ التنظيم الخاص الذى قام بعملية التصفية، وما ترتب عليها

من تصفية حسن البنا نفسه، باختصار دم بدم .. ورأس برأس أو رجل أمام رجل، كما هي قاعدة الثأر في الصعيد والريف المصرى، حتى يومنا هذا.

وجاءت العاصفة فى صيف ٢٠١٠م، حين أعلن أن السيناريست المتميز والكاتب النابه وحيد حامد يعد مسلسلاً تليفزيونياً يعرض خلال شهر رمضان المبارك عن «الجماعة»، يتناول فيه نشأة الجماعة والتركيز على دور وشخصية حسن البنا، ولم يكن تسرب شيء عن مضمون العمل وتفصيلاته، لكن هبت عاصفة جماعة الإخوان المسلمين على وحيد تفتش فى ضميره وفى نياته، وهاج وماج عدد من قيادات الجماعة يعترضون على تناول سيرة البنا فى مسلسل.

نعرف أن الأزهر الشريف يحول دون ظهور النبى محمد ﷺ أو أى من الأنبياء على الشاشة، فضلاً عن كبار الصحابة، ترى هل صار حسن البنا فى مقام الأنبياء والرسل والشخصيات التى لا يجوز ظهورها على الشاشة؟! وتبين أن الأمر ليس كذلك، هم يريدون كاتبًا مواليًا تامًا وتابعًا لهم، يصنع أسطورة على الشاشة ولا يقدم إنسانًا عاديًا..

كان بداخلى قلق من نوع آخر، ذلك أن معظم كتاب الدراما عندنا حين يقدمون سيرة ذاتية لأى من الشخصيات المؤثرة على الشاشة يقعون فى نمطية غريبة، يحاولون تحسين القبيح، وإخفاء الكثير من العيوب وإظهار الشخصية فى أكمل صورة، وبذلك تخرج الشخصيات مصمتة غالبًا، بلا نقاط ضعف وبلا أى خطأ، ونموذج ذلك مسلسل أم كلثوم ومسلسل عبد الحليم حافظ وغيرهما، وينتهى العمل إلى تكريس الصورة النمطية السائدة دون محاولة الوقوف على تفاصيلها، المهم انتظرت حتى بدأ عرض حلقات مسلسل الجماعة، ومن البداية كان أتباع الشيخ غاضبين، رغم أن وحيد فى الحلقات الأولى خلق أسطورة اسمها الطفل حسن البنا، كان غضبهم فيما يبدو من أن «البنا» بالنسبة إليهم ملكية تامة لا يجوز لغيرهم الاقتراب

منها، وكنت أنا غاضبًا، فقد جامل وحيد حسن البنا كثيرًا، وأخذ برؤية البنا - نفسه - عن طفولته، وهي رؤية مليئة إعجابًا بالذات، وتواصلت الحلقات، وفيما بعد قال وحيد فى لقاء تليفزيونى مع عمرو الليثى أنه أغمض عينيه عن أشياء كثيرة، وأنا أصدقه تمامًا، لكن لماذا فعل ذلك؟ هل الحملة التى شنت عليه فى البداية جعلته هو يتهم نفسه بعدم الإنصاف فآثر أن يغمض عينيه عن كثير من الوقائع السلبية فى حياة حسن البنا؟ هل تخوف لو ذكر تلك الوقائع وخاض فى تفاصيلها أن يتهم منهم؟ وهل وهل؟

وبينما كانت حلقات المسلسل تعرض كنت أنا أعاود بحث كتابات حسن البنا وأحداث حياته وحياة الناس الذين احتكوا به وتعاملوا معه، وتواصل البحث شهورًا بعد انتهاء المسلسل وكانت فصول هذا الكتاب.

هى إذن قراءة جديدة لحسن البنا ومحاولة للبحث عن الوجه الآخر له، ليس وجه الأسطورة التى صاغها الأتباع والدارسون من جانب، أو الخصوم والكارهين من جانب آخر، فكل منهم لديه أسطورة خاصة بحياة ومسيرة حسن البنا.. هو إنسان بقدرات خاصة ومكونات ثقافية محددة فى لحظة زمانية من تاريخ مصر.. مجتمعًا ودولة وتاريخًا.. لحظة متأزمة بالاستعمار الأوروبى والفقر والتأخر.

الغريب فى الأمر أن حسن البنا فى أيامه الأخيرة وحين ضاقت به السبل واكتشف خطأ الطريق الذى سار بالجماعة فيه وتمنى أن تعود به الأيام، بعد مائة أو مائتين من الشباب فى الدين ويفقهون الناس ويتجنب طريق السياسة و..، بينما أتباعه يصرون على الطريق الذي اعترف البنا بخطأ السير فيه.

الفصل الأول

صعوبة الكتابة عن حسن البنا

- **روايتان متناقضتان لواقعة واحدة فى حياة المرشد المؤسس.. هو من روى، فبأيهما نأخذ؟!**

يعانى كثيرًا من يحاول دراسة حياة وتطور مرشد جماعة الإخوان المسلمين (المؤسس) حسن البنا، ذلك أن المصدر الوحيد أمام الباحث، هو ما كتبه البنا نفسه عن نفسه، خاصة فى المراحل الأولى من حياته، فبعد أن أسس جماعته واشتبك فى العمل العام باتت هناك أطراف أخرى يمكن الاستعانة بها ومراجعتها للمعرفة، لكن قبل ذلك، حين كان حسن البنا طفلاً وشابًا مغمورًا يظل هو المصدر الأول، وأكاد أقول الأوحد عن نفسه، وقد دوّن هو ما أراد فى كتابه الذى يحمل عنوان «مذكرات الدعوة والداعية».

والمعروف علميًا أن الكتابة من الذاكرة، تجعل المرء ينسى وربما يتناسى أشياء، وتلعب حالته النفسية والعقلية دورًا فى عملية الكتابة، وحين أخذ حسن البنا يكتب مذكرات الدعوة والداعية، كان هو المرشد العام للجماعة وكان يخاطب بها جمهور الجماعة، وكذلك الجمهور الذى يود استقطابه نحو الجماعة؛ لذا نراه يكتبها وكأنه وُلد ليكون مرشدًا عامًا للجميع! وربما كانت ملاحظة شقيقه الأصغر جمال البنا مهمة هنا، إذ ذكر أن الدعوة تغلب على المذكرات وتزاحم الداعية، لنتذكر أن طه حسين حين كتب «الأيام» لم يتردد فى أن يقول لنا إنه وهو فى الكُتّاب كان «يرشو» العريف ليعفيه من قراءة أجزاء القرآن يوميًا، وأنه - هو نفسه - حين عهد إليه العريف القيام عنه بمهمته تلقى هو الآخر رشاوى من بعض الصبية، ولم يجد غضاضة فى أن يكتب

أنه عندما فشل في قراءة بعض سور القرآن حفظًا أمام والده، ذهب وضرب نفسه بالساطور. ولم يتردد في القول إنه في طفولته كان يكره عمه الذي كان يتهكم عليه بسبب فقدان بصره وإنه لم يكن يحب جده، فقد رآه ثقيل الظل. لكن في مذكرات البنا تشعر بأنه الإنسان الكامل.. لم يكذب مرة واحدة.. لم يخطئ مرة.. لم تصدر عنه هفوة ولو صغيرة في حياته، لم يمر بلحظة ضعف واحدة. وهذا يلقى بعبء ضخم على الباحث الذي يتناول حياته.

وزاد الأمر صعوبة بعد النهاية المؤسفة لحياته. فقد أضفت «هذه النهاية» حالة من القداسة عليه في نظر الذين عرفوه وتعاملوا معه.. حتى الذين اختلفوا بعد ذلك مع الجماعة وخرجوا عليها، راحوا يؤكدون إيمانهم بموهبة البنا، وأنهم خرجوا على الجماعة لأنها من بعده في ظل مرشدين آخرين خرجت عن خط المرشد العام المؤسس ولم تلتزم بتوجهه وروحه.. لذا كتبوا عنه أنه الإمام الشهيد.. الملهم الموهوب الرجل الرباني.. الرجل النوراني.. وغير ذلك من صفات قد لا يُمنح بعضها إلا للأنبياء وللمرسلين. لقد وجدنا في السيرة النبوية أن المحيطين برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا يختلفون معه أحيانًا فيما لم يرد فيه وحي.. واعترفوا بأن الرسول لم يكن معصومًا فيما هو خارج الوحي والتكليف الإلهي.. ونموذج ذلك ما جرى في غزوة أحد.. ونعرف أنه بعد إحدى الغزوات وقف الرسول يوزع الغنائم فقال له أحدهم: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، ونعرف كذلك من السيرة النبوية أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر بلحظات يأس شديدة (ربي إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي) وشعر بالإحباط في بعض المواقف، لكن شيئًا من هذا لن تجده في سيرة حسن البنا، هو في نظر نفسه وفي نظر جماعته «الإنسان الكامل» وقد يزيد عن ذلك عند بعضهم.

هذا كله يزيد عبء الباحث، خاصة أن الجماعة لا تتسامح مع أي انتقاد للمرشد المؤسس وتمارس ضغطًا معنويًا رهيبًا على من يحاول الاقتراب أو الكتابة عنه

بغير انبهار؛ لذا لم نجد تعاملاً علميًا حقًا مع حياة البنا إلى اليوم، إلا فى حالات نادرة. مثلاً هو يذكر أنه لم يكن قد أتم حفظ القرآن الكريم وهو فى سن الرابعة عشرة بمدينة المحمودية، وهى سن متأخرة ليتم الطفل حفظ القرآن الكريم فيها، ففى ذلك الوقت كانت السن النموذجية لحفظ القرآن هى التاسعة من العمر، إن كان الطفل متميزًا. وبعد ذلك بعامين للطفل العادي، أما ما دون ذلك فيعنى أن الطفل ليس مهتمًا بالحفظ أو ليس نابهًا، وبمعنى آخر قد يكون «لعبيًا»، أى يفضل اللعب عن المداومة على الحفظ، وربما كان «بليدًا» بالفعل، وهى درجة من درجات الكسل العقلي.. ترى ماذا كان عليه الطفل حسن، وما الذى أخره هكذا فى حفظ القرآن الكريم، حتى أنه حفظ ثلاثة أرباع القرآن فقط فى تلك السن؟ ألا ينفى ذلك عنه ما ذكره هو من اهتمامه البالغ بنشر التدين منذ الطفولة وتشكيل جمعية لإجبار الناس على ذلك؟!

نعرف أن حسن البنا الذى ولد سنة ١٩٠٦م، كان الابن «البكري» لوالديه، ومثل هذا الابن يكون ـ غالبًا ـ مدللاً فى طفولته، هو مناط بهجة الوالدين والأهل جميعًا، فهل كان حسن مدللاً فى طفولته، وهذا ما جعله يتأخر فى حفظ القرآن الكريم، عن مناظريه من أبناء جيله. طه حسين، الذى ولد فى نوفمبر ١٨٨٩م وفى سنة ١٩٠٠م كان قد أتم حفظ القرآن الكريم، رغم أنه كان ضريرًا، وكانت ظروفه بالكُتاب تعسة للغاية.. فما بالنا بمن لم يكن كذلك؟! عمومًا هو يحدثنا عن تلك التجربة بأنه كان فى «كُتاب» الشيخ محمد زهران أو ما يسميه هو «مدرسة الرشاد»، وأنه قضى بها أربع سنوات من الثامنة وحتى الثانية عشرة، ثم ترك الشيخ المدرسة وانشغل بأمور أخرى، لكنه عهد بها إلى غيره من «العرفاء»، فلم ينسجم معهم؛ ولذا قرر أن يترك هذه المدرسة، رغم أنه كان قد وصل فى الحفظ إلى سورة الإسراء فقط، أى نصف القرآن الكريم تقريبًا، مما أثار حزن والده، لكنه تعهد له أن يتم الحفظ مع نفسه وفى المنزل!! والواقع أن أربع سنوات كانت كافية جدًا للطفل لكى يتعلم حروف الهجاء نطقًا وكتابة ثم ينطلق إلى كتاب الله حفظًا، وتكون القدرة على الحفظ

كبيرة فى السن الصغيرة، نشعر فى رواية حسن البنا بأن هناك شيئًا غامضًا أو غير واضح، هو يوجز بشدة ولا يقول كل شيء.. فحتى التحاقه بمدرسة المعلمين بدمنهور لم يكن قد أتم حفظ القرآن الكريم، رغم أنه كان قد تجاوز الرابعة عشرة من عمره بنصف عام.

يذكر البنا أنه ترك الكتاب والتحق بالمدرسة الإعدادية، كان ذلك وعمره ١٢ عامًا، أى نحو سنة ١٩١٨م، ونعرف من تاريخ التعليم أن نظام الإعدادية أدخل فى التعليم بعد ثورة ١٩٥٢م، على عهد الوزير كمال الدين حسين، أما قبلها فكانت هناك المدارس الإلزامية والابتدائية ثم الثانوية وبعدها التوجيهية، صحيح أنه يستدرك ويقول: «والمدرسة الإعدادية - حينذاك - على غرار المدرسة الابتدائية اليوم بحذف اللغة الأجنبية وإضافة بعض مواد القوانين العقارية والمالية وطرف من فلاحة البساتين، مع التوسع نوعًا فى دراسة علوم اللغة الوطنية والدين»، ويكرر بعد ذلك أن «الغلام» كان طالبًا بالمدرسة الإعدادية، هو هنا يتحدث عن نفسه، ونلاحظ أن مواصفات المدرسة التى يتحدث عنها تنطبق على المدرسة الإلزامية، فلماذا ذكر الإعدادية، ولم يذكر الإلزامية؟ كان المعروف أن المدارس الإلزامية للتلاميذ الفقراء، وكانت - على الأغلب - بلا مصاريف، أما المدارس الابتدائية التى كان يتعلم بها الطفل اللغة الإنجليزية والحساب فكانت بالمصاريف، وكان معروفًا أن المدرسة الإلزامية تقدم تعليمًا محدودًا، يتيح لمن يتخرج فيها أن يعمل موظفًا بسيطًا أو عاملاً، ومن الناحية الاجتماعية كان التعليم بحق فى الأزهر أو فى المدارس الابتدائية، وهو كانت لديه عقبة فى الذهاب إلى الأزهر، وهى أنه لم يتم حفظ القرآن الكريم، أما الابتدائية فتحتاج مصاريف، ونعرف أن والده كان فقيرًا وكان كثير الإنجاب، ترى هل وجد المرشد العام وهو يكتب سنة ١٩٤٣م عن نفسه أنه لو ذكر حقيقة المدرسة الإلزامية فإن ذلك يحط من قدره ومن قيمته؟ وهل أراد أن يتهرب من تلك الحقيقة، فاخترع مقولة المدرسة الإعدادية؟! الطريف أنه فيما بعد وهو فى «دار العلوم»

يتحدث عن أخيه عبدالرحمن الذى أنهى الدراسة بالمدرسة الابتدائية، وكان عليه أن ينتقل إلى القاهرة ليدرس الثانوية، دون ذكر لحكاية الإعدادية.

ومن الوقائع التى ترد فى مذكرات الدعوة والداعية، ما يتعلق بالبعثة إلى الخارج فيقول «وقد وجدت عند بعض الإخوان الكرام فكرة التقدم بطلب الترشيح للبعثة إلى الخارج باعتبار أن ذلك من حق الأول فى الدبلوم دائمًا». ويذكر أنه كان مترددًا، لكن حسم الأمر بطريقة أخرى تتلخص فى أن «دار العلوم لم ترشح لهذا العام أحدًا».

لكن نجد رواية مغايرة لدى د. إبراهيم بيومى مدكور فى مذكراته «مع الأيام».. ومنها نستنتج أن حسن البنا لم يكن أول دفعته فى الدبلوم كما يذكر، بل كان د. مدكور متقدمًا عليه، يقولها د. مدكور بأسلوب بالغ التهذيب «لقد عرفت فى مدرسة دار العلوم زملاء جددًا ممن مروا بالتجهيزية، واشترك بعضهم معى فى فرقة واحدة. ومنهم حسن البنا الذى كان ينافسنى فى الدرس والتحصيل». أى أنه كان ينافسه، والمعنى أن مدكور كان هو المتفوق، ولا نعرف أن دار العلوم كانت ترسل الأول فى الدبلوم إلى الخارج فى بعثة، وفى العام التالى للتخرج رشح مدكور فى «بعثة أميرية» إلى لندن، وحالت الظروف السياسية دون سفره، فقد كان والده وفديًا ولم تكن الحكومة وقتها وفدية، وضغط على والده كى يترك الوفد وإلا ألغيت بعثة ابنه، وألغيت بالفعل.. أى أنه طبقًا لما ورد فى مذكرات د. مدكور التى صدرت سنة ١٩٩٠م لم يكن الشيخ حسن البنا هو الأول على الدبلوم ولم يكن مطروحًا سفره إلى بعثة تعليمية بالخارج.

هذا التباين فى الروايتين، يجعلنا – على الأقل – نتعامل بحذر وتشكك علمى فيما جاء بمذكرات الدعوة والداعية..

وهناك واقعة أخرى ترد فى مذكرات الدعوة والداعية، تفرض علينا – مجددًا - التعامل مع المذكرات بحذر علمي، فهى - كما ذكرت من قبل - مكتوبة لجمهور التابعين والمبهورين ومقصود بها تضخيم الذات.

الواقعة تتعلق بزيارة على بك الكيلانى ـ مراقب التعليم الابتدائى بالإسماعيلية ـ وتوجهه إلى المدرسة التى كان يعمل بها حسن البنا مدرسًا للخط العربي، طبقًا لما ورد فى المذكرات فإن شكوى وصلت إلى إسماعيل صدقى (باشا) رئيس الوزراء من الإسماعيلية ضد حسن أفندى البنا، تتهمه بالشيوعية، وكان صدقى باشا جادًا فى محاربة الشيوعية، فأحال الشكوى إلى وزير المعارف العمومية، ومن مسؤول إلى آخر بالوزارة، حتى انتهت إلى مراقب التعليم الابتدائى الذى كان عليه أن يحقق فيها بنفسه، فذهب إلى المدرسة وقابل البنا وقال له بالحرف الواحد: «جئت لأزورك زيارة شخصية فلا تعتبرها زيارة تفتيشية أو رسميات ولكن جئت لرؤيتك فقط، فشكرت له ذلك، وانتهزتها فرصة وقلت له: ذلك جميل يا سيدى ومن حقى عليك إتمامًا للزيارة وردًا للجميل أن تزور بناء المسجد والمدرسة لترى بنفسك أثرًا من آثار هذه الدعوة والجماعة، فوعد بذلك آخر النهار.. وتمت الزيارة فى الليلة نفسها واستمع إلى خطباء الإخوان، وقال كما يروى البنا فى المذكرات: «عجيب، هذه أعجب مدرسة رأيتها»، ولم يتمالك نفسه بعد نهاية الخطب أن قام فتناول وسامًا من أوسمة الإخوان، وكان شارة الإخوان إذ ذاك وسامًا من الجوخ الأخضر كتب عليه الإخوان المسلمون، فلبسه وأعلن انضمامه إلى الجماعة وحيا المجتمعين بكلمات طيبات».

ولدينا رواية أخرى لزيارة على بك الكيلاني، يرويها حسن البنا بنفسه، فى رسالة بعث بها إلى والده، وقد نشر هذه الرسالة جمال البنا فى كتابه «خطابات من البنا الشاب إلى أبيه»، والرسالة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٤٩ هـ / مارس ١٩٣١م، تبدأ الرسالة هكذا:

«سيدى الوالد المحبوب..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فلعلكم جميعًا بخير ما أحب لكم هناءة وغبطة.. عندى بشرتان أقولها لكم مشفوعتين بحمد الله وشكره.. الأولى: إننا تسلمنا بقية المبلغ وهو ٣٠٠ جنيه من الشركة» والمقصود هنا مبلغ التبرع من شركة قناة

السويس، ولا نعرف هل هو بقية مبلغ الخمسمائة جنيه التى كانت تبرعًا لبناء المسجد، أم أنها تبرع آخر، خاصة أن مبلغ الخمسمائة جنيه كان المرشد اعتبره «دفعة أولى» أو بداية لتبرعات أخرى تمناها، ما يعنينا فى هذا السياق، البشرى الثانية، لأنها تتعلق بزيارة على بك الكيلاني، يقول لوالده فى الخطاب: «إن سعادة مراقب التعليم الابتدائى على بك الكيلانى زار الإسماعيلية، وزار المدرسة وكان له بها حفل تكريم حضره الأعيان والموظفون، وكنت خطيب القوم، فسر الرجل سرورًا جمًا تضاعف بزيارته لى فى الفصل، بما رأى من نظام ونشاط»، ويقول أيضًا: «ثم إنه زار فى الليلة التالية المسجد ومدرسة التهذيب ومعه المأمور والمعاون ووكيل النيابة والناظر والمدرسون، فدهش لما رآه من نظام الجمعية والمسجد والمدرسة، ووقع فى دفتر الزيارة ثم انتقل هو والمدعوون إلى بوفيه شاى وتناول الشاى فى حفل عظيم، وخطب الإخوان خطبًا وقصائد فى الترحيب به، فزاده كل ذلك وقام محييًا الجمعية والإخوان».

نحن ـ هنا ـ بإزاء رواية مغايرة تمامًا، زيارة «البك» كما فى الخطاب، لم تكن للتحقيق ولا للمساءلة ولا لإبداء الإعجاب بالمدرس، الزيارة كانت للإسماعيلية وللمدرسة وكانت هناك حفلة لتكريمه معدة سلفًا، وزيارته للفصل كانت بعد أن استمع إلى خطبة ألقاها المدرس، أى أنها لم تكن واردة من قبل، ولا أنها زيارة للتحقيق وللمساءلة، ولو كانت للتحقيق لم يكن ليصحبه فيها الأعيان وكبار الموظفين.. ولو كانت زيارة للمساءلة لوقع أوراقًا أو كتب نتيجة التحقيق أو اتخذ أى قرار أو ترك وصية للناظر، ولنقل تعليمات إليه، لكن كما هو واضح من الخطاب أنها زيارة تكريمية معدة سلفًا، للمراقب العام، وأن البك خطط من قبل لزيارة المدينة والمدرسة ولم تكن «زيارة مفاجئة»، ولم يرد فى الخطاب أن البك بادر بالانضمام إلى الجماعة، ولا إنه تناول شارة الجماعة وارتداها تلقائيًا.. كما ذكر البنا فى المذكرات.. ويعقب جمال البنا بعد نشر الخطاب بالقول: «وقد أصبح الأستاذ على الكيلانى بعد ذلك من الإخوان» وبالتأكيد لو أن البك انضم إلى الجماعة وهو فى الإسماعيلية لأخبر

حسن البنا والده فى خطابه، فلم يكن يخفى عنه شيئًا.. وكان يتفاخر فى رسائله إليه بما يحققه وينجزه، والآن.. ونحن بإزاء روايتين لواقعة واحدة، بينهما تباين كبير واختلاف شديد، والراوى فى الحالتين هو حسن البنا.. فأى الروايتين نأخذ وأيهما نستبعد؟ المعنى المهم هو أننا فى تأريخنا ودراستنا لحياة ومسيرة حسن البنا، نقع أسرى أحادية المصدر - غالبًا - وهذا المصدر هو حسن البنا نفسه.. ومن أسف أن بقية خطابات حسن البنا وأوراقه الخاصة فى حوزة نجله إلى الآن، ولم يتح لأحد الاطلاع عليها ولا هو نشرها، هكذا قال جمال البنا فى كتابه «خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه».

المذكرات تمتلئ إعجابًا بالذات، بل امتنانًا، والغريب أن الجميع أخذوا كل ما بها باعتباره حقيقة لا تقبل أى شك أو حتى مساءلة، مثلاً يحكى البنا حين ذهب إلى الإسماعيلية وأخذ يلقى الدروس بالمقاهى فيقول عن نفسه: «كان المدرس دقيقًا فى أسلوبه الفريد الجديد، فهو يتحرى الموضوع الذى سيتحدث فيه جيدًا (...) وهو كذلك يتحرى الأسلوب فيجعله سهلاً جذابًا مشوقًا».. ألم يكن الأجدى أن يترك للآخرين أو لجمهوره والمستمعين إليه أو من يتابعونه أن يطلقوا عليه هذه الصفات؟! وفى سياق آخر، يتحدث عما قام به تجاه أهالى الإسماعيلية أو بعضهم، ولنتذكر أنهم مسلمون موحدون، يقول: «سلك بهم المدرس مسلكًا عمليًا بحتًا، إنه لم يعمد إلى العبارات يلقيها أو إلى الأحكام المجردة يرددها، ولكن أخذهم إلى الحنفيات توًا، وصفهم صفًا ووقف فيهم موقف المرشد إلى الأعمال عملاً عملاً، حتى أتموا وضوءهم ثم دعا غيرهم، ثم غيرهم، وهكذا أصبح الجميع يتقنون الوضوء عملاً».

ترى هل مطلوب منا أن نصدق ونقتنع بأن مواطنين مسلمين يعيشون فى بلد مسلم بحاجة وهم فى سن متأخرة إلى من يعلمهم الوضوء أو إتقان الوضوء؟!

ويحاول أن يمنح نفسه صفات أخرى، مثلاً حين كان يتهيأ لامتحان التقدم إلى دار العلوم، وكان قلقًا بشدة من امتحان النحو والصرف، فلم يكن درسه دراسة منتظمة، صحيح أنه حفظ ألفية ابن مالك، لكنه قلق، فهو لا يجيد قواعد النحو، ولنتأمل كيف تجاوز هذه العقبة. يقول في مذكراته، إنه ليلة الامتحان نام، ورأى رؤية خاصة حلت له المشكلة: «رأيت فيما يرى النائم أنني أركب زورقًا لطيفًا مع بعض العلماء الفضلاء والأجلاء يسير بنا الهوينى في نسيم ورخاء على صفحة النيل الجميلة، فتقدم أحد هؤلاء الفضلاء، وكان في زي علماء الصعيد، وقال لي: أين شرح الألفية لابن عقيل؟ فقلت: ها هو ذا، فقال لي: تعال نراجع فيه بعض الموضوعات، هات صفحة كذا، وصفحة كذا، لصفحات عينها، وأخذت أراجع موضوعاتها حتى استيقظت منشرحًا مسرورًا، وفي الصباح جاء الكثير من الأسئلة حول هذه الموضوعات»، ثم ظهرت النتيجة ونجح! ترى أي معنى يصل إلى القارئ هنا، خاصة إذا كان تلميذًا أو دارسًا؟! أليس في ذلك دعوة إلى إهمال العمل، أي المذاكرة، وأن رؤيا في المنام سوف تقوم عنه بكل شيء؟! ولن نذهب – هنا – إلى ما يقوله علماء التحليل النفسي عن مثل هذا النوع من الأحلام والرؤى.

في المذكرات نجد ما يمكن أن يعد خفة أو استسهالاً في استعمال الآيات القرآنية الكريمة.. من ذلك ما يرد حول شراء الأرض لبناء مسجد للجماعة بالإسماعيلية، والذي حدث أنه وجد قطعة من الأرض وأعلنت الجماعة أنها سوف تشتريها أو تقبل التبرع، كانت القطعة ملك الحاج على عبد الكريم ويصفه بأنه «كان صالحًا يحب الخير»؛ لذا تبرع بقطعة الأرض وكتبوا معه عقدًا ابتدائيًا بالتنازل عنها، ولكن «أخذت عقارب الحسد والضغينة تدب في نفوس ذوي الأغراض» وما أن علموا بأن الشيخ على عبد الكريم تنازل عن قطعة الأرض حتى ضيقوا عليه الخناق وملؤوا نفسه بالوشايات والدسائس.. (...) فكانت فتنة انتهت بأن سلمته ورقة التنازل عن طيب خاطر..»، ووجدوا قطعة أرض اشتروها ودفعوا ثمنها. نحن إذن بإزاء رجل

تبرع ثم قرر التراجع أو لعله طلب ثمنًا لها، وهذا وارد وربما كان متوقعًا، ويستعرض البنا ما قيل عنهم إبان تلك الأزمة: «راحوا يصورون الدعوة والداعية للناس بصور شتى: فهم تارة يدعون إلى مذهب خامس وهم أحيانًا شباب طائش لا يحسن عملاً ولا يؤمن على مشروع، وهم أحيانًا نفعيون مختلسون يأكلون أموال الناس بالباطل وهكذا..» ولو كان الأمر كذلك لما وجدوا من يبيعهم قطعة أرض أخرى ولوجدوا معارضة فى بناء المسجد، المسألة ببساطة - كما هو واضح - أن المتبرع لم يقتنع وسحب تبرعه، لكن المرشد العام لا يضعها فى هذا السياق، فحين راح يرويها فى مذكراته بدأ الحديث عنها هكذا «ولكن دعوة الحق فى كل زمان ومكان لا بد أن تجد لها من المعارضين والمناوئين من يقف فى طريقها، ويعمل على معاكستها وإحباطها، ولكن النصر لها فى النهاية، سنة الله ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾[فاطر: ٤٣]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[الفرقان: ٣١] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[الأنعام: ١١٢] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الحج: ٥٢]».

هذه الاستشهادات القرآنية استشهد بها المرشد المؤسس فى واقعة سحب المتبرع تبرعه.. ومعنى هذا الاستشهاد أنه يضع نفسه فى مصاف الأنبياء الذين نزل فيهم قول الله تعالى فى الآيات السابقة.. وأن الذين يعترضون على دعوته وجماعته هم من المجرمين ومن الشياطين.. والواقع أن هذا استسهال بالغ، فلا هو فى مكانة الأنبياء ولا خصومه من الشياطين وليسوا مجرمين، والاستشهاد والقياس خاطئ تمامًا، لكن خطورة هذا الخطاب أنه انزلق منه إلى أتباعه وإلى غيرهم، فصارت آيات القرآن

الكريم تُستعمل فى غير سياقها، ويضفى البعض على نفسه هالة من القداسة ويتم شيطنة المخالفين لهم ومن ثم تكفيرهم، وما يحدث بعد ذلك، فى حق هؤلاء المخالفين، يكون مجرد نتيجة فقط.

هذه الصورة شبه المقدسة التى يرسمها المرشد لنفسه فى مذكراته، تفتقد إلى التضاريس الإنسانية البسيطة من غضب وفرح.. حب وكره.. انفعال وفتور وغير ذلك، مما يصاب به البشر أجمعون، كبيرهم وصغيرهم، وهى صورة ليست حقيقية، الصورة الحقيقية نجد شيئًا منها فى بعض الرسائل التى بعث بها المرشد المؤسس إلى والده، فور وصوله الإسماعيلية، ونشرها جمال البنا، واحدة من هذه الرسائل كان يتحدث فيها عن مصاريفه الخاصة لمدة ثلاثة أشهر، وضع مفردات الإنفاق، ويبدو أن والده كان غاضبًا منه ووالدته كذلك؛ لأنه كان من المفترض أن يرسل إليهما مبلغًا من راتبه الشهري، ولم يتمكن من الوفاء بذلك، ويتوقع جمال البنا أن تكون الرسالة قد كُتبت فى أواخر سنة ١٩٢٨م أو بداية سنة ١٩٢٩م، يفيدنا هنا منها بعض الجمل مثل «وعلى كل حال الذى يهمنى راحتكم مهما كلفنى ذلك، وسأفصل لكم فى هذا الخطاب حساب ثلاثة أشهر مضت هى نوفمبر وسبتمبر وأكتوبر، أى منذ فارقتكم لتعلموا أنه ليس فى تصرفى شيء من الإسراف ولا الخفاء ولا الاستبداد برأيي، وإنما أنا مساق بقوة الظروف التى لا تُغلب، وإذا كانت ظروف هكذا فما ذنبى أنا».

وكان بين مصاريفه مبلغ خمسين قرشًا كتب أمامها عبارة «المسجد الراشدين»، ويقول للوالد عنها: «وإن كان يؤلمكم الخمسون قرشًا التى دفعت فى المسجد فقدروا الظروف التى تورطت فيها لدفعها وقدروا أجرها»، والواضح أنه كان قد تبرع بها، ويقول له كذلك :«ذلك يا سيدى حساب ثلاثة أشهر أتقدم إليكم أدق من الشعرة، فإن كان لا يروقكم فما ذنبى أنا فلتسألوا الله أن يحور هذه الظروف».

فى هذه الرسالة نحن أمام إنسان حي.. من دم ولحم، لديه أزمة اقتصادية خانقة حتى إنه يقول: «واقترضت من مال الجمعية جنيهًا آخر وهى تمام المنصرف»، وسبب

هذه الأزمة بعلنه لوالده وهو يقدم له قائمة المصاريف: «لست أغشكم أو أكذب في هذا» ويقول في رسالة أخرى لوالده بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٢٨م: «أنا الآن لا أسهر في الخارج قطعيًا، وفقط سأجعل ليلتين في الأسبوع أدرس فيهما بعد العشاء في مسجدين»، والواضح أنه كان كثير السهر وأن والده لم يكن مستريحًا لذلك، أو لعله أنبه على طول السهر خارج البيت، لكن هذه الصورة الإنسانية جرى طمسها، والمرشد نفسه هو من طمسها في المذكرات، فقد قدم صورته الأسطورية أو الربانية التي يريدها في مذكراته، وباتت هي الصورة الوحيدة والأحادية له.. لذا نعيد التساؤل من جديد: هل تصلح هذه المذكرات وحدها لتقديم صورة المرشد المؤسس حسن البنا؟ والإجابة القاطعة هي النفي.. لكن واقع الحال يقول إنه المصدر الوحيد المتاح والمعتمد والمسلَّم به لذلك.

الفصل الثاني

متى تأسست «جمعية» الإخوان؟

أول لائحة تستبعد السياسة نهائيًا، وفى الثانية صارت السياسة الأصل

لا تقف الصعوبة المنهجية والعلمية عند تناول حياة حسن البنا وحده، خاصة فى مراحله الأولى، لكنها تمتد إلى قيام جماعة الإخوان وتأسيسها، هذه أيضًا مصدرنا الأساسى فيها هو حسن البنا نفسه، وما ذكره فى مذكراته، ولن أعيد – هنا- روايته، فهى معروفة، لكن تحوط هذه الروايات العديد من الإشكاليات .. هل تم الأمر بالسهولة والبساطة التى تحدث بها البنا، مجموعة من المسلمين ذهبوا إليه، يطرقون بابه، ويطلبون إليه أن يقودهم، فيطلب منهم هو البيعة فيقدمونها؟! هل ذهب حسن البنا إلى الإسماعيلية، وهو لم يختر المدينة، ولا كان يعرفها، وفى ذهنه مشروعه الخاص، أم أنه كان متأثرًا بتجربته أو عضويته فى جمعية الشبان المسلمين، وأراد أن يؤسس شيئًا على غرارها.. أم كان لديه متسع من الوقت فى تلك المدينة الجميلة، وأراد أن يشغل فراغه، فقرر أن يقوم بما حاول وتمنى القيام به فى القاهرة أو ما قام به – من قبل – فى مدينته الأولى المحمودية وهو طفل وصبى؟!

واحدة من المصاعب تتعلق كذلك بتاريخ تأسيس الجماعة، نحن اليوم، نعرف تاريخ تأسيس حزب الوفد، خطوة.. خطوة، يومًا بيوم، ليس حزب الوفد فقط، بل غيره من الأحزاب سواء منها فى التجربة الأولى، زمن مصطفى كامل والشيخ على يوسف، فى مطلع القرن العشرين.. أو فى التجربة الحزبية الثانية بعد ثورة ١٩١٩م،

ونعرف كذلك تواريخ تأسيس الأحزاب فى التجربة الثالثة، التى بدأت فى العام ١٩٧٦م وما زلنا نعايشها إلى اليوم.

نعرف كذلك تفاصيل تأسيس الجمعيات الأهلية الأخرى، سواء منها ما يختص بالعمل الخيرى والإنسانى أو العمل العلمى والثقافى، مثل الجمعية الجغرافية المصرية (سنة ١٨٧٥م) وجيعة الاقتصاد والتشريع (١٩١٠م)، وهكذا فى بقية الجمعيات .. كما أننا نعرف بالتدقيق تاريخ وقصة تأسيس جمعية الشبان المسلمين، ومن وقف خلفها .. لكن فى حالة الإخوان المسلمين، لا تتوافر لدينا مثل هذه التفصيلات والمعلومات الدقيقة، ومصدرنا الأساسى عنها هو حسن البنا، الذى باتت روايته المصدر الوحيد والمعتمد.

★★★

السائد بيننا أن حسن البنا أسس جماعته سنة ١٩٢٨م، أى بعد شهور من تعيينه مدرسًا للخط العربى بإحدى المدارس بمدينة الإسماعيلية، لكن الوثائق التى نشرها شقيقه جمال البنا، تجعلنا نتشكك فى ذلك التاريخ، فهناك دراسة أو مذكرة أعدها البنا وأحمد السكرى وحامد عسكرية سنة ١٣٤٨هجرية، بعنوان «مذكرة فى التعليم الدينى» وهذه السنة يقابلها عام ١٩٢٩ ميلادية، ونجد أن توقيعات البنا وزميليه ليس فيها أى شيء عن الجماعة، بل جاءت التوقيعات هكذا«حسن أحمد البنا.. مدرس بمدرسة الإسماعيلية الأميرية الابتدائية، «أحمد محمد السكرى سكرتير مدرسة الأمير عمر طوسون الابتدائية التابعة لمجلس مديرية البحيرة» حامد عبده عسكرية واعظ منطقة القناة..، أما ديباجة المذكرة فهى غاية فى المسالمة والتوادد للجميع فى مصر، إذ تقول «لم نر بدًا من تقديم هذه الكلمة المفصلة إلى جلالة مليكنا المفدى وإلى سمو أمرائنا المحبوبين وإلى معالى وزرائنا المصلحين وإلى مجلس نوابنا وشيوخنا الموقرين الغيورين على مصلحة أمة ترى فيهم معقد آمالها ورمز أمانيها.. وإلى رجال الأزهر الشريف ووزارة المعارف الذين بيدهم ثقافة الشعب وتربية

الأمة». الخطاب هنا موجه إلى كل مستويات الدولة المصرية، وخاطبوا كلاً منهم بما يحبه ويتمناه، فالوزراء مصلحون والأمراء محبوبون ورجال البرلمان موقرون وغيورون على مصلحة الأمة، وفوق هؤلاء جميعًا «مليكنا المفدى»(١) .. صاحب الجلالة الملك فؤاد الذى كان يراه كثير من المصريين، وقتها مستبدًا وطاغية، هو كان كذلك بالفعل.

ترى هل كانت هذه المذكرة والتفكير حولها تمهيدًا لما انتهى إليه هؤلاء من تأسيس الجماعة، وأن تلك المذكرة وفترتها كانت بداية اللقاء والتدارس فى الأمر والشأن العام وهو ما انتهى بهم إلى تأسيس الجماعة؟ وبذلك لا يمكن أن نعتمد عام ١٩٢٨م ميلادًا لها، فلو كانت الجماعة تأسست بالفعل لحرص مؤسسها وزميلاه على أن يرفعوا المذكرة مذيلة باسم الجماعة، ففى ذلك إعلان عنها ورفع لاسمها أو على الأقل لذكروها بأى طريقة فى المذكرة، أمام من يمكن أن تقع فى يده هذه المذكرة من المسؤولين، فضلاً عمن يمكنه أن يطالعها من الجمهور والمهتمين بهذه القضية. ولو كانت الجماعة أسست لحرص ثلاثتهم على أن يذكروا إن مذكرتهم تعبر عن الجماعة، أى ليست تعبر عنهم وحدهم، بل معهم فئة وجمهور آخر، وهذا يدعم منها ويقوى صوتها وصوتهم.. أم أن الجماعة كانت أسست - فعليًا - ولم تنل موافقة الجهات الرسمية عليها، ومن ثم فقد قدم البنا مذكرته أو أعلنها تطمينًا للجهات الرسمية وإثباتًا بأنه ليس من ورائهم أى هدف سياسى، فهم أناس مخلصون وغيورون على دينهم ومحبون للمليك وللأمراء وللوزراء، وربما للخفراء أيضًا. خاصة أن مؤسسى الجماعة كانوا مواطنين عاديين، لم يكن من بينهم «بك» ولا شخصيات عامة، كما كان الحال بالنسبة إلى جمعية شبان المسلمين التى تأسست سنة ١٩٢٧م، لكن يضعف من هذا الاستنتاج أن الجمعيات الدينية والخيرية وقتها كانت تجد الموافقة الفورية، فى تلك الفترة كان هناك حوالى ١٢٠ جمعية دينية.

---

(١) راجع: جمال البنا. من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة، الجزء الأول، ٢٠٠٩م.

أيًا كان الأمر، ففى زمن الملك فؤاد كان هناك ترحيب بهذا اللون من الجمعيات لأسباب عامة تتعلق بالرغبة فى مقاومة جمعيات التبشير الأجنبية التى انتشرت، وربما حرصًا على نشر الفضائل، وكان هناك سبب يتعلق بالملك. فالملك فؤاد منذ إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م كان يحلم بأن تنتقل إليه الخلافة، وكان يحاول أن يبدو مدافعًا عن الإسلام وعاملاً على إحياء تقاليده.

حسن البنا ظل يتحدث عن الجماعة باعتبار أنها تأسست سنة ١٩٢٨م، وتبعه فى ذلك كتاب الجماعة ومعظم المؤرخين لها، لكن هناك وجهة نظر أخرى تقوم على أن الجماعة تأسست فى العام التالى، أى سنة ١٩٢٩م، عام الأزمة الاقتصادية العالمية، وأصحاب هذا الرأى يؤسسون موقفهم على أن البنا لم يكن ممكنًا أن يؤسس «جمعيته» فور وصوله إلى الإسماعيلية، طارئًا عليها وغريبًا، لكن إذا اتخذنا اللائحة الأولى، وهى وثيقة رسمية، معيارًا للتأسيس فإن «جمعية الإخوان المسلمين» تأسست سنة ١٩٣٠م وليس قبل ذلك بعامين كما هو سائد، ولا قبلها بعام كما يذهب بعض الدارسين الغربيين خاصة؛ ولأن الجمعية كانت مغمورة ومؤسسها كذلك، فلن نجد أى خبر فى الصحف عنها لحظة التأسيس، ولو أن هناك خبرًا بهذا المعنى لحسم لنا تاريخ التأسيس. وهكذا طبقًا للائحة المتاحة فإن الجماعة رأت النور فى العام ١٩٣٠م.

★ ★ ★

اللائحة الأولى تتحدث عن جمعية الإخوان وليس جماعة، لا ترد فيها نهائيًا كلمة جماعة، لذلك ليس هناك حديث عن مرشد عام ومكتب إرشاد، لكن رئيس مجلس إدارة ومجلس إدارة، وتنص اللائحة بوضوح على ابتعادها التام عن السياسة، إذ تنص المادة الثانية على أن «هذه الجمعية لا تتعرض للشئون السياسية، أيًا كانت ولا للخلافات الدينية ولا صلة لها بفريق معين للإسلام والمسلمين فى كل مكان وزمان»

هذه المادة من الناحية العملية تعد المادة الأولى، إذ أن الأولى فى اللائحة هى ديباجة الجماعة، والمادة الثالثة تتحدث عن أغراض الجمعية وهى إصلاح حال المسلمين فى فروع حياتهم الاجتماعية والخليقية.. «هذه كل الأغراض، ويتم تحديد وسائل تحقيق هذه الأغراض، ومنها مقاومة الأمية وتعليم القرآن، ثم «الدفاع عن الإسلام فى حدود القانون» وهذا معناه الالتزام بالقوانين القائمة واحترامها.. ويتأكد البعد عن السياسة، فى المادة ١٥ وهى ضمن الباب الرابع المتعلق بالجمعية العمومية، ويرد فيها «يفتتح الرئيس الجلسة» لنلاحظ مرة ثانية، أن الحديث ليس عن مرشد ولا عن إمام بل عن رئيس، ثم تقول المادة «لا يجوز مقاطعة المتكلم ولا التعرض للسياسة أو الشخصيات». أى أنه ليس واردًا فى اجتماع الجمعية العمومية أن يتحدث أى عضو فى السياسة أو أن يتعرض لأى شخصية سياسية، لكن ماذا لو فعل ذلك أحد الأعضاء؟ الحل فى نفس المادة إذ تنص على أن «للرئيس أن ينذر أى عضو يخرج على آداب الجمعية وله أن يخرجه».

أما خاتمة هذه اللائحة وهى المادة ٤٣ فتنص على أنه «لايجوز بحال من الأحوال تعديل شيء من هذا القانون إلا بموافقة ثلاثة أرباع مجلس الإدارة المنعقد لذلك».. ولا يجوز بحال تغيير المواد الثانية والثالثة والسادسة.. أى أن الجمعية العمومية نفسها لا تملك تغيير ما يتعلق بالابتعاد عن السياسة، وكأنها هوية الجمعية ولا وجود لها إلا بتجنب السياسة، ورغم هذا فقد أطيح بهذه المواد فى أول تعديل للائحة، ففى سنة ١٣٥٤هجرية، أى بعد انقضاء حوالى ٥ سنوات، تم تعديل قانون الجمعية، ونجد أن المادة الثانية حذفت بالكامل، ونلاحظ كذلك اختفاء كلمة جمعية من النص ليحل محلها الجماعة، ويختفى بالتالى مسمى مجلس الإدارة ورئيس مجلس الإدارة، لكن يظهر لقب «المرشد العام» ثم يتم الحديث عن «البيعة» التى يقدمها العضو المنضم إلى الجماعة ويتلقاها المرشد العام أو من ينوب عنه، ويرد فى اللائحة، مادة ٨، بالنص

«وليس فى نظام الإخوان الإقالة ولا استقالة، فإن عماد الفكرة الإيمان الروحى، ويجوز أن يعتذر الأخ عن مزاولة بعض الأعمال الإدارية إذا طرأ عليه ما يحول دون قيامه بها من غير أن يؤثر فى منزلته وصلته بالجماعة بحال».

وبينما كان فى اللائحة الأولى ممنوعًا على العضو أن يتحدث فى السياسة فى أثناء الاجتماع وأنه يجوز للرئيس إخراج العضو، يختفى كل ذلك وتحل محله فى المادة ١٦ هذه العبارة «لا يعلو الصوت بالنقاش ولا يقاطع المتكلم ويتجنب الجدل والمراء وإطالة القول فى غير فائدة وتحترم رياسة الجلسة ويستمع لها ويستأذن منها».

وبينما كانت اللائحة الأولى تتحدث حول الدفاع عن الإسلام فى إطار القانون نجد فى اللائحة المعدلة ما يلى «الدفاع عن الإسلام ومقاومة كل عدوان يراد به «وجاهدوا فى الله حق جهاده»، هذه اللائحة لا تستبعد القانون فى هذه الحالة فقط، بل تستبعده نهائيًا، ففى لائحة التحكيم والمصالحة نجد العجب، إذ تنص هذه اللائحة على أن يشكل مجلس الشورى المركزى للجماعة من بين أعضائه لجنة فض الخلافات بين الإخوان بالطرق الودية «من غير التجاء إلى المحاكم والقانون»، وفى تفصيل عمل هذه اللجنة يرد بالنص بند رقم ٥ «لا يجوز للإخوان أن يلجؤوا إلى المحاكم فى الخلافات التى بينهم خاصة، ولا يجوز لهم ذلك فى الخلافات التى بينهم وبين غيرهم إلا إذا عجزت اللجنة عن التأثير على الآخرين»، أى أن أعضاء الجماعة يكونون معًا «جيتو» خاصًا بهم، لا يتعاملون مع قوانين المجتمع ومحاكمه. ويؤكد هذا المعنى البند التالى رقم ٦ إذ يقول «إذا رأى أحد الإخوان فى حكم اللجنة إجحافًا فله أن يستأنف ذلك إلى مجلس الشورى المركزى، وعلى المجلس إذا وصله هذا الاستئناف أن ينظر فيه ويكون حكمها بعدئذ نافذًا وعلى الأخ أن ينزل عليه» باختصار تحل اللجنة محل القضاء الابتدائى، فإن لم يقتنع الأخ بحكمها اتجه إلى الاستئناف «مجلس الشورى المركزى» ولا سلطة تعلو فوقه، وسوف يتسع هذا الاتجاه ليصبح قطيعة شبه تامة مع المجتمع، على النحو الذى سيتضح فيما بعد فى رسالة حسن البنا «التعاليم».

وفى سبتمبر ١٩٤٥م يتم تعديل ثالث للائحة الإخوان، وفى هذا التعديل لا يتم الحديث عن جمعية ولا عن جماعة، بل «هيئة الإخوان المسلمين» وجرى تعديل أو تحول لهم فى تلك الهيئة، فبينما كان غرض الجماعة فى اللائحة الأولى «إصلاح حال المسلمين فى فروع حياتهم الاجتماعية والأخلاقية» وصار الغرض فى اللائحة الثانية «العمل على تكوين جيل جديد يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، ويعمل بتعاليمه..» إذا به فى اللائحة الثالثة يصبح جامعًا مانعًا «الإخوان المسلمين هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام الحنيف». وتدخل «الهيئة» فى السياسة مباشرة، فمن بين أغراضها نقرأ «مساعدة الأقليات المسلمة فى كل مكان على الوصول إلى حقها، وتأييد الوحدة العربية تأييدًا كاملاً، والسير إلى الجامعة الإسلامية سيرًا حقيقيًا» أى دولة الخلافة، ثم يقول «.. إقامة الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليًا وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج» أى الدولة الدينية بلا نقصان «فى اللائحة الثالثة» نجد توسعًا فى الحديث عن دور المرشد العام وسلطاته وطريقة اختياره، ونجد تحولاً كبيرًا، ففى اللائحة الثانية نجد المادة ١٥ تحدد «يختار المرشد العام للإخوان المسلمين برأى مجلس الشورى العام ويعزل برأيه كذلك إذا ثبت أنه سلك بالجماعة مسلكًا يتنافى مع أصول الإسلام وقواعده» وفى نفس المادة يرد أن المرشد عليه «ألا يجعل مهمته سبيلاً إلى منفعة شخصية.. وأن يتقبل كل نصيحة ورأى واقتراح من أى شخص كان متى اعتقد فيه خير للجماعة» لكن فى اللائحة الثالثة – سبتمبر ١٩٤٥م- نجد المادة ٢١ تقول «ونظرًا إلى أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام الحالى للإخوان هو المؤسس الأول للهيئة والقائم عليها منذ نشأتها فقد عين فضيلته مرشدًا عامًا للإخوان المسلمين مدى حياته..» هنا النص يتحدث عن تعيين وليس عن اختيار، ولا حتى عن بيعة وهو تعيين أبدى، صحيح أن البنا كان يتحكم فى كل شيء بالجماعة، وسبق أن انشق عدد من الأعضاء عن الجماعة بسبب سلطته واستبداده، وعدم احترامه لمبدأ الشورى، لكن هنا يصبح الاستبداد والتسلط مقننًا ومنصوصًا عليه فى اللائحة، ويتم

استحداث مادة جديدة فى هذه اللائحة، هى المادة ١٧، وتقول «يقوم المركز العام بنفقات المرشد العام ونفقات مكتبه على أن يكون تقدير هذه النفقات بلجنة تختارها الهيئة التأسيسية» وهذا ما يسمى بدل احتراف أو بدل تفرغ فى الأحزاب ذات الطابع الأيديولوجى أو الجماعات التى تحمل طابع السرية.

وهناك لائحة رابعة أو تعديل رابع، اقترحه المرشد العام على الهيئة التأسيسية وتم إقراره فى ٢١ مايو ١٩٤٨م، وكان دافع المرشد فى ذلك «تطورات الدعوة واتساع ميادين نشاطها، وعلى ضوء التجارب التى مرت بها خلال هذه الفترة..» فى اللائحة الجديدة يتم التوسع فى بعض المواد، وفصل بعض المعانى الواردة فى المرة السابقة، لتصبح موادًا وبنودًا مستقلة بذاتها، مثل البند الخاص بتحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى لكل مواطن ومكافحة الجهل والمرض والفقر وكذلك «الرذيلة»، ومثل البند الخاص بقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام. ورغم أن هذا التعديل جرى فى ٢١ مايو ١٩٤٨م، أى بعد أسبوع من قيام إسرائيل، لا تجد شيئًا حول إسرائيل وفلسطين بالمرة، ورغم تأزم القضية الوطنية فى مصر والدعوة إلى الكفاح المسلح ضد الإنجليز، فلا تلمس ذلك بوضوح، لكن تجد كلامًا شديد العمومية، ورد فى لائحة ١٩٤٥م بنصه، وهو «تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعًا والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى، ومساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييدًا فاعلاً والسير إلى الجامعة الإسلامية».

هذا كل ما يرد، ولا شيء محدد حول الاحتلال الإنجليزى لمصر وغيرها من البلدان العربية ولا حول فلسطين.

الغريب أن الإخوان يؤكدون أنهم أسسوا التنظيم الخاص من أجل مقاومة الإنجليز فى مصر والصهاينة فى فلسطين لكن ها هى اللوائح والوثائق بنصها وحرفها.

وهناك تعديل آخر فى تلك اللائحة يتعلق بالمرشد العام، فبينما كان هناك نص فى اللائحة ١٩٤٥ على أن حسن البنا عين مرشدًا للأبد، يتم تعديلها لتصبح هكذا يقوم المرشد العام بمهمته مدى حياته ما لم يطرأ سبب يدعو إلى تخليه عنه. والمرشد العام حاليًا هو فضيلة الأستاذ حسن البنا باعتباره المؤسس الأول للدعوة والقائم عليها منذ نشأتها.

والمادة الأخيرة فى هذه اللائحة، تنص على أن يكون التاريخ الهجرى والأشهر الهلالية هى التقويم المعتمد، صحيح أن اللوائح السابقة كانت تتحدث عن عمر المرشح للمرشد العام والمكتب الإرشادى بالسنوات الهلالية، لكنه فى هذه اللائحة تم تحويلها إلى مادة ملزمة.

الفصل الثالث

التكفير فى تعاليم المرشد

فى النصف الثانى من السبعينيات اكتشف أمر جماعة شكرى مصطفى، حين قامت هذه الجماعة باختطاف أستاذ علم التفسير بجامعة الأزهر الشيخ محمد حسين الذهبى، وزير الأوقاف السابق، وبعد اختطافه تم قتله. هذه الجماعة أطلق عليها مؤسسها «جماعة المسلمين» واصطلح الإعلام على تسميتها «جماعة التكفير والهجرة».. وكانت هذه الجماعة بداية لجماعات أخرى ظهرت بعدها، ولم تبتعد عنها كثيرًا، أى الخروج على المجتمع ورفضه ثم تكفيره ورفع السلاح عليه، فى حرب معنوية أو عمليات إرهابية بلغت ذروتها فى سنوات التسعينيات من القرن الماضى.

ومع ظهور كل جماعة من هذه الجماعات، خاصة الجماعة الإسلامية ثم جماعة الجهاد كان المتحدثون باسم جماعة الإخوان يباهون أنهم يمثلون الاعتدال وأن أفكار العنف هذه هم يرفضونها وأنهم لا يرفعون السلاح على المجتمع ولا يكفرونه، لكن هذه الجماعات، خرجت بشكل أو بآخر من معطف الإخوان. شكرى مصطفى كان عضوًا بالجماعة، وكان أحد الذين حوكموا ضمن تنظيم سيد قطب، أو تنظيم سنة ١٩٦٥م، وقد أثبت لنا الكاتب والباحث الإسلامى جمال البنا فى أحد كتبه أن قائد تنظيم الفنية العسكرية صالح سرية، كان بمعنى ما تلميذًا لحسن البنا نفسه، فقد وجد جمال البنا فى أوراق شقيقه الأكبر رسالة إعجاب من صالح سرية، الذى قاد محاولة للانقلاب سنة ١٩٧٤م فى القاهرة، وهى ما عرفت باسم عملية «الفنية العسكرية»، وأظن أن صلة قادة هذه العملية بالإخوان بحاجة إلى إعادة دراسة فى

ضوء إعلان «طلال الأنصارى» أحد قادة عملية الفنية، أنهم عرضوا العملية على الحاجة زينب الغزالى قبل القيام بها وأنها جاءتهم بموافقة المرشد الثانى المستشار حسن الهضيبى. وقد نشر طلال ذلك فى كتاب له بالمكتبات الآن، ولم يكذبه أحد رغم مرور عدة سنوات على نشره.

كل هذه الشواهد قد تجد نفيًا وتكذيبًا من الإخوان، لكن هذه الجماعات وأفكارها لم تخرج عن بعض كلمات وأفكار حسن البنا، المرشد المؤسس لجماعة الإخوان وهذه الكلمات نشرت فى حياته ولا تزال تنشر إلى اليوم، ويقوم على نشرها أناس من أنصاره ومحبيه، أقصد أنهم ليسوا خصومًا له ولا لجماعته، ولا يبغون كيدًا له أو للجماعة

كلمات وأفكار البنا بهذا هذا المعنى، أى رفض المجتمع والخروج عليه ورفض الدولة الحديثة بكل مقتضياتها وشروطها.. بل يصل الأمر حد إعلان الجهاد ضدها والحرب عليها. وقد قال البنا ذلك فى وقت مبكر، أى قبل وقوع أى خلاف بينه هو وجماعته له مع الحكومة - أية حكومة - يبدو ذلك فى رسالته التى تحمل عنوان «رسالة التعاليم». وهى رسالة لم تكن موجهة إلى عموم أعضاء الجماعة، بل إلى فئة منهم، يبدو أن المقصود بها كان أعضاء النظام الخاص بالجماعة، إذ يقول فى مقدمتها «هذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة. وهى ليست دروسًا تحفظ، لكنها تعليمات تنفذ». ثم يقول «أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات. ولكل وجهة هو موليها». وهذه الكلمات لا تكشف فقط تعدد المستويات والأدوار داخل الجماعة، لكنها تكشف وتؤكد تعدد أوجه حسن البنا، فهو تارة يلقى بالنصيحة والموعظة، وتارة يطرح أفكارًا، وثالثة يصدر تعليمات فقط، تؤخذ للتنفيذ والالتزام العملى. ولنتأمل بعض هذه التعليمات، التى وصلت إلى ٣٨ تعليمة

التعليمة رقم ١٦ تقول بالنص: «ألا تحرص كل الحرص على الوظيفة الحكومية، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتيحت لك، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضًا تامًا مع واجبات الدعوة». والمقصود بواجبات الدعوة هنا شروط والتزامات جماعة الإخوان، أى أن الولاء الأول للموظف العام يكون لجماعته وليس لمقتضيات الوظيفة والعمل، وأنه يمكن للموظف فى هذه الحالة أن يترك الوظيفة، مثلاً لو كان هذا الموظف يعمل بالأزهر أو فى البوليس، وبحكم عمله يكون هناك موقف فقهى أو عملى من الجماعة، يكون الاعتبار للجماعة وليس لمقتضيات العمل، وسوف نلاحظ أن حسن البنا كان حريصًا على تجنيد أناس بعينهم من الجيش والشرطة إلى صفوف الجماعة، نعرف من مذكرات عبد اللطيف البغدادى أن البنا طلب إليه منذ سنة ١٩٤٠م هو وعدد من رفاقه كان بينهم أنور السادات، أن ينضموا إليه ويذوبوا فى جماعته، وقد أثار هذا المطلب قلقهم ومخاوفهم.

التعليمة رقم ٢١ تقول: «أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى». وسوف تلاحظ أنه استعمل تعبير «وطنك الإسلامى» ولم يقل «وطنك المصرى».. البنا استبعد هذا المعنى وذهب إلى مفهوم «الوطن الإسلامى»، والنتيجة العملية لذلك أن التعامل الاقتصادى والمالى يكون وفق الديانة والعقيدة الدينية، وليس وفق المعيار الوطنى أو معيار الكفاءة العملية، فإذا احتاج المواطن إلى سباك، وكان هناك سباك مصرى ولكن ليس مسلمًا أى قبطى أو يهودى، وقتها كان اليهود موجودين فى مصر، لا يجب التعامل معه أو الاستعانة به، لأن أجره الذى يتقاضاه أو القروش التى سندفعها له بمعيار ذلك الزمان.. لن تكون فى يد إسلامية .. إنه يقسم أبناء الوطن ألوانًا وفق اعتبار الديانة، لكن ماذا لو أن هناك مصنوعات ومنتجات ليست من صنع الوطن الإسلامى، مثل الأدوية، كأدوية أمراض السكر والقلب والسرطان

وغيرها، وهي كلها من اختراع وتصنيع الأوروبيين - غير المسلمين .. هل نترك مرضانا يموتون ونلجأ ثانية إلى طب الأعشاب والعلاج بالرقية وغيرها؟!

هذه «التعليمة» واجبة النفاذ التي يصدرها المرشد إلى «المجاهدين» من أعضاء جماعته، تتصادم مع الواقع حتى بمعيار العصر الإسلامي المزدهر، في مصر أو في غيرها من البلدان المحيطة بنا، ففي ذلك العصر لم يحدث منع لغير المسلمين من المعاملات الاقتصادية، وكان بين التجار يهود ومسيحيون، وكانت بعض الحرف تكاد تكون وقفًا على غير المسلمين، وكان التعامل الاقتصادي والمادي معهم، بلا حرج وبلا أي محاذير.

التعليمة رقم ٢٥ تقول حرفيًا: «أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة». وهذه من أخطر التعاليم، فهي تشير بوضوح إلى مقاطعة المؤسسة القضائية، باستثناء المحاكم الشرعية آنذاك، وبمعيار اليوم مقاطعة المحاكم كلها، وهذا يعني مقاطعة الدولة الحديثة، فالسلطة القضائية برمتها تكون عنوانًا للدولة ومؤسساتها، وهي سلطة ضابطة للمجتمع في بند الحقوق والواجبات القانونية، وعلاقات المواطنين ببعضهم، وكذلك علاقة المواطن بهيئات وأجهزة الدولة.

ترى هل يفسر لنا ذلك لماذا تحتكم بعض الجماعات إلى أميرها دون اللجوء إلى القضاء؟ ولماذا قام بعض الأمراء، كما حدث في إمبابة قبل عقدين فيما عرف باسم «جمهورية إمبابة» وقتها بدور الشرطة والنيابة العامة والقضاء كله، فكانوا يجلدون ويقطعون الأيدي.. وكان أعضاؤها يحتكمون إلى الأمراء ويلجؤون إليهم في أي مشكلة وفي مقاطعة تامة وعدائية لمؤسسات الدولة، وهذا يعني تأسيس دولة موازية ومناهضة للدولة القائمة.. هو لا يطالب بذلك فقط، بل المقاطعة عنده تمتد إلى المدارس الحديثة وإلى الجمعيات والجماعات والأندية وكذلك الصحف والمجلات

التى تناهض فكر جماعة الإخوان، ولعل ما يروج الآن عن مساندة الإخوان لصحيفة أو لصحف بعينها وغضبهم على صحف أو مجلات بعينها ليس بعيدًا عن تعليمة البنا، بل هى التزام حرفى وتأكيد لها. وترتبط بهذه التعليمة تعليمة أخرى هى رقم ٣٧ وتقول: «أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها فى مصلحة فكرتك، وبخاصة إذا أمرت بذلك». هنا يتوسع البنا فلا يجعل المقاطعة للهيئات وللجماعات المعادية لفكر الجماعة، بل إذا كان هذا الاتصال أو التعامل معها ليس فيه مصلحة الفكرة أى الجماعة، باختصار فإن الاعتبار والمعيار الأول هو مصلحة الجماعة.

التعليمة المخيفة، التى تحمل رقم ٣٥، وجاء فيها: «أن تحارب أماكن اللهو، فضلاً عن أن تقربها».. وهو هنا لم يحدد ما المقصود بأماكن اللهو، هى أمور نسبية، ففى بعض الأسر المحافظة يعد «المقهى» من أماكن اللهو، وعند البعض تعتبر الحانات والبارات هى أماكن اللهو، فماذا كان يقصد الشيخ البنا، هل هى أماكن شرب الشاى والقهوة، ويردد محبوه أنه لم يكن يقربها، أما ما يعد ذلك من المشروبات؟.. وقد يكون مفهومًا أن يطلب المرشد إلى بعض أعضاء الجماعة عدم الاقتراب من أماكن اللهو، هكذا يفعل أولياء الأمور والآباء مع أبنائهم، لكن ماذا عن محاربتها التى يطالب بها؟ وما هو نوع المحاربة وأشكالها وأساليب ممارستها، هل يعنى ذلك تفجيرها - كما حدث بعد ذلك - وقتل من فيها.. هل تحطيم ما بها فقط، أم ماذا بالضبط؟ ترك المرشد الأمر مفتوحًا، لاختيار أعضاء الجماعة من «المجاهدين» الأمر هنا على طريقة قتل المستشار الخازندار.. فقد روى بعض أعضاء الجماعة أن المرشد قال لرئيس التنظيم «لو ربنا يخلصنا منه.. لو حد يخلصنا منه». فاعتبرها مسؤول التنظيم أمرًا مباشرًا بالاغتيال.. هكذا الأمر فى «دور اللهو».

هذه التعليمات لم تكن موجهة إلى كل أعضاء الجماعة، بل إلى «الإخوان المجاهدين»، وقد حدد هو ذلك فى بند الطاعة وبند الثقة.. فى الأول عرف ما يريده

بالطاعة بأنها «امتثال الأمر وإنفاذه توًا، فى العسر واليسر والمنشط والمكره». وقسم دعوته إلى مراحل ثلاث، الأولى هى التعريف ونشر الفكرة العامة بين الناس وهذه وظيفة الجميع من وعاظ وإداريين فى الجماعة، تليها مرحلة «التكوين».. ويعرفها بأنها «استخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد». وفى هذه الحالة يكون النظام «صوفيًا بحتًا من الناحية الروحية وعسكريًا من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا أمر وطاعة».

وهنا تكون «الدعوة خاصة» لمن لديه استعداد حقيقى لتحمل أعباء الجهاد، وأول خطوة فى هذه المرحلة «كمال الطاعة»، ثم تأتى مرحلة التنفيذ وهى "جهاد لا هوادة فيه، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية". ومن وصلته رسالة التعاليم هو فى الدور الثانى وبالقرب من الدور الثالث: يكمل هذا الجانب ما يتحدث عنه البنا فى بند أو جانب يسميه الثقة وتعريفه لها «اطمئنان الجندى إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة». والقائد والقيادة ليست فكرة هينة ولا بسيطة فى الجماعة، يقول حسن البنا : «للقيادة فى دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعانى جميعًا». ويضيف أيضًا: «الثقة بالقيادة هى كل شيء فى نجاح الدعوات». ولأن التعليمات التى وضعها ليست لعموم الجماعة، بل من بلغوا المرحلة الثانية وعلى أعتاب الثالثة، فالخطاب إليهم خالص ويختلف عن الخطاب العام؛ لذا نجد البنا يعطى تعليمات واجبة النفاذ، تختلف عما يبدر منه فى السلوك العام، تحدث فى التعليمات عن أن يكون التعامل ماليًا مع المسلمين فقط وأن تذهب أموال المسلمين للمسلمين فقط، لكنه هو نفسه لم يجد غضاضة فى أن يقبل الأموال من غير المسلمين، فقد قبل التبرع من شركة قناة السويس ومسؤولها الفرنسى، وقبل بعد ذلك تبرعًا من تاجر يهودى فى الإسكندرية هو «حاييم دره» وتسلم المرشد التبرع فى حفل عام وكان

مبلغًا ماليًا كبيرًا، أى ليس سرًا.. ثم هو لا يتردد فى أن يعلن لأعضاء الجماعة فى خطاب عام أنهم لم يحصلوا على مليم واحد من أحد، يقول: «إلى الآن أيها الإخوان لم يمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من حكومة أيًا كانت، وهو يباهى ويفاخر ويتحدى الناس جميعًا أن يقول أحدهم: إن هذا المكتب قد دخل خزانته قرش واحد من غير جيوب أعضائه».

هذا التناقض والتباين، قد يراه البعض مراوغة، وقد يحكم عليه بعضنا بالكذب، لكنه يكشف تعدد أوجه حسن البنا، فهناك وجه الواعظ والمرشد الدينى، وهناك كذلك وجهه السياسى المناور والمراوغ إلى أبعد حد، والبراجماتى إلى أقصى درجة.. وهناك وجه داعية العنف والظلام.. ولذا ليس غريبًا أن يخرج معظم جماعات العنف من معطفه، وأمامنا عبد الرحمن السندى وقتلة الخازندار والنقراشى ثم صالح سرية وشكرى مصطفى ومن تبعهما على طريق القتل والعنف إلى يوم الناس هذا.

الفصل الرابع

طريق الدم..
الباقورى وسابق وعساف يكشفون السر

بين كل أعمال العنف والاغتيالات التى نفذها التنظيم الخاص لجماعة الإخوان المسلمين فى الأربعينيات، تستحق عملية اغتيال أحمد ماهر رئيس الوزراء التوقف أمامها، فهى عملية كاشفة للكثير من العمليات الإرهابية الأخرى ولطبيعة ذلك التنظيم الخاص، فضلاً عن فكرة العنف لدى حسن البنا وفى فكره.

تم اغتيال د. أحمد ماهر (باشا) رئيس الوزراء فى بهو مبنى البرلمان (مجلس الشعب حاليًا) يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٥م بعد أن انتهى من إلقاء كلمته فى جلسة سرية لمجلس النواب، ليقنع الأعضاء بما اتفقت عليه الحكومة من إعلان الحرب على اليابان، أى على دول المحور بزعامة ألمانيا الهتلرية.. وكانت الحكومة المصرية تلقت من الإدارة الأمريكية أن دول الحلفاء الخمس وهى إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا والصين، سوف تعقد في ٢٥ أبريل من نفس السنة اجتماعًا فى «سان فرانسيسكو» لإنشاء منظمة دولية جديدة خلفًا لمنظمة «عصبة الأمم» التى كانت تأسست فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، وأن الخبراء القانونيين بالدول الخمس وضعوا أسس الاشتراك في هذه المنظمة، ومن بينها أن تكون الدول الراغبة فى الاشتراك بها أعلنت الحرب على خصوم الحلفاء قبل أول مارس سنة ١٩٤٥م؛ فكانت تلك فترة العسل بين كل من ستالين وتشرشل وروزفلت..

كانت هناك ضغوط مورست على مصر، من جانب بريطانيا فى بداية الحرب العالمية الثانية كى تعلن مصر الحرب على ألمانيا ودول المحور، وكان هناك رأى داخل مصر يميل إلى ذلك، لكن الملك فاروق وأطراف أخرى نافذة رفضت أن تتورط مصر فى هذه الحرب، وكذلك كان رأى الشارع فى مصر، كان معنى أن تعلن مصر الحرب أن تكون فى مرمى الطائرات والغارات الألمانية التى يمكن أن تدمر البلاد، فضلاً عن أن ألمانيا لو انتصرت فسوف تحتل مصر وتنتقم من المصريين، وهكذا كان الرفض للتورط فى الحرب، وقال الشيخ المراغى شيخ الأزهر عبارته التى صارت شعارًا لتلك المرحلة «حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل»، لكن فى نهاية الحرب وعلى ضوء القرائن الجديدة، صار هناك واقع آخر؛ لذا تشاور د. ماهر فى الأمر مع عدد من السياسيين ومن القانونيين مثل د. محمد حسين هيكل ود. عبد الحميد بدوى.. هل تعلن مصر الحرب أم تظل على مبدئها من أنها «حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل» ومن ثم تبقى بعيدة عنها؟

كان إعلان الحرب من جانب مصر يعنى أن يكون لمصر الحق فى أن تناقش القضية المصرية بهذه المنظمة، وأن تطالب مصر المنظمة الجديدة بأن تتدخل لتنال استقلالها وتخرج بريطانيا من مصر، وهكذا فقد صار لنا فى الحرب ناقة وجمل، حتى لو كانت ناقة صغيرة، لكنها بالنسبة إلى المصريين كانت كبيرة، واستقر الرأى على أن تعلن الحكومة المصرية الحرب على اليابان.

لكن لماذا اليابان وليست ألمانيا رأس المحور أو إيطاليا التى احتلت ليبيا؟

كشف النقاش الذى أجراه د.ماهر مع القانونيين والسياسيين عن تخوف حقيقى لو أن مصر أعلنت الحرب على ألمانيا أو إيطاليا تحديدًا، ذلك أن هناك فى البلدين رعايا مصريين، يتمثلون فى بعض الدارسين أو العاملين والمقيمين هناك، ولو أعلنت مصر الحرب على أى منهما فمن المؤكد أن هؤلاء الرعايا سوف يكونون فى خطر

الاعتقال أو الإبادة.. أما اليابان فليس بها رعايا مصريون يخشى عليهم، ثم ظهرت معضلة أخرى، وهى أن اليابان لم تهاجم مصر نهائيًا ولم تعلن فى خططها عن نيتها مهاجمة مصر أو حتى اعتبار مصر بلدًا معاديًا، ومن ثم فإن مصر ليست فى حالة دفاع عن نفسها أمام اليابان، وقرار الحرب يحق للحكومة أن تتخذه منفردة إذا كانت فى حالة دفاع عن مصر، أى إذا تعرضت البلاد لهجوم مباشر، أما دون ذلك فإن الحكومة مطالبة بالرجوع إلى البرلمان وأن تنال موافقته. وهكذا اتجه د. ماهر إلى البرلمان فى جلسة سرية يحاول إقناعهم بما تريده الحكومة ويتم التصويت، وإن نال الموافقة يصبح القرار بعدها نافذًا، أى أن خطة الاغتيال وضعت وشرع المجرمون فى التنفيذ قبل أن يصدر القرار بالفعل ويصبح ساريًا.

بينما كان د.ماهر داخل الجلسة السرية، جلس أربعة شبان فى البهو لساعات طويلة ينتظرون، وما أن تهيأ للخروج حتى تقدم أحدهم منه ليصافحه، لكنه بدلاً من ذلك أخرج مسدسًا وأطلق عليه رصاصة واحدة أصابته فى قلبه، وهدد القاتل المحيطين برئيس الوزراء، حتى لا يتمكنوا من الإمساك به، لكن فى النهاية تم القبض عليه وهرب الثلاثة الآخرون ولم يستدل عليهم ولم يعرف أحد عنهم شيئًا حتى هذه اللحظة، من هم ومن أى جهة وعن أى تيار يعبرون؟!

القاتل هو "محمود العيسوى" وكان محاميًا شابًا يتمرن فى مكتب المحامى عبد المقصود متولى أحد الأعضاء البارزين بالحزب الوطنى.. لم يعترف القاتل بأى شيء، ولم يذكر أسماء من كانوا معه، فقط قال إنه أقدم على العملية لأن أحمد ماهر أعلن الحرب على اليابان، وهكذا نسبت العملية إلى الحزب الوطنى، ولم ينتبه أحد فى الحزب أو خارجه إلى أن الذين قاموا بعمليات اغتيال من قبل لأسباب وطنية، فى بدايات القرن العشرين، كان يهمهم أن يعترفوا من باب الفخر والاعتزاز، وجدنا ذلك فى حالة إبراهيم الوردانى الذى قام باغتيال بطرس غالى ناظر النظار، وفى حالة عريان يوسف سعد الذي حاول اغتيال يوسف وهبة رئيس الوزراء إبان ثورة ١٩١٩م.. لكن العيسوى كان مختلفًا؛ إذ التزم الصمت العقائدى المطبق، إن صحت التسمية.

الطريف أن جماعة الإخوان استنكرت تمامًا هذه العملية، لأن أحمد ماهر أعلن الحرب على اليابان، لكنه لم يشن حربًا بالفعل على اليابان، والعبرة لديهم ليست بالقرار بل بالفعل، ورغم هذا الاستنكار الواضح إلا أنه يكشف أن الجماعة ليست ضد مبدأ الاغتيال، ومعنى الاستنكار أن رئيس الوزراء لو شن الحرب بالفعل لاستحق الاغتيال، لكن أحداً لم يتوقف وقتها عند ذلك المعنى، بل تحملها الحزب الوطنى أمام التاريخ.

وفى سيرة د. عبد الرحمن بدوى الذى كان عضوًا نشطًا بالحزب وقتها يمكن أن تبين الصدمة التى سيطرت على الحزب من داخله، فقد فوجئ الجميع بهذه العملية، وتثبت الوقائع أن الحزب الوطنى فى ذلك الوقت لم يكن لديه جهاز سرى للاغتيالات، ولا كان هذا الأسلوب مطروحًا على الحزب، ولا كان فى فكر الحزب أو فى ممارساته، ولم يقدم أحد داخل الحزب تفسيرًا لهذه العملية، ولم يظهر داخل الحزب أن أحدًا شارك العيسوى أو حتى دافع عما قام به.

ظل الاعتقاد سائدًا بين الدارسين والمؤرخين أن اغتيال أحمد ماهر بعيد تمامًا عن جماعة الإخوان، واكتفى الجميع بنسبة ما قام به العيسوى إلى التهوس أو التطرف الوطنى، حتى جاءت الثمانينيات وبعد مرور أكثر من أربعة عقود على اغتيال ماهر بكشفين مهمين أو اعترافين، الأول جاء على لسان الشيخ سيد سابق فى جريدة «المسلمون» بأن اغتيال ماهر نفذه التنظيم الخاص للجماعة، وأن العيسوى كان منخرطًا فى التنظيم الخاص بشكل سرى، حتى وإن تصور الجميع أنه على علاقة بالحزب الوطنى، وكانت العملية نموذجًا لدقة التخطيط وإتقان التنفيذ، فضلاً عن الكتمان، وخطورة شهادة الشيخ سيد سابق أنه كان عضوًا فاعلاً فى التنظيم الخاص، هو بعد ذلك الذى قابل «عبد المجيد حسن» وأقنعه بشرعية اغتيال محمود فهمى النقراشى. أما تصريحات المرشد واستنكار الجماعة العلنية لعملية الاغتيال، فهل تجد تفسيرًا لها فى قول أحدهم من أن المرشد قد يضطر «إلى تعليقات عن بعض الأحداث

يقصد بها مجرد الكتمان لحقائق هذا الأمر، في هذه الظروف عملاً بالحديث: استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان»[1].

الشهادة الثانية صدرت عن الشيخ أحمد حسن الباقورى، الذى كتبت ذكرياته فى صحيفة «المسلمون» أيضًا ثم صدرت فى كتاب عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، وفيها يقطع بأن جريمة اغتيال د. ماهر كانت من تخطيط وتنفيذ التنظيم الخاص للجماعة، وأهمية هذه الشهادة أن الشيخ الباقورى لم يكن رجلاً عاديًا فى الجماعة آنذاك، كان عضوًا بمكتب الإرشاد وكان من أبرز المرشحين لخلافة حسن البنا بعد اغتياله، لكن الملك فاروق عبر ناظر الخاصة الملكية انحاز إلى المستشار حسن الهضيبى، وتلك قضية أخرى، يضاف إلى ذلك أن الباقورى كان أحد الذين شملهم الاعتقال بعد اغتيال د. ماهر، ومن ثم فقد كان متابعًا للقضية - على الأقل - بحكم ما تعرض له .. الباقورى أيضًا كان على صلة طيبة بالضابط محمد أنور السادات والمجموعة التى اتهمت باغتيال أمين عثمان، أى أنه لم يكن بعيدًا عن كواليس العمل السرى وما يجرى فيه، وأخيرًا هو الوزير بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، أى أنه خَبِر معنى العمل السياسى والعمل العام ويزن كل كلمة يقولها، وهو إن منعته ظروف العمل العام أن يعلن ما لديه فى حينه، فإنه آثر أن يقول كلمته، قبل أن يمضى ليقابل ربه، وبالتأكيد لو كشف ذلك الأمر وقتها لاتهم بالوشاية ولربما تعرضت حياته للخطر، يقول الباقورى فى ذكرياته: «كان النظام الخاص يحكمه الإعجاب بالنفس والاحتكام إلى التضحية والفداء». ويضيف قائلاً: «لم يكن المنتسبون إليه معروفين إلا في دائرة ضيقة ولآحاد معروفين، وتركت لهؤلاء اجتماعاتهم الخاصة بهم، وربما كانوا يعملون في جهات مختلفة يجهل بعضهم بعضًا جهلاً شديدًا» ثم يقول: « ومن سوء حظ الدعوة أن هذا النظام الخاص رأى أن ينتقم لإسقاط المرشد في الانتخابات بدائرة الإسماعيلية. وكان من أشد المتحمسين لفكرة الانتقام هذه محام شاب يتمرن

(١) راجع محمود الصباغ: التصويب الأمين لما نشره بعض القادة السابقين، مكتبة التراث الإسلامى، ط١، سنة ١٩٩٨م، صفحة ٣٢-٣٣.

على المحاماة فى مكتب الأستاذ عبد المقصود متولى. وهو المحامى الشاب محمود العيسوى، فلما أعلنت حكومة الدكتور أحمد ماهر باشا الحرب على دول المحور لكى تتمكن مصر - بهذا الإعلان - من أن تمثل فى مؤتمر الصلح إذا انتصرت الديمقراطية على النازية والفاشية» ويذهب الباقورى إلى القول: «رأى النظام الخاص أن هذه فرصة سنحت للانتقام من رئيس الحكومة ووجه محمود العيسوى إلى الاعتداء على المرحوم أحمد ماهر باشا، فاعتدى عليه فى البرلمان بطلقات سلبته حياته التى وهبها لمصر منذ عرف الوطنية، رحمه الله رحمة واسعة».

وكان د. أحمد ماهر قد أجرى الانتخابات البرلمانية فى يناير سنة ١٩٤٥م، ونتج عنها عدم فوز حزب الوفد بالأغلبية، وكان حسن البنا قد تقدم لخوض الانتخابات فى مدينة الإسماعيلية ولم يفز، فاعتبر أنصاره أن عدم نجاحه متعمد من رئيس الوزراء، لم يجر تحقيق يثبت أن هناك تزويرًا تم فى هذه الدائرة ولم يتبين أن منافس حسن البنا كان نكرة أو مجهولاً فى مدينة الإسماعيلية، كان مقيمًا بها، بينما البنا كان قد غادرها إلى القاهرة . منذ سنة ١٩٣٢م ولا ننسى أنه ليس من أبناء الإسماعيلية أصلاً، وقد ترك الإسماعيلية وخلفه عدد من المشكلات وغضب بين فريق من الإخوان تحدث هو عنه فى مذكراته، وكان بعض ذلك الغضب متعلقًا بإدارته لأمور الجماعة وبعضه كان متعلقًا بمالية الجماعة، وذلك أمر ليس هينًا.

وعمومًا لم يكن عدم النجاح فى الانتخابات كارثة، فقبل ذلك فى انتخابات سنة ١٩٣٧م لم ينجح النحاس نفسه ورسب معه عدد من قيادات الوفد، ومع ذلك لم يفكر الوفديون فى اغتيال أحد بل تقبلوا النتيجة وواصلوا العمل السياسى والوطنى.

يرفض «أحمد الصباغ»[1] تفسير الباقورى من أن الاغتيال تم بسبب فشل البنا فى فى الانتخابات وفى رأيه أن الانتخابات تزور باستمرار، والحق أن اغتيال أحمد ماهر

(١) أحمد الصباغ، المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٤.

لا يجعلنا نتساءل فقط حول دوافع العنف والإرهاب لدى التنظيم الخاص ومن ثم الجماعة، بل يدق أجراسًا قوية حول ما تقوله بعض الوثائق والمصادر البريطانية عن أن الجماعة ابتعدت عنهم في أثناء الحرب العالمية الثانية وفتحت خطًا سريًا يضمن التعامل مع ألمانيا الهتلرية وأن المخابرات الألمانية قدمت «معونات» للجماعة وقتها. يلفت النظر - هنا - أن الملك فاروق كانت له اتصالات مع الألمان وبعث برسائل إلى «هتلر»، وكان الملك يفعل ذلك لأسباب وطنية وأخرى شخصية، أما الوطنية فتتمثل في أنه أراد أن يحصل على ضمان من هتلر بعدم تدمير القاهرة إذا ما أمكنه هزيمة بريطانيا ودخوله مصر وأن يضمن منه استقلال مصر في تلك الحالة، والشخصية تتركز في أن يضمن عرشه في تلك الحالة، خاصة أن الخديو السابق عباس حلمي كان وثيق الصلة بوزارتي الدفاع والخارجية في ألمانيا، وكان عباس حلمي يسعى إلى استرجاع عرش مصر لنجله[1] وكان حسن البنا - آنذاك - يحذو الملك حذو النعل بالنعل كما يقال، وكان البنا على علاقة جيدة باثنين من المحسوبين على الألمان وهما علي ماهر الذي كان يتمتع بميول نازية، ربما بسبب كراهيته الإنجليز، والضابط محمد أنور السادات الذي كان قد فصل من الجيش بسبب تكشف علاقته بعميل ألماني في القاهرة، ترى هل نفذ التنظيم العملية لصالح المخابرات الألمانية التي يتردد أنها كانت نجحت في اختراق التنظيم والجماعة وقتها؟ هل كان ذلك الاختراق سببًا من أسباب الإعجاب الذي كان سائدًا بهتلر آنذاك، حتى أن بعضهم أطلق أنه قد اعتنق الإسلام وأصبح الحاج محمد هتلر؟!

د. محمود عساف كان سكرتيرًا للمعلومات لدى المرشد المؤسس، وبتعبيره هو «أمينًا للمعلومات عنده» ويقدم في مذكراته واقعة، صحيح أنه يبرئ الإخوان من جريمة اغتيال أحمد ماهر، لكن الواقعة التي حكاها في مذكراته لا تبرئهم، بل تبرئه هو شخصيًا، يقول عساف «دعا عبد الرحمن السندي إلى اجتماع - وكنت

(١) لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ترجمة د. أحمد عبد الرحمن مصطفى، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٧١م، ص ٣٠٨.

حاضرًا فيه - وقال «إنه ينبغى أن نفكر فى خطة لقتل أحمد ماهر قبل أن يعلن الحرب على المحور، وقال إنه وضع خطة أولية تقوم على تكليف أحد الإخوان بالمهمة، فيزود بمسدس، وينطلق إلى مزلقان العباسية (مكان نفق العباسية الحالى) وينتظر هناك مرور سيارة أحمد ماهر، حيث أن السيارات تبطئ كثيرًا من سرعتها عند المزلقان، ثم يطلق الرصاص عليه، ويكون هناك شخص آخر منتظر بموتوسيكل ، يحمله معه ويهربان»[1]. ويصف عساف الخطة بأنها بدائية وأنها أثارت استياء جميع الحاضرين»، ثم يقول «سألته: هل هناك فتوى شرعية بقتل رجل مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ فقال: إننا نعد مجرد خطة ولكن لن ننفذ إلا بعد الفتوى. قلت: ولنفرض أن هذا الشخص قبض عليه، فماذا سيكون مصير دعوة الإخوان كلها بعد ذلك؟ قال: لا لن يقبض عليه. أحسست أن المسألة لعب بالنار واستجابة للهوس الشخصى وليس مصلحة الإخوان ثم قال: لقد اخترت أحمد عبد الفتاح طه لهذه المهمة. وهو ينتظر خارج الغرفة ثم استدعاه وشرح له الخطة، وقال غدًا إن شاء الله نكمل دراستها فى وجودى»[2].

اهتم عساف بالفتوى، ولم يعبأ بكلام عبد الرحمن السندى، الذى يعرف دوره ومهمته، وهى التنفيذ فقط، ووضع الخطة، أما الفتوى فأمرها محسوم، ويتلقاها من طرف آخر، والمؤكد أنه طالما فكر ووضع خطة بكل تفاصيلها واختار من يقوم بها، فلا بد أن لديه فتوى أو ضوء أخضر بها من قيادته، وكان قائده المباشر هو حسن البنا نفسه، فهو لن يضع خطة ويحدد تكليفات بكل التفاصيل ثم بعد ذلك يقال له لا .. وحتى حينما أبدى عساف تخوفًا من الانكشاف بعد التنفيذ، كان رد السندى واثقًا وقاطعًا.. لا.. لن يقبض عليه .. وتكتمل الصورة بما حدث فى اليوم التالى، حيث عقد الاجتماع، ولنلاحظ أن عبد الرحمن السندى هو الذى كان دعا إلى انعقاده،

(١) د. محمود عساف: مع الإمام الشهيد حسن البنا، ص ١٥٣.
(٢) نفسه، الصفحة السابقة.

وكانت مفاجأة اجتماع اليوم التالى غريبة، ربما لم يتوقعها أحد منهم، خاصة السندى، وهو يذكرنا بالنهايات الدرامية لبعض الأفلام العربية ، فقد دُعِى إلى هذا الاجتماع أحمد عبد الفتاح طه، المكلف باغتيال أحمد ماهر، وكان الاجتماع مخصصًا لاستكمال خطة التنفيذ، أى أن مبدأ الاغتيال أقر وقُبل به، واغتيال أحمد ماهر تحديدًا لم يعد عليه خلاف ولا حوله إشكال، الإشكال فقط فى تفاصيل التنفيذ، وهنا تكمن مفاجأة أحمد عبد الفتاح طه الذى دخل إلى الاجتماع متجهم الوجه وابتدأ هو الحديث: «قبل أن تنظروا فى أية خطة، أريد أن أبلغكم أنى جبنت ولن أستطيع القيام بهذه المهمة. فغضب عبد الرحمن واتهمه بالضعف والتخاذل، فقلت: إن أحمد عبد الفتاح فى غاية الشجاعة لأنه واجهكم جميعًا وصارحكم بحقيقة إحساساته وكان يمكنه أن يكتمها فقد يهرب دون فعل شيء أو إخطاركم بموقفه.. وانفض الاجتماع على لا شيء»[1].

وفى اليوم التالى تم الاغتيال، هل كان لدى السندى أكثر من خطة فلما فشلت إحداها حرك الثانية؟!

نفذ العملية محمود العيسوى العضو بالحزب الوطنى، وذكر الشيخ الباقورى أنه كان عضوًا «سريًا» بالتنظيم الخاص للجماعة وبالجماعة نفسها، ويقدم لنا محمود عساف فى مذكراته ما يمكن أن يساعدنا فى حل هذا اللغز، إذ يشرح أنه كان يقوم بزرع عناصر من الجماعة داخل الأحزاب والجماعات الأخرى، حدث ذلك تحديدًا مع اليساريين والشيوعيين ومع «مصر الفتاة»، يقول عساف «اشتد موقف الشيوعيين ضدنا وهاجمونا فى نشراتهم، الأمر الذى دفعنا فى عام ١٩٤٦م إلى أن نزرع عندهم أحد المتعاطفين مع الإخوان (هو الآن أستاذ جامعى) وكان يتقاضى منى خمسة جنيهات شهريًا نظير أن يمدنا بأخبار الشيوعيين»[2].

(١) محمود عساف، صفحة ١٥٤.

(٢) محمود عساف، صفحة ٢٢.

الشيء نفسه حدث مع مصر الفتاة، فقد نشرت مجلة مصر الفتاة مقالاً فيه هجوم على الجماعة، جاء فيه «حانت خاتمة الدجل والشعوذة.. الإخوان يتعاونون مع كل الأحزاب بلا مبدأ و يتملقون مع الكل حتى الإنجلز الذين يسخرونهم لمحاربة الشيوعية والوطنية ويفتحون لهم الشعب فى السودان وفلسطين» ، وأثار المقال غضب الإخوان، وكان المتوقع أن يتم الرد على المقال بمقال آخر يفند الانتقاد والهجوم أو مقال يهاجم فيه جماعة مصر الفتاة (لم تكن تحولت إلى حزب)، لكنهم قرروا الرد بطريقة أخرى، يقول الصباغ «وجدنا أنه بعد النظر أن نعلم ماذا يدور فى أدمغة قادة مصر الفتاة. فكلفنا أحد الإخوان بالانخراط في الجمعية هو المرحوم أسعد السيد أحمد. الذى انضم إليها وبرز فيها سريعًا لما كان له من نشاط»[1].

والمعنى هنا أن اختراق الجماعات الأخرى كان قاعدة معمولاً بها داخل الجماعة، وهذه قاعدة مخابراتية، خاصة أن بعضهم كان يتلقى أجرًا مقابل ما يقوم به، ويقدم تقارير بما يراه وما يلاحظ إلى جماعته، وهؤلاء كانوا ينفذون ما يؤمرون به، ويعتبرون المهمات التى يكلفون بها واجبًا عقائديًا، لا يجوز التهاون فى تنفيذه. ترى هل كان محمود العيسوى واحدًا من هؤلاء .. هل طلب إليه تنفيذ مهمة اغتيال أحمد ماهر، ويذهب هو إلى حبل المشنقة ومعه سره إلى الأبد، بينما فى العلن يحمل وزر الجريمة منافس آخر للجماعة، هو الحزب الوطنى، خاصة أن الحزب فى تاريخه وماضيه الحماس الوطنى واغتيال الخصوم، خصوم الوطن أو من تصور وَهْمًا هكذا. ربما كان الأمر كذلك.

الموضوع والشهادات التى نحن بإزائها وكلها من داخل الجماعة تثير العديد من القضايا والتساؤلات، لكن المؤكد أن التنظيم نفذ العملية فى صمت وتركيز بالغ ، والمعنى الأهم أن التنظيم كان مستعدًا لتنفيذ أى عملية تطلب منه، بغض النظر عن ادعاءات القيم الإسلامية.

---

(١) محمود عساف: صفحة ٢٧.

ويجب القول أن التنظيم الخاص فى تلك المرحلة كان تحت السيطرة الكاملة للمرشد حسن البنا، ويبدو أن الأمر كان موضع شد وجذب داخل الجماعة؛ لذا نجد الشيخ الباقورى يقول في شهادته «على أن الأمر لو كان وقفًا عند استباحة الدماء المعصومة فى شريعة الله، لكان ذلك أمرًا ميسورًا احتماله، مقدورًا على التماس وجه له يسوغ المصير إليه، ولكنه تعدى ذلك إلى ما يجافى الحق ويقود إلى أسوأ سيئات التأويل. ذلك أن يقول قائل: إن رسول الله أمر بالاغتيال، ثم يستشهد لقوله هذا بمقتل كعب بن الأشرف. فإذا هو - على ذلك - يتغاضى عن حقائق لا ندحة للمسلم عند النظر إليها، والإيمان بها فى هذا المقام. وأولى هذه الحقائق أن ثمة فرقًا بين رسول الله ﷺ المعصوم من الهوى وغيره من الذين تصرفهم الأهواء، ولا تحوطهم عناية الله كما تحوط رسوله العظيم ﷺ».

ويبدو أن قيام أعضاء التنظيم الخاص باغتيال أحمد ماهر كان معروفًا بين كبار المسؤولين فى مصر، آنذاك، إذ نجد مرتضى المراغى آخر وزير داخلية فى عهد الملك فاروق، وكان يعمل معظم سنوات خدمته بالأمن العام، يشير إلى هذه الواقعة فى مذكراته، وإلى مسؤولية حسن البنا المباشرة، إذ يقول إنه كانت هناك «رؤوس كبيرة تخشى من الشيخ حسن البنا أن يطيح بها كما أطاح - حسب اعتقادها - بالخازندار والنقراشى وأحمد ماهر»[1].

أهمية شهادة سيد سابق والباقورى وكذلك محمود عساف أنها تبدد كل ما قاله الإخوان عن النظام الخاص وأسلحته، فقد قال معظمهم فى كتاباتهم أن التنظيم وأسلحته كان لهدف محدد، هو محاربة الإنجليز ومحاربة الصهاينة لاستيلائهم على فلسطين، راجع فى ذلك كتب محمود الصباغ وأحمد عادل كامل وغيرهما. وبالتأكيد فإن أحمد ماهر لم يكن من الإنجليز ولا من الصهاينة ولا من المتعاونين معهما، بل كان

(١) راجع فى ذلك: مذكرات مرتضى المراغى، ص ١٩٨-١٩٩، دار المعارف، مصر، سنة ٢٠٠٧م.

أحد أبطال ثورة ١٩١٩م، جاهد فيها ضد الإنجليز، ولعلها ليست مصادفة أن اثنين من أبطال ثورة ١٩ اللذين حكم عليهما الإنجليز بالإعدام، ولم يتمكنوا من تنفيذ الحكم، قام بإعدامهما فعليًا الإخوان، وهما أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى، أى أن التنظيم الخاص الذى أسسه حسن البنا نفذ ما عجز الإنجليز عن تنفيذه.

ولدينا شهادة مهمة تأتى من الولايات المتحدة، صاحبها هو هيرمان أيلتس الذى كان فى حينه دبلوماسيًا شابًا فى المملكة العربية السعودية، يقول «أعرف أن أحد زملائى فى السفارة الأمريكية بالقاهرة كان يلتقى بانتظام مع البنا» ثم يقول إن زميله هذا وجد البنا «متعاطفًا» معهم، ويقول كذلك «لا أعتقد أنه كان يساورنا القلق بشأنهم رغم أنه كان هناك قلق عندما اغتال الجهاز السرى لهم رئيس وزراء مصر»[1]، ولم يكن أيلتس وحده غير قلق، بل السفير الأمريكى فى القاهرة كافرى، فقد كان هؤلاء الدبلوماسيون الأمريكيون فى القاهرة وفى المملكة العربية السعودية مقتنعون بأن التنظيم الخاص أسس لاغتيال الشيوعيين فى مصر ومحاربة الشيوعية، وأن تلك كانت قناعة الملك فاروق أيضًا[2].

لا نعرف ماذا جرى فى اللقاءات المنتظمة بين أحد ضباط السفارة الأمريكية بالقاهرة والمرشد المؤسس، وأما أن هذه اللقاءات كانت منتظمة ومتواصلة، فهذا يعنى أن هناك حبل أفكار متصل وأن يقول أيلتس إن زميله وجد البنا متعاطفًا، وأن يرى الدبلوماسيون الأمريكيون فى الجماعة أداة قوية لمحاربة الشيوعية، فذلك مؤشر واضح عن أهداف التنظيم حين تأسيسه، لقد أسسه البنا لأهداف خاصة بالجماعة، فى ذهنه وتصوره هو، بعيدًا عن حكاية المقاومة الوطنية ضد الإنجليز والصهيونية فى فلسطين، لأسباب عدة، أنه شرع فى تأسيس هذا التنظيم بعد مؤتمر الجماعة ١٩٣٨م، ويذهب بعض الباحثين إلى أن التنظيم تأسس سنة ١٩٤٠م، وبعضهم يقول سنة

(١) روبرت دريفوس: لعبة الشيطان، مركز دراسات الإسلام والغرب، ٢٠١٠م، ص ٨٠.
(٢) السابق، ص ٩٢.

١٩٤٢م، وقد وجدنا الصباغ يقول فى كتابه عن التنظيم أنه التحق به سنة ١٩٣٩م وسبق إليه مصطفى مشهور، الذى أصبح فيما بعد مرشدًا عامًا للجماعة.

كان التنظيم فكرة ومشروع حسن البنا، وجاء تأسيسه تعبيرًا عن جانب أساسى فى تفكير وشخصية حسن البنا، فهو من البداية لم يكن يؤسس جماعة دعوية بالمعنى التقليدى، من البداية كانت عينه على السلطة، وجدناه سنة ١٩٢٨م يوجه رسالة إلى الملك فؤاد، ويسعى إلى شركة قناة السويس فى الإسماعيلية ليأخذ من مديرها معونة مالية، سماها تبرعًا، وكان الاقتراب من هذه الشركة يدخل فى باب المحرمات بالنسبة إلى عموم المصريين، وهو بعد ذلك عن دولة الخلافة وضرورة استعادتها.

فى سنة ١٩٣٨م عقد المؤتمر الخاص للجماعة بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسها، عقد المؤتمر بسراى آل لطف الله فى القاهرة، وألقى المرشد على جماهير الجماعة، الذين حضروا المؤتمر، خطبة مطولة تحدث فيها عن الجماعة وأهدافها، ولم يكن هو يمل من تكرار مثل ذلك الحديث فى كل مناسبة، مذكرًا الإخوان بجماعتهم. وفى هذه الخطبة وبعد أن تحدث عن الجماعة وجدناه يقفز إلى موضوع جديد، لم يكن قد طرحه أو تحدث فيه على هذا النحو وبهذه الصراحة. قال «يتساءل كثير من الناس: هل فى عزم الإخوان أن يستخدموا القوة فى تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان فى إعداد ثورة عامة على النظام السياسى أو النظام الاجتماعى فى مصر؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين فى حيرة. بل أنتهز هذه الفرصة فأكشف الكلام عن الجواب السافر لهذا فى وضوح وفى جلاء ، فليسمع من يشاء».

ولم تكن التساؤلات مطروحة من كثير من الناس، بل كانت مطروحة من بعض السياسيين والكتاب حول الأهداف الحقيقية أو الخفية للجماعة، كانت تحركات البنا وتصرفاته تحركات سياسية فى المقام الأول، لم يكن داعية دينى، هو ليس أزهريًا وليس متخصصًا في العلوم الدينية، بل كانت ثقافته الدينية متواضعة قياسًا

على علماء عصره، ومنذ الدور الذى لعبه فى استقبال الملك فاروق كان يتصرف كسياسى ويعامل هكذا؛ ولذا كان التساؤل مشروعًا وحقيقيًا، وحين يقول فى الجملة الأخيرة (فليسمع من يشاء) فالمقصود بها ليس جمهوره ولا أعضاء الجماعة، بل من يتساءلون، يقولها بثقة، بل وبغطرسة واستهانة أيضًا.

ويبدأ الإجابة بالقول«أما القوة فشعار الإسلام فى كل نظمه وتشريعاته» ثم يقول «إن الإخوان يعلمون أن أول درجة من درجات القوة . قوة العقيدة والإيمان، ويلى ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن نصف جماعة بالقوة حتى تتوافر لها هذه المعانى جميعًا، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهى مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك». أى أن قوة الساعد والسلاح تحتاج مرادفًا لها، وهو عقيدة قوية وإيمان نشط ونظام متماسك.. وهذا الذى يقول به البنا يستوى مع ما كان يقول به ستالين وهتلر وموسيلينى، باختصار الأنظمة الشمولية والفاشية، كان ستالين يتحدث عن قوة الأيديولوجية أو العقيدة الاشتراكية مع قوة السلاح السوفيتى وقوة التنظيم الشيوعى، وكذلك كان النظام النازى وأيضًا الفاشى. ثم يقول حسن البنا «أقول لهؤلاء المتسائلين إن الإخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً. وينتظرون بعد ذلك ثم يقومون فى كرامة وعزة، ويمثلون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح». وهذا أخطر تصريح، نحن بإزاء رجل يعترف أنه سوف يبنى ويكون قوة الساعد والسلاح، أى قوة عسكرية ثم أنه على استعداد لاستعمالها وسوف يستعملها، هذا يعنى أننا بإزاء دولة داخل الدولة - أو دولة موازية.. طبعًا هو لم يقل لنا ، متى - على وجه التحديد - سيتم استعمال القوة، وما هى حدود تلك القوة، ومن له تحديد متى يتم استعمالها ولا فى مواجهة من وضد من.. والمفهوم ضمنًا أنه هو، أى المرشد

العام، من سيحدد ذلك، وأنها ستكون ملك يديه وستتحرك بإرادته هو وتحديده.. والخطورة أن المرشد لم يكن يقتصر على الكلام فقط. لم يكن يقول كلام من باب الخطابة والحماسة، بل كان يقوله فى مجال الفعل والعمل المباشر على الأرض وفى الشارع، وسياق كلامه لم يكن يحتمل أنه سيستخدم القوة فى المجال الخارجى، بل هى على الوجه الأغلب سوف تكون فى الشارع والمجال الحيوى الذى يتفاعل ويعيش فيه وهو المجتمع المصرى بكل مكوناته.

وما يقوله حسن البنا بعد ذلك يزيد ما سبق إيضاحًا وتأكيدًا، إذ يطرح تساؤلاً جديدًا أو مكملاً صاغه على النحو التالى «يتساءل فريق آخر من الناس: هل فى منهاج الإخوان أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء والمتسائلين أيضًا فى حيرة ولا نبخل عليهم بالجواب.

وتأتى إجابته صريحة ومباشرة «الإسلام الذين يؤمن به الإخوان يجعل الحكومة ركنًا من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديمًا قال الخليفة الثالث رضى الله عنه: إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. وقد جعل النبى (ﷺ) الحكم عروة من عرى الإسلام. والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم. كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر.

إذن الحكومة عند الإخوان ركن من أركان الإسلام، والحكم من العقائد والأصول وليس من الفروع ولا من الفقهيات، صحيح أننا تعلمنا من قول رسول الله أن الإسلام خمسة أركان، وهى الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، لكن حسن البنا يضيف ركنًا سادسًا وهو الحكومة، ويجعله من العقائد، أى أن من يتجنب هذا المبدأ ويبتعد عنه يكون قد خرج عن الإسلام وهو ركن من أركانه؛ لذا نراه يقول فى نفس الخطبة منددًا بالعلماء المسلمين الذين لا يطالبون بالحكم ولا يسعون إليه. يقول «إن قعود المصلحين

الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف».

والمعنى أن مصلحًا في قامة الشيخ محمد عبده يعد مرتكبًا جريمة إسلامية حين قال: لعن الله فعل ساس ويسوس.. ومصلحًا في وزن عبد الرحمن الكواكبى الذى راح يندد بالاستبداد يعد مرتكبًا جرمًا لأنه اكتفى بالكتابة ولم يقم بالسعي نحو الحكم.. على أن اللافت فى كل ذلك كلمة حسن البنا «الإسلام الذي يؤمن به الإخوان» أي أن هناك إسلام خاص بالإخوان؟! إسلام مختلف عن ذلك الذى نعرفه جميعًا، أى إسلامنا وإسلامهم.. وإذا كان الإسلام كمعتقد ودين ثابت وواحد، فلماذا يخصص إسلام للإخوان يؤمنون به؟!

لن نلمس فى كلمات البنا إشارة من قريب ولا من بعيد إلى الاستعمار الإنجليزى، ولم نجد كلمة واحدة تصريحًا ولا تلميحًا حول الصهيونية وما تقوم به فى فلسطين، نحن فى حديث عن قضية محددة هى تكوين القوة.. وأن هدف هذه القوة هو الوصول إلى الحكم، باعتباره ركنًا من أركان الإسلام الذى يؤمن به الإخوان.

ويجب القول إنه فى ذلك العام ١٩٣٨م لم يكن هناك حديث ولا تصورات فى مصر عن مقاومة مسلحة أو نضال ضد الإنجليز، كانت مصر وقعت قبل عامين معاهدة سنة ١٩٣٦م، وكانت هناك حالة تفاؤل عامة بأن تلك المعاهدة حققت خطوة كبيرة فى طريق الاستقلال وأنها تفتح الطريق نحو الاستقلال التام، ويجب القول كذلك إن الملك فاروق وقتها كان فى بداياته، وكان هناك تفاؤل كبير به، فقد خلف والده العنيد الطاغية وهو شاب مفعم بالآمال، مقدم على الحياة، ليس لديه طغيان والده ولا شراسته.. كانت فترة من التفاؤل الجاد، ولنتذكر أنه فى السنة نفسها كان طه حسين انتهى من كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» الذى تحدث فيه عن مستقبل جديد، مفعم بالأمل والطموح.. وكان لدى حسن البنا طموح آخر هو الوصول إلى الحكم.

في فلسطين كانت هناك درجة من التفاؤل، كان الفلسطينيون قاموا بثورتهم العظيمة سنة ١٩٣٦م مما أدى إلى تراجع المشروع الصهيونى قليلاً، وأدخلت فى الأدراج فكرة تقسيم فلسطين، وبدا الإنجليز على استعداد لتفهم مطالب الفلسطينيين ومناقشتها، وهكذا كانت اللحظة - فلسطينيًا - فيها قدر من التفاؤل وحالة من الإيجابية، كان الشعب الفلسطينى فى موقف القوة وأثبت أن لديه قدرة على الضغط وبيديه الكثير من الأوراق تساعده على الضغط.

باختصار .. حين أسس البنا تنظيمه المسلح فإنه كان جزءًا أصيلاً من مشروعه وتفكيره، وقدم فى خطبته، الأساس العقائدى والأيديولوجى له، ومشروع التنظيم كان يبدأ من مصر ويتركز فيها بالأساس ، أى أن التنظيم كان يتعلق بأمور تخص تعامل الجماعة مع المجتمع المصرى ومع القوى والتيارات السياسية والفكرية وأيضًا الدينية الأخرى، أما حكاية أن التنظيم تأسس ليعمل ضد الاحتلال الإنجليزى والصهيونية، فهذا تبرير قيل حين تكشف الوجه القبيح والإرهابى للتنفيذ بعد اغتيال المستشار أحمد الخازندار، فالاعتداء على هذا النحو الفج على رجل قضاء، يعنى أن التنظيم لم يكن مستعدًا أن يترك أحد دون أن يقترب منه برصاصة، إذا وقف فى طريق الجماعة ومشروعها، أى طريق حسن البنا.

★★★

جرى اغتيال المستشار أحمد الخازندار لأنه أصدر أحكامًا على عدد من أعضاء الجماعة اعتبرها التنظيم الخاص قاسية، فتقرر إطلاق الرصاص عليه.. بعدها جرى اغتيال اللواء سليم زكى حكمدار العاصمة .. فضلاً عن أعمال إرهابية أخرى مما اضطر النقراشى باشا إلى إصدار القرار بحل الجماعة فى ديسمبر ١٩٤٨م فردت عليه الجماعة بالاغتيال فى نفس الشهر.. فأصدر حسن البنا بيانه الشهير «ليسوا إخواننا وليسوا مسلمين».. وبسبب هذا البيان ظهر القول لدى بعض كتاب الجماعة إن

التنظيم انفلت عقاله وإن قائده عبد الرحمن السندى كان يتخذ هذه القرارات وينفذ عمليات الاغتيال من وراء ظهر حسن البنا، ومن ثم فلا مسؤولية تقع على حسن البنا، وتقع المسؤولية على التنظيم وقيادته.. وهذا ما رفضه السندى تماماً ومعاونيه، وراحوا يؤكدون على أن البنا هو من أصدر إليهم الأوامر.. وثار خلاف داخل الجماعة، حول هذا الأمر - الشيخ محمد الغزالى يبرئ البنا، فنراه يقول: «كان الأستاذ حسن البنا نفسه، وهو يؤلف جماعته فى العهد الأول يعلم أن الأعيان والوجهاء وطلاب التسلية الاجتماعية الذين يكثرون فى هذه التشكيلات لا يصلحون لأوقات الجد. فألف ما يسمى بالنظام الخاص، وهو نظام يضم شبابًا مدربين على القتال، كان أن الغرض من إعدادهم مقاتلة المحتلين الغزاة من الإنجليز واليهود. وقد كان هؤلاء الشبان الأخفياء شرًا وبيلاً على الجماعة فيما بعد، فقد قتل بعضهم بعضًا وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب فى يد من لا فقه لهم فى الإسلام ولا تعويل على إدراكهم للصالح العام»[1].

الشيخ الغزالى يشير هنا إلى واقعة قيام التنظيم الخاص باغتيال سيد فايز، بأن أرسلوا إلى بيته هدية عبارة عن علبة من الحلوى مفخخة، وكان السبب أن المرشد العام حسن الهضيبى قرر تعيينه مسؤولاً للتنظيم الخاص.. لكن ما يقوله الغزالى عن أن البنا أسس التنظيم لأنه كان يدرك أن الوجهاء والأعيان والراغبين فى التسلية الاجتماعية لن يصلحوا لأوقات الجد، مناف للوقائع، فالذين دخلوا الجماعة فى عهدها الأول لم يكونوا كذلك، لم يكن بينهم وجيهًا ولا عينًا من الأعيان، بل كانوا مواطنين بسطاء.. بسطاء فى تعليمهم وثقافتهم، وفى وضعهم الاجتماعى والاقتصادى .. كان بينهم النجار والسباك والحداد، وهكذا .. ولأول مرة نعرف أن الجماعة دخلها فى عهدها الأول راغب التسلية الاجتماعية، أى أناس يبحثون عن

(١) محمد الغزالى: من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٣م، دار الكتب الحديثة، ص ٢٦٤.

جماعة لتمضية وقت الفراغ، بديلاً عن جلسات النميمة والمقاهى والنوادى بمعيار ذلك الزمان. ويقول الغزالى إنه كان مفروضًا أن يقوم أعضاء التنظيم الخاص بمكافحة الإنجليز واليهود، ولا نعرف من فرض ذلك؟ ذلك أن هذا التنظيم بدأ فعليًا يحارب المصريين وليس الإنجليز، حدث ذلك فى عهد البنا نفسه.

وفى مذكراته يحكى د. عبد العزيز كامل أنه حضر فى مارس ١٩٤٨م اجتماعًا فى المركز العام للإخوان حضره المرشد العام حسن البنا وقادة التنظيم الخاص، كان الاجتماع حول مقتل المستشار أحمد الخازندار.. يكتب عبد العزيز كامل «قال الأستاذ: إن كل ما صدر منه من قول تعليقًا على أحكام الخازندار في قضايا الإخوان «لو ربنا يخلصنا منه». أو لو نخلص منه، أو لو أحد يخلصنا منه، معنى لا يخرج عن الأمنية ولا يصل إلى الأمر، فالأمر محدد وإلى شخص محدد، ومن لم يصدر أمرًا، ولم يكلف أحدًا بتنفيذ ذلك»[1].

ثم يحكى د. عبد العزيز أنه وجه السؤال إلى المرشد العام:

- هل أصدرت فضيلتكم أمرًا صريحًا لعبد الرحمن بهذا الحادث؟
- قال: لا.
- قلت: هل تحمل دم الخازندار على رأسك وتلقى به الله يوم القيامة؟
- قال: لا.

وتوجه بالسؤال نفسه إلى عبد الرحمن السندى مسؤول التنظيم الخاص.

- ممن تلقيت الأمر بهذا؟
- فقال: من الأستاذ.
- قلت: هل تحمل دم الخازندار على رأسك يوم القيامة
- فقال: لا.

(١) عبد العزيز كامل: فى نهر الحياة ص ٤٦، المكتب المصرى الحديث، ط ٢٠٠٦م

ويذكر د. عبد العزيز أنه قال «الأستاذ ينكر وأنت تنكر، والأستاذ يتبرأ وأنت تتبرأ»، فرد عليه عبد الرحمن: عندما يقول الأستاذ أنه يتمنى الخلاص من الخازندار، فرغبته فى الخلاص أمر منه». وسبتت الحال على هذا النحو.. المرشد «طوال الجلسة: أنا لم أقل ذلك، ولا أحمل المسؤولية».

وعبد الرحمن يرد: لا أنت قلت لى وتحمل المسؤولية[1].

من يتحمل المسؤولية، السندى نفذ العملية واغتال المستشار، أى قتل مواطنًا مسلمًا، وفى الواقع قتل معه آخر وهو الذى نفذ عملية القتل وينتظره حكم الإعدام، لكنه يصر على أن تلقى أمر من المرشد والمرشد يقول إنه لم يأمر، بل «تمنى» الخلاص من المستشار، وحتى لو لم يأمر بشكل مباشر فهو يتحمل المسؤولية. فلو أن رئيس دولة جلس مع رئيس المخابرات وقال أمامه أنه يتمنى الخلاص من شخص، فهذا من الناحية العملية أمر مباشر، فلو أن الرئيس الأمريكى استدعى مدير المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) وقال له إنه يتمنى الخلاص من أسامه بن لادن، فهذا أمر مباشر بالعمل على التخلص منه ولا شيء غير ذلك. وحكاية الأمر المباشر من عدمه، فهى سفسطة إجرائية فقط، المرشد يتمنى إذا جلس بين ناس عاديين، لكن بين مقاتلين، يأتمرون بأمره، وهو قائدهم الأعلى، فالأمر مختلف.

ذلك الاجتماع الذى يتحدث عنه عبد العزيز كامل شارك فيه محمود الصباغ، وهو أحد معاونى السندى، يكتب الصباغ بالحرف بأن هناك تعليقات من المرشد العام عن بعض الأحداث «يقصد بها مجرد الكتمان لحقائق هذا الأمر، فى هذا الظرف». ثم يتحدث عن طبيعة العمل فى ذلك التنظيم بأنها، لا تسمح لقائد ولا لأحد من المسؤولين فيه أن يقوم بأى عمل دون إذن المرشد العام وأمره، وأن كل اختصاصات قيادات النظام الخاص محصورة فى الأعمال التنظيمية والتربوية لرجاله،

(١) يمكن مراجعة المشهد كله فى مذكرات عبد العزيز، كامل ص ٤٧-٤٨.

ووضع الخطط التنفيذية للعمليات التى يتلقون الأمر بالقيام بها من المرشد العام شخصيًا»[1]. ثم يضيف «ولو كان الأمر على غير ذلك لكان النظام الخاص عصابة مستقلة، تهدد كيان الجماعة، بالقيام بأعمال لم يأذن بها مرشدها لكون أعضائه جميعًا أعضاء فى الجماعة»[2]. ثم يقول مدافعًا عن رجال ذلك التنظيم بأنهم «رجال النظام الخاص، رجال لا يتميزون إلا بصدق العقيدة والاستعداد للاستشهاد فى سبيلها، باذلين كل ما يملكون من دم ومال ومدربين تدريبًا كافيًا على ما يقومون به من عمليات، وليس لهم من أمر الفتيا بجواز عمل من الأعمال، أو تقدير الأثر السياسى لأى من هذه الأعمال، شيء على الإطلاق.. فالفتيا فى هذه الأمور، وتقدير آثارها، متروكة تمامًا لحكمة المرشد العام وفقهه»[3].

يحسم هذا الأمر ما حدث فى نهاية الاجتماع الذى حدثنا عنه د. عبد العزيز كامل إذ يذكر «قلت له- والمقصود حسن البنا - هل نترك المسائل على ما هى عليه، أم نحتاج منك إلى صورة جديدة من صور القيادة، وتحديد المسؤوليات؟» فرد البنا «لا بد من صورة جديدة وتحديد مسؤوليات.. واستقرار على تكوين لجنة تضم كبار المسؤولين عن النظام، بحيث لا ينفرد عبد الرحمن برأى ولا تصرف، وتأخذ اللجنة توجيهاتها الواضحة المحددة من الأستاذ وأن يوزن هذا بميزان دينى يقتضى أن يكون من بين أعضائها - بالإضافة إلى أنها تتلقى أوامرها من الأستاذ - رجل دين على علم وإيمان، ومن هنا جاء دور الشيخ سيد سابق ميزانًا لحركة الآلة العنيفة»[4].

سوف نلاحظ أن المجتمعين بمن فيهم حسن البنا تعاملوا مع جريمة قتل المستشار على أنه خطأ فى الفهم وقع ولا أكثر من ذلك، رغم أن عقوبة القتل فى

(١) محمود الصباغ: التصويب الأمين، ص ٣٣.

(٢) نفسه، نفس الصفحة.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

(٤) مذكرات عبد العزيز كامل، مرجع سابق، ص ٤٨.

الإسلام معروفة، وما حدث لم يجعلهم يعيدون النظر فى المشروع أو فى وجود التنظيم الخاص وطبيعة عمله، ولكنهم فقط قرروا أن لا ينفرد عبد الرحمن السندى بالرأى، وأن يرجع إلى المرشد العام.. ولا جديد فى ذلك لأن السندى قال إنه لم يتصرف من تلقاء نفسه، لكنه سمع من المرشد العام، الجديد هو ضم الشيخ سيد سابق، وبعد مقتل النقراشى، اعترف قاتله بأن سيد سابق من قدم له الأدلة الشرعية على استحقاق النقراشى للقتل.

هذه النهاية للاجتماع تجعلنا نتأكد من أن البنا لم يكن ضد الاغتيال ولا ضد تصفية الخصوم، هو فقط أكد على ضرورة الرجوع إليه عند تنفيذ العملية، وفى ضوء هذه التعديلات - الوهمية فى الواقع - على التنظيم الخاص تمت تصفية النقراشى. هنا تقع المسؤولية بالكامل على حسن البنا.

فى جريمة اغتيال أحمد ماهر أنقذ صمت العيسوى التنظيم والجماعة، وساعد ضعف قدرات رجال الأمن على عدم المتابعة والبحث للوصول إلى شركاء العيسوى الثلاثة الذين اختفوا بعد تنفيذ الجريمة، وبعد اغتيال الخازندار كانت هناك فرصة ذهبية للبنا لإنقاذ الجماعة ولإنقاذ مصر، لكنه كان ينطوى على رغبة فى تخويف الآخرين وإرهابهم، هل نذكر هنا ما رواه فتحى رضوان فى مقال له بمجلة الدوحة بأنه يوم اغتيال الخازندار التقى مساءً بحسن البنا عابرًا، فقال له البنا بثقة «هه.. هل أدرك الناس الآن ما يمكن أن نفعله؟». كانت أمامه خطوات يمكن أن يتخذها وقرارات حاسمة كان عليه اتخاذها، منها:

أولاً: إما وأنه ذهب إلى أن السندى أساء فهم التوجيه وأساء فهم كلمة المرشد، وبناء على هذا قام بارتكاب جريمة اغتيال أحد رجال القضاء، فكان الواجب عزل السندى وإحالته إلى محاكمة أو تحقيق تأديبى داخل الجماعة.. لكن لم يتخذ أى إجراء نحوه وأبقى عليه فى موقعه هو والمجموعة المعاونة له، بل حظى التنظيم بتأكيد دوره وعمله.

ثانيًا: كان أمام المرشد العام خطوة أكثر جذرية، وهى أن يقوم بتصفية التنظيم الخاص وحله. وتوزيع أعضائه على جوانب عمل الجماعة، وتسليم سلاحه إلى الداخلية، وكان ذلك ممكنًا وبلا عقاب، أو حتى تقديمه هدية للفلسطينيين، ويكتفى بالكارثة التى وقعت.. لكنه لم يفعل.

ثالثًا: كان ممكنًا أن يقوم بعملية مراجعة لتوجه الجماعة التى قادها هو إليه، وهو الغرق فى مستنقع السياسة بأحط أشكال ممارستها، وأن يجعل من الجماعة جماعة للدعوة إلى الفضائل وحسن الخلق، لكن حسن البنا كان مأخوذًا بجاذبية اللعب فى كواليس السلطة والديوان الملكى واستقبال مندوبى السفارات الأجنبية وأجهزة مخابراتها.

رابعًا: كان يمكن أن يصدر قرارًا صارمًا - شفويًا أو كتابيًا - بأنه ممنوع على التنظيم الاعتداء على حياة أى مصرى أيًا كان السبب، أو عدم تهديد أى مواطن مصرى، مهما كان من اختلاف له مع الجماعة أو حتى عداء ورفض لها. لكننا وجدناه فى أزمة مصرع الخازندار يحصر القضية فى هل قال مباشرة للسندى اقتله أو أن السندى فهم ذلك، بينما لم يبد استنكاراً لمبدأ الاغتيال ذاته وتهديد حياة الآمنين والاعتداء على المدنيين.

خامسًا: كان من الممكن أن يضم إلى عضوية التنظيم عضوًا بالجماعة من القانونيين أو متخصصاً فى الشريعة الإسلامية، يكون ضابط إيقاع لذلك التنظيم ويحد من اندفاع أعضائه، بل حتى يكون مستشار للمرشد نفسه، باعتباره القائد الأعلى للتنظيم، يستشيره ويأخذ رأيه فى بعض العمليات، خاصة ما يتعلق منها بالمواطنين المصريين وممتلكاتهم.. لكنه لم يفعل.

سادسًا: هناك خطوة إنسانية، تعبر عن اللياقة والمسؤولية الإنسانية، وتمثل الحد الأدنى من الفعل أو أضعف الإيمان، وهو أن يصدر بيانًا باسمه يعتذر فيه عن الجريمة

التى ارتكبت، اعتذاراً إلى السادة القضاة، لما حدث فى حق واحد منهم، أو أن يصدر بيان اعتذار إلى أسرة المستشار أحمد الخازندار، أو يعرض دفع تعويض مناسب لهم.. أو حتى دية، شيء بسيط يعبر به عن الاعتذار ويؤكد به أن ما وقع بحق الخازندار لا يعبر عن اتجاه أساسى للجماعة أو رغبة خاصة لديه، وأن مرتكب الجريمة والفعل كله عملاً استثنائيًا وقع، بتحمل مسؤوليته من قام به.. وكان بمكن إصدار بيان عام للمصريين بأن جريمة الاغتيال التى تمت لن تتكرر ثانية بحق أى مصرى، أيًا كان موقعه أو موقفه منهم.

ذكر د. محمود عساف أن هناك من اقترح على المرشد دفع دية لأسرة الخازندار، لكنهم اكتشفوا أن الحكومة دفعت تعويضاً للأسرة، فاعتبروا ذلك إسقاطًا للدية الواجبة عليهم.

الواقع يؤكد أن البنا لم يفعل أى شيء، بل أبقى كل شيء كما هو، ومن ثم كان طبيعيًا أن يستفحل التنظيم ويتوحش ثم يقدم على ما هو أسوأ وأخطر.. وكانت النتيجة النهائية أن شرب حسن البنا الكأس نفسها، وجرى له ما جرى على الآخرين..

الفصل الخامس

حرب فلسطين

أحمد حسين وليس حسن البنا

من شباب محمد إلى حسن أفندى البنا

«إنك لم تكن أمينًا على الحوادث ولعلك ما زلت تذكر الحديث النبوى الشريف أن المؤمن قد يفسق وقد يسرق ولكنه لا يكذب قط».

السائد فى أدبيات جماعة الإخوان المسلمين أن النقراشى باشا أصدر قرار حل الجماعة فى ديسمبر ١٩٤٨م، استجابة لضغوط وأوامر أجنبية، إنجليزية وفرنسية وأمريكية، وهذه الأوامر صدرت عن دوافع صهيونية، وذلك انتقامًا من الجماعة للدور البطولى الذى قامت به فى حرب فلسطين، وأنه لولا قرار الحل فإن الجماعة كانت على وشك إنقاذ فلسطين وإبادة إسرائيل نهائيًا، يقول كتاب الجماعة ذلك تبريرًا لما قاموا به من اغتيال النقراشى، نجد ذلك واضحًا فى كتاب محمود الصباغ «حقيقية التنظيم الخاص»، ولدى آخرين من كتابهم، لكن ما ردده هؤلاء الكتاب لإثبات تهمة الخيانة والكفر على رئيس الوزراء، وأنه كان يستحق الاغتيال، انتقل إلى مجال آخر تمامًا، وهو أن الجماعة ومرشدها المؤسس تعرضوا للحل سنة ١٩٤٨م استجابة للضغوط الصهيونية، وأن الجماعة كانت مهيأة بمتطوعيها وأسلحتها لإنقاذ فلسطين من الضياع، لكن حكام مصر، آنذاك، أى النظام الملكى ممثلاً فى الملك فاروق ورئيس الوزراء محمود النقراشى تدخلوا فى اللحظة الأخيرة لإنقاذ إسرائيل من دمار محقق، ومن ثم فقد أضاعوا فلسطين..

يذهب إلى ذلك من يوصفون بالمعتدلين داخل الجماعة، ومن يوصفون بالتشدد، أى أنه موضع إشفاق بين مختلف أطياف الجماعة، وكذلك بين أجيالها المتباينة، فما زال هذا الكلام يتردد إلى اليوم، وفى ديسمبر سنة ٢٠٠٨م، فى ذكرى مرور ستين عامًا على اغتيال النقراشى، أعادت الجماعة إنتاج نفس الأفكار، بالكلمات ذاتها، لكن بلهجة أشد حدة وأشد ثقة.

د. حسان حتحوت، أحد الذين عاصروا البنا وعايشوه، يقول «فى اعتقادى أن السبب الأول لحل الإخوان، كان الطريقة التى حاربوا بها فى فلسطين. الداخل والخارج خافا من هذه العقيدة التى تحل فى المصرى العادى المسالم بطبعه فتحيله إلى الفدائية والبسالة اللتين لم تكونا معروفتين فى ذلك العهد»[١]. ثم يقول «الملك والأحزاب فى الداخل والصهيونية والاستعمار فى الخارج كانوا فى خندق واحد تجاه الإخوان»[٢]. ثم يقول «وعلمنا من بعد أن سفراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا قابلوا الملك وطلبوا منه حل الإخوان»[٣].. وإذا كان د. حسان يقطع بأن السفراء الثلاثة التقوا الملك فاروق وطلبوا إليه أن يحل الإخوان، فإن غيره من كتاب الجماعة لا يصلون إلى هذا اليقين، حيث يذكرون أن السفراء الثلاثة اجتمعوا فى فايد وأوعزوا إلى الحكومة المصرية أن تتخذ هذا القرار، أى أنهم لم يلتقوا الملك ولم يتصلوا به، ولكنهم «أوعزوا» إلى رئيس الحكومة، أى لم يطلبوا منه ذلك مباشرة، والمفاجأة أن الذى قال بذلك المرشد الأول حسن البنا نفسه فى معرض رده على مذكرة الحل التى رفعها وكيل الداخلية عبد الرحمن عمار.. وبعد مرور كل هذه السنوات وتكشف الكثير من الوثائق، فإن السفراء الثلاثة لم يجتمعوا وقتها في فايد، ولم يستقبلهم الملك فاروق فى تلك الفترة، ولم يستقبلهم أبدًا مجتمعين، وإن قرار الحل اتخذه النقراشى بعد حوادث الإرهاب التى قاموا بها، خاصة مقتل الخازندار، وأن هناك فريقًا فى الداخلية

(١) حسان حتحوت: عشر سنوات مع الإمام حسن البنا، دار الشروق، ط ٢٠٠٠م، ص ٧١.
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٣) المرجع السابق، ص ٧٢

المصرية كان يعارض قرار الحل، لأن الداخلية لم تضع يدها على كل عناصر التنظيم الخاص ولا تعرف حجم ما لديه من أسلحة وذخائر.

يقدم حسين محمد أحمد حمودة فى كتابه «حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون» نفس التفسير لكن بحيثيات أخرى كأحد ضباط الصف الثانى فى تنظيم الضباط الأحرار.

يقول «كان الملك فاروق ينظر بعين الريبة إلى الإخوان المسلمين ويخشى أن يؤلفوا جيشًا فى فلسطين يكون خطرًا على عرشه. حقًا لقد كان الإخوان المسلمون خطرًا على إسرائيل، وقد فهم اليهود ذلك حق الفهم فى ميدان القتال، فأوحى اليهود إلى الإنجليز الذين أوحوا إلى الملك فاروق وأدخلوا فى روعه أن استمرار الإخوان فى جهادهم بفلسطين والنشاط الذي يجريه حسن البنا فى مصر لتجهيز قوات إخوانية كثيفة ليدخل بها فلسطين وإيقاظه لروح الجهاد الدينى فى الشعب المصرى سيصبح خطرًا داهمًا على عرش فاروق، فأمر الملك فاروق رئيس وزرائه محمود فهمى النقراشى باتخاذ الإجراءات اللازمة للبطش بجماعة الإخوان المسلمين واستئصال شأفتهم»[1].

هنا يبدو أن الضغط كان إنجليزيًا فقط، وأن صاحب قرار الحل هو الملك فقط، وأن النقراشى باشا كان مجرد منفذ لأمر الملك فقط. أى أنه لم يكن ضالعًا فى مؤامرة دولية لصالح الصهيونية، لكن رئيس وزراء ينفذ تعليمات الملك، الذى كان خائفًا على عرشه من البنا!!

ما يعنينا الآن هو ما يتعلق بفلسطين، إذ يقول «ولو ترك حسن البنا على حريته لدفع إلى فلسطين بعشرات من الكتائب الإخوانية ولتغيرت نتيجة حرب فلسطين لا محالة. وخشى الملك فاروق أن يطمع حسن البنا فى حكم مصر وبخاصة بعد أن

(١) حسين محمد أحمد حمودة: أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين، الزهراء للإعلام العربى، ط٤، سنة ١٩٩٤م، ص ٥٩.

ظهرت بسالة وفدائية متطوعى الإخوان فى الحرب، فقرر التخلص من الشيخ حسن البنا بقتله واغتياله»[1].. هنا يختفى الملك من قرار الحل ويظهر فى قرار الاغتيال.

هذا المنهج فى تفسير قرار الحل، بدأه حسن البنا، فقد أعد «البنا» مذكرة للرد على مذكرة عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية بحل الجماعة، وأطلق البنا على مذكرته عنوان «قضيتنا»، ولم يقتنع فيها بأسباب حل الجماعة، ثم قال «مستحيل أن يكون الدافع الحقيقى لهذه الخطوة الجريئة من الحكومة مجرد الاشتباه فى مقاصد الإخوان أو اعتبارهم مصدر تهديد للأمن والسلام، وهو ما لم يعتمد عليه دليل ولا برهان، ويكمن الدافع الحقيقى فيما نظن فى انتهاز الأجانب فرصة وقوع بعض الحوادث مع اضطراب السياسة الدولية وقلق الموقف فى فلسطين، وتردد سياسة مصر بين الإقدام والإحجام فشددوا الضغط على الحكومة، وقد صرح بذلك سعادة عمار بك نفسه، وأقر بأن سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا قد اجتمعوا فى فايد وكتبوا لدولة النقراشى صراحة بأن لا بد من حل الإخوان المسلمين. وكان فى وسع دولته أن يزجرهم من مثل هذا التدخل فى شأن داخلى بحت». وعلى هذا النحو يواصل البنا الكلام إلى أن يقول عن النقراشى بدلاً من ذلك استجاب لهذه الرغبة الأجنبية وإصدار قرار الحل فأشمت الأعداء وأحزن المؤمنين الأتقياء».

ويكشف هذا النص عن غرور وثقة مطلقة، حين يقطع بأنه «مستحيل» أن تكون الدوافع الحقيقة للحل هى ما وردت بمذكرة عمار، ثم هو يقع فى تناقض حين يقول إن هناك «بعض الحوادث» وقعت، دون أن يحددها ولا أن يحدد من قام بها، لكن بين هذه الحوادث «اغتيال رئيس محكمة فى الشارع العام.. وينسب حكاية اجتماع السفراء الثلاثة فى فايد إلى عبد الرحمن عمار، وقد قام عمار بتكذيب البنا ونفى أن يكون قد قال ذلك، نفاه فى تحقيقات النيابة العمومية بعد اغتيال النقراشى باشا،

(١) المرجع السابق، ص ٦٩.

ولو أن هذه الواقعة حدثت فالذى يصرح بها ليس وكيل وزارة الداخلية، بل يصدر التصريح عن مكتب رئيس الوزراء أو عن وزارة الخارجية باعتباره يدخل فى اختصاصها أو عن أحد من السفراء الثلاثة .. كان حسن البنا يكذب فى هذه الجزئية وصدقه مريدوه، لقد تكشفت الكثير من الوثائق بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، ولو أن شيئًا من ذلك حدث لما أخفاه الضباط الأحرار، فضلاً عن أن الوثائق الأجنبية حول تلك المرحلة كشفت، والأهم من ذلك أن العلاقة بين الدول الثلاثة «بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة» لم تكن على هذه الدرجة من التقارب، فقد كانت أمريكا تسعى إلى إزاحتهما من المنطقة، ولا أفهم لماذا وقع اختيار البنا على مدينة فايد.. رغم أنها لم تكن مدينة رئيسية فى مصر، لماذا لا تكون الإسماعيلية، حيث مقر شركة القناة ولماذا لا تكون القاهرة أو الإسكندرية ؟!

ويشعر المرء فى كتابات الإخوان وكأنهم وحدهم انشغلوا بالقضية الفلسطينية ، وكانوا مهمومين بها، وضحوا من أجلها وعوقبوا بسببها واضطهدهم العالم كله لهذا السبب، والواقع أن ذلك أبعد عن الحقيقة، وفيه إصرار على إنكار جهود آخرين، قبل الإخوان، ولو راجعنا الوقائع فلم يكن هم وحدهم الذين انشغلوا بها ولا كانوا أول من اهتم بها ولا أكثر من بذل جهداً أو تضحية، بل الصحيح أنه كما استغلت أطراف عديدة القضية الفلسطينية لإضفاء هالة من الوطنية والإخلاص على أنفسهم وتبرير أشياء كثيرة، فإن الإخوان أجادوا استغلال هذه القضية للتغطية على أعمال إرهابية قاموا بها وانتهازية سياسية مارسوها.

ومنذ وقت مبكر، شغلت الصحافة المصرية وعدد من الكتاب بما يجرى على أرض فلسطين، كان ذلك منذ تسعينيات القرن التاسع عشر، وتواصل الاهتمام بها، وحين صدر وعد بلفور سنة ١٩١٧م فزع له كثير من المصريين ونددت به شخصيات عديدة، ولما وقع حادث البراق سنة ١٩٢٩م ألقى عدد من الشخصيات المصرية بأنفسهم فى القضية وفى مقدمتهم محمد على علوبة، وشغلت الثورة

الفلسطينية سنة ١٩٣٦م المصريين جميعًا، ونقرأ فى مذكرات لورد كيلرن أنه التقى مصطفى النحاس رئيس الوزراء على العشاء مساء ٤ يوليو سنة ١٩٣٧م وتحدثا عن المسألة الفلسطينية، يقول السفير «وأبلغنى بأنه لا يحبذ إطلاقًا الاقتراح الخاص بالتقسيم، وأنه على ثقة من أن العرب لن يوافقوا على ذلك أيضًا، وأكثر من ذلك فإنه كرئيس لوزراء مصر لا يمكن أن يتعاطف مع الاتجاه الداعى إلى إقامة دولة على حدود فلسطين»(١). فالنحاس باشا يبلغ السفير البريطانى فى مصر أنه يرفض فكرة تقسيم فلسطين وأنه لا يوافق على إقامة دولة لليهود فى فلسطين. ويواصل السفير حديثه عما سمعه من النحاس باشا «ويرى أن الحل الجذرى والمقبول هو إقامة حكومة عربية فى فلسطين ترتبط بإنجلترا بتحالف وثيق مع ضمان حرية الأديان لكل مواطنيها من اليهود والمسلمين والمسيحيين وغيرهم، فقلت له إننى أوافق على ذلك، إلا أن ذلك الاتجاه يتجاهل سلطات الانتداب والتى اعترفت بفلسطين وطن قومى لليهود»(٢). ويقول السفير إن النحاس لم يهتم بقوله واستطرد قائلاً «إن فكرة الانتداب لم تكن بالفكرة الصائبة أصلاً ويتعين التخلص منها»(٣).. أى أن طبقًا لرأى النحاس يجب أن تنهى بريطانيا الانتداب على فلسطين وتسلمها لأهلها كى تقوم فيها حكومة عربية.

ونقرأ أيضًا فى مذكرات السفير أنه التقى الملك ظهر يوم الجمعة ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٧م حيث دار بينهما حديث وصفه السفير بأنه «ودى» وكان الحديث حول فلسطين، يذكر السفير بالحرف «وقال جلالته إن بلفور كان سخيفًا عندما منح البعض وعودًا بأشياء لا يملكها إذ أنها من حق أناس آخرين .. فقلت له إننى أوافقه

---

(١) راجع مذكرات اللورد كيلرن فى مصر، ترجمة وتحقيق د. سامى أبو النور، مكتبة مدبولى، بدون تاريخ، ص ١١١.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٢.

الرأى فى ذلك»[١]. ذلك هو رأى جلالة الملك بعد عام من توليه الحكم، وكان الملك نفسه، هو من أخذ على عاتقه السماح لمفتى القدس بالمجيء إلى مصر رغم أنه كان مطاردًا من الإنجليز . وحين تأسست الجامعة العربية ويسعد بها الجميع بمن فيهم مرشد الإخوان يكتب د. طه حسين (عميد الأدب العربي) منبهًا إلى أن معيار بقاء ونجاح الجامعة الأكيدة هو فيما تقدمه إلى فلسطين وعرب فلسطين فى محنتهم التى تهدد وجودهم.

كان التعاطف مع قضية فلسطين رسميًا وشعبيًا، لم ينفرد به تيار أو حزب أو جماعة.. ثم تطور التعاطف إلى المناداة بجمع التبرعات وإرسالها إلى الفلسطينيين لمعاونتهم على مواجهة الصهيونية، ولم تكن هناك جهة بعينها تتولى الجمع، تبرع بعض الأعيان ونشطت مصر الفتاة والإخوان المسلمين فى جمع التبرعات من أعضاء كل منها، ثم وقع خلاف ضخم داخل جماعة الإخوان، كان الخلاف بين مجموعة من الأعضاء مع المرشد العام حسن البنا، وكان ذلك مطلع عام ١٩٤٠م، ونشر هؤلاء الغاضبون بيانًا لهم فى مجلة النذير (أول فبراير ١٩٤٠م) بعنوان «قضية فى سبيل الله .. موقفنا النهائى من جمعية الإخوان المسلمين». أخذ فيه الغاضبون أربعة أمور على المرشد العام، حمل الأمر الثالث منها عنوان «التلاعب المالى» وفيه قالوا إنهم طلبوا إلى فضيلة المرشد تكوين هيئة قوية لمراقبة المال والمحافظة عليه وتكون الهيئة مسؤولة أمام الإخوان، لكن أعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول الذى نعده طلبًا عادلاً يتفق مع أبسط مبادئ الإدارة». وكان من نتيجة ذلك حدوث خلل وتجاوزات مالية فى عدة أمور، نتوقف نحن - هنا - عند ما ورد فيها متعلقًا بالقضية الفلسطينية وننقله بالحرف الواحد: « قد جمع فى خلال عام أو أكثر على سبيل الاكتتاب من الشعب مبالغ لمساعدة فلسطين الشقيقة فى محنتها التى تجتازها وبلغ مجموع هذه الاكتتابات حسب بيان الأستاذ الأخير مبلغ ٥٧٠ جنيهًا مصريًا، ومما لا شك فيه أن

(١) المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.

هذا المبلغ يعتبر أمانة في ذمة الإخوان فرض عليهم أن يؤدوها إلى أصحابها بمجرد وصولها إلى أيديهم، ومع ذلك فلم يصل إلى الفلسطين من هذا المبلغ سوى ٦٥؛ جنيهًا على ثلاث دفعات، أما باقى المبلغ فقد اعترف الأستاذ أن جزءًا كبيرًا منه أنفق في شؤون الجمعية الخاصة ولا يرى فضيلته في ذلك مانعًا شرعيًا، ثم عاد وقال بعد أن سمع حكم الشرع في هذا إنه مستعد لجمع هذا المبلغ وإرساله. والمهم كذلك أنه لا وجد بخزانة الجمعية مليم واحد من هذا المبلغ أيضًا».

هذا البيان الغاضب وقع عليه ١٨ عضواً من الإخوان من بينهم عضو مكتب إرشاد سابق ومندوب شعب الأقاليم ومناديب عدة كليات بجامعة القاهرة وجامعة الأزهر وآخرون .. وهم المجموعة التى كونت جماعة «شباب محمد ﷺ».

كانت الاتهامات قاسية وجارحة في حق حسن البنا، خاصة منها ما يتعلق بالمسائل المالية، فضلاً عن بند آخر تعلق بالمسائل الأخلاقية؛ ولذا كان لا بد من الرد ونشرت مجلة الجماعة ردًا على هذا البيان، حمل توقيع الجماعة، لكن فيما يبدو أن المرشد هو الذى كتبه، وجاء فيه بخصوص الجوانب المالية لفلسطين إن المبلغ المتبقى أنفق على أمور الدعاية للقضية، ولم يكن هذا مقنعًا لأصحاب البيان الأول فضلاً عن أن المرشد بذلك لم ينكر ما قالوه؛ ولذا فتح الرد المجال أمامهم ليعقبوا عليه ويضيفوا وقائع جديدة، وهكذا نشروا في عدد ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٠م / ١٦ محرم سنة ١٣٥٩هـ متهمين الأستاذ حسن البنا «بأنه» شوه فيه الحقائق الثابتة تارة وتغافل عن بعضها تارة، محاولاً بعد ذلك كله أن يحصر ما اختلفنا عليه في نواحي شخصية ضيقة مبتغيًا من وراء ذلك التغرير بالبسطاء والسذج..»، وتوقفوا عند ما يتعلق بفلسطين والتبرعات لها، جاء في البيان «أما أموال فلسطين فإنك تقول إن أعمال الدعاية لها وصلت إلى أكثر من ١٢٤ جنيهًا بينما أنك قد أعلنت أمام جمع كبير من الإخوان واعترفت صراحة بأنك صرفت على شؤون الجمعية مبلغ أربعين جنيهًا وقلت إن هذا جائز شرعًا، فرد عليك أحد الإخوان وهو محمد أفندى عبد الوهاب وأظهر

ذلك أن هذه أمانة وأن الشرع لا يبيح التصرف فيها ولا بطريق الاستدانة وحينذاك تراجعت عن رأيك الأول وقلت إذن فلنجعلها من جديد ولنرسلها. فقام أحد الإخوان وهو الدكتور إبراهيم أبو النجا وقدم جنيهًا مكتتبًا به من هذا المبلغ وتذكر ما حدث من مسألة تمزيق هذا الجنيه بالذات..» ولم يتوقف السادة الغاضبون عند هذا الحد بل قالوا أو أضافوا «ثم إنك اقترضت من أموال فلسطين الخاصة بجمعية الشبان المسلمين مبلغ عشرين جنيهًا قرضًا خاصًا فى شهر أغسطس ١٩٣٩م لم يسدد منهم إلى الآن سوى ٩ جنيهات وباقى المبلغ ما زال حتى الآن فى ذمتك وقد اعترفت به أمام كثير من الإخوان».

ويواصل الغاضبون توجيه الاتهامات إلى حسن البنا «أما ما ذكرته عن مبلغ ١٢٤ جنيهًا التى صرفت فى مطبوعات ورسائل وبريد وبرقيات وسفر مندوبين وطبع قسائم وعمل شارات وتذاكر شخصية وما إلى ذلك فإن جميع هذه الأبواب قد أنفق عليها من أموال فلسطين الخاصة والشهود على ذلك هم محمد أفندى السعيد فتح الله الذى كان يتولى جمع أموال فلسطين والصرف منها بأمرك، والشيخ محمد حسنين عمر والشيخ محمد الحسينى عبد الغفار والشيخ عبد البارى عمر خطاب والأفندية حسام عامر وأحمد فهمى فتح الله وشاكر الغرباوى ومحمد عزت حسن وعلى الحنفى الذين تسلموا نفقات سفرهم للدعاية لفلسطين ولتسليم الدفاتر للشعب من سعيد أفندى فتح الله، وبلغت هذه النفقات ما يزيد عن العشرين جنيهًا». ويواصل البيان القول «وكان أمين صندوق الجمعية فى هذه الأثناء الحاج أحمد عطية وليسأل الحاج أحمد إن كان قد سلم إلى سعيد أفندى فتح الله أى مبلغ ليسلمه إلى هؤلاء الإخوان؟» وعلى هذا النحو يستمر البيان فى سرد وقائع حدثت وأطرافها جميعًا أحياء، وتؤكد الوقائع ضرورة الرقابة المالية المؤسسية وليس التصرفات الشخصية للمرشد.. ويواصل القول «أما مصروفات طبع الطوابع والشارات والبطاقات الشخصية والبريد فقد دفعها سكرتير لجنة فلسطين محمد

أفندى على المغلاوى ونتحدى أن تبرز لنا إيصالاً واحدًا من أمين صندوق الجمعية يثبت أنه دفع مليمًا واحدًا إلى سكرتير اللجنة بمبلغ من هذه المبالغ، أما النشرات التى كانت توزع ومنها كتاب «هذا بيان للناس» فكانت ترد كما تعلم من طرف فلسطين رأسًا..» .. كانت الوقائع والحقائق صادمة ولا يملك المرشد ردًا، ويبدو أنهم يئسوا منه تمامًا وفقدوا الثقة به، وصار بلا مصداقية عندهم؛ لذا وجدناهم يخاطبون البنا بالقول .. «لكنك تنكر الآن ما اعترفت به علنًا وأمام جمع من مريديك وأتباعك وتنكر الحقائق التابعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». ويقولون له أيضًا «إنك لم تكن أمينًا على الحوادث فشوهتها أشد تشويه ولعلك ما زلت تذكر الحديث النبوى الشريف الذى يذكر أن المؤمن قد يغش وقد يسرق ولكنه لا يكذب قط» ويحمل التوقيع «الهيئة العامة لشباب محمد».

المرشد العام متهم بما نسميه اليوم «الفساد المالى» أو جمع تبرعات ثم توجيهها إلى غير ما جمعت له، وإلى وجهة غير التى أرادها أصحابها، وما يستوجب التوقف هنا أن المرشد ومريديه لم يتمكنوا من الرد على هذه الوقائع واكتفوا بالقول إنها خلافات خاصة وشخصية، ويلفت الانتباه أيضًا سهولة استعمال الشرع فى الأهواء الخاصة وسهولة التحايل على الشرع كذلك، حسن البنا أخذ جزءًا من التبرعات التى جاءت لفلسطين ووضعها فى حسابات الجماعة، وحين ؤوجه بذلك أفادهم بأن الشرع يسمح له بذلك، ولما اعترض أحدهم بأن الشرع لا يسمح وأن هذه الأموال أمانة يجب أن تؤدى إلى أهلها، قال الرجل ببساطة نعيد جمعها، لكن ماذا عن خيانة الأمانة؟ وماذا عن الافتئات على الشرع؟ وماذا عن أكل أموال وحقوق الآخرين..؟ كل هذا لم يتوقف عنده المرشد العام ولم يهز شعرة داخله ولم يحرك ضميره، ترى ألا يمكننا القول إن حسن البنا وظف المسألة الفلسطينية لصالحه هو وصالح جماعته، بدلاً من أن يحدث العكس ؟!

على العموم كانت هناك هيئات وجمعيات عديدة تجمع التبرعات لأهل فلسطين، وسارت الأمور فيها على ما يرام، وحدها الجماعة ووحده حسن البنا هو من

طعن فى أمانته المالية على الملأ ولم يستطع أن يرد، فما ؤوجه به وقائع ثابتة حدثت أمام آخرين، شهود عليه، فضلاً عن أن إيصالات الجمعية وحساباتها لم تكن فى صالحه.

★★★

استمر جمع التبرعات وتحريك المظاهرات لمناصرة عرب فلسطين والتعاطف معهم، ثم حدث تحول نوعى فى طرق وآليات المساندة، وجاء هذا التحول من أحمد حسين رئيس مصر الفتاة، كان النضال قد تطور من جمع الأموال والتبرعات إلى شراء الأسلحة وإرسالها إلى المقاتلين داخل فلسطين، ولا يجب أن نتوقع الكثير عن هذه الأسلحة، فقد كانت بنادق ومسدسات من مخلفات الحرب العالمية الثانية، أى لم تكن أسلحة ثقيلة، لكن أحمد حسين رأى أن ذلك ليس كافيًا ولا بد من تكوين كتائب من المتطوعين تذهب إلى فلسطين وتقاتل داخلها، وزار أحمد حسين فلسطين فى فبراير ١٩٤٨م وعاد من هناك ليصرح لمجلة المصور بأن «القضية لا تحتاج إلى مال وسلاح فقط، بل إلى جيوش منظمة وقيادة عسكرية حازمة، لأن الفلسطينيين لم يستطيعوا سوى الدفاع عن أنفسهم فقط..».وبالفعل شكلت مصر الفتاة أول كتيبة من المتطوعين حملت اسم «مصطفى الوكيل» لتسافر إلى فلسطين، لكن الحكومة المصرية مانعت فى سفرها عبر الحدود المصرية، فما كان من أحمد حسين إلا أن بعث بالكتيبة إلى سوريا حيث معكسر «قطنا» «لتدخل من هناك ودخلت بالفعل، والواقع أن حماس أحمد حسين كان عاليًا، فقد واصل إرسال الكتائب وسافر هو مع إحداها بنفسه إلى سوريا قبل دخولها إلى فلسطين.. وقد سبق أحمد حسين الجميع فى ذلك، وهذا ما دعا جماعة شباب سيدنا محمد أن توجه التحية إلى مصر الفتاة وزعيمها على صفحات «النذير».. تحت عنوان «كلمة حق يجب أن تقال.. مصر الفتاة تتقدم الصفوف»، وكلمة التحية حملت التقدير إلى «شباب مصر الفتاة ورئيسهم الأستاذ أحمد حسين. الذين هاجروا فى سبيل الله وتركوا أبناءهم وعشيرتهم جهادًا فى سبيل الدفاع عن حق الإسلام والمسلمين». وجاء فى المقال ملاسنة على الآخرين ومنهم

الإخوان، تقول النذير: «لقد ظلت الهيئات الوطنية والإسلامية في مصر، تملأ الآفاق بدعوى الجهاد، والرغبة في الاستشهاد، فلما حان وقت الامتحان لم نسمع من أكثر هذه الهيئات إلا الدعاوى العريضة، ولم نشاهد منها إلا المظاهر الزائفة، إلا مصر الفتاة فقد نجحت في هذا الامتحان وأثبتت أنها في مقدمة العاملين، وسارت في صفوفها القليلة، في عددها الكثيرة، برجولتها وبسالتها بأقدام ثابتة إلى ميادين القتال، بل إلى ميدان الجهاد الإسلامي الأكبر».

في ذلك الوقت كان موقف الإخوان وحسن البنا أقرب إلى الموقف الرسمي المصري، أي الاهتمام بالقضية ومناصرة الفلسطينيين وجمع التبرعات لهم، ويبدو أن موقف مصر الفتاة وتنديد شباب محمد، قد أوقع حسن البنا في ضغوط من أعضاء الجماعة، ولم يكن قادرًا على اتخاذ موقف حاسم؛ لذا وجدنا عبد المجيد أحمد حسن الذي قتل محمود فهمي النقراشي سنة ١٩٤٨م وكان عضوًا بالتنظيم الخاص منذ سنة ١٩٤٦م يقول في اعترافاته في أثناء التحقيق معه «اعتقدت كما اعتقد جميع أفراد النظام الخاص أن وقت الجهاد الذي من أجله نعد ونتدرب قد جاء وأننا سنرسل جميعًا إلى فلسطين للقتال هناك، وكانت القيادة تبلغنا بأن الوقت سيأتي قريبًا للجهاد». ويقول عبد المجيد حسن أيضًا «لما شعرت القيادة بشدة الضغط عليها، قالت لنا: إن الجهاد ليس مقصورًا على فلسطين وأن الصهيونيين ليسوا فقط في فلسطين، وإنما هم موجودون أيضًا داخل البلاد المصرية، وأن على النظام الخاص أن يوجه إليهم نشاطه وجهاده». وهكذا قرر النظام الخاص أن القتال يبدأ من مصر، وبذلك نقل المعركة من فلسطين إلى داخل مصر وبين أبنائها، ولعل ذلك يفسر الأعمال الإرهابية التي مارستها الجماعة والتفجيرات لحارة اليهود بالقاهرة، وبعض المحلات والمنشآت اليهودية.. وكان اختيار بعض هذه المنشآت مثيرًا للشبهات، مثلاً قام النظام الخاص بتفجير شركة الإعلانات الشرقية وكانت مملوكة لبعض اليهود، لكن أثار تفجيرها عددًا من التعليقات في الصحافة المصرية من بينها أن هذه الشركة جرى نسفها لأنها

تنافس شركة المطبوعات الإسلامية، المملوكة للإخوان، أى أن الاعتبارات الخاصة والمنافسة المهنية لم تكن بعيدة عن هذه الأعمال.

★ ★ ★

ولما اشتدت الأزمة فى فلسطين مع تصاعد العنف الذى تمارسه الجماعات الصهيونية تجاه الفلسطينيين وإعلان بريطانيا نيتها إنهاء الانتداب على فلسطين والانسحاب منها يوم ١٥ مايو ١٩٤٨م، فتحت الحكومة المصرية باب التطوع، وسمح لعدد من ضباط الجيش بالاستقالة كى يسافر المتطوعون إلى فلسطين، وكان أبرز هؤلاء البكباشى أحمد عبد العزيز.

ونذهب إلى ما كتبه حسن البنا فى «قضيتنا». هو نفسه يحدد أعداد المشاركين من الإخوان يقول: «وأقرت الجامعة العربية فكرة التطوع، فتقدم إليها الآلاف من شباب الإخوان بريدون الموت فى سبيل الله .. وظلت الحكومة والجامعة تترددان بين الإقدام والإحجام والحماسة تشتد والنفوس تغلى مما دعا المرشد العام إلى أن يبعث بمائة إلى معسكر قطنا بسوريا، وهى كل ما استطاع أن يقنع المسؤولين هناك بقبوله».

إذن هناك مائة متطوع أرسلهم المرشد العام عبر سوريا، وتردد أنهم دخلوا فلسطين مع القوات السورية، ولا نعرف بالضبط ماذا كان مصيرهم هناك ولا العمليات التى قاموا بها، لكن نتائج المعركة تقول إن القوات التى شاركت من سوريا لم تكن موفقة فى مهامها بسبب ضعف التسلح وقلة التدريب، وتقول المصادر السورية إن متطوعى الإخوان ذابوا فى المجتمع السورى وقد تورط اثنان منهم فى انقلاب أديب الشيشكلى وحكم على أحدهما بالإعدام، لكن الحكم لم ينفذ.

ونعود إلى المرشد العام الذى يواصل الحديث بالقول «ولكن ذلك لم يشف غلة الإخوان، فاستأذنوا فى إقامة معسكر خاص لهم بالقرب من العريش يمارسون فيه التدريب استعدادًا لدخول فلسطين، وأذن لهم بذلك وأقاموا معسكرًا كبيرًا لعدد منهم يزيد عن المائتين، يمدهم فيه المركز العام بكل ما يحتاجون من أدوات وتمرين

وسلاح وعتاد بإذن الحكومة وعلمها حتى تم تدريبهم ودخلوا فلسطين في مارس ١٩٤٨م (...) واحتلوا هناك معسكر النصيرات جنوبي غزة..».

وما لم يقله المرشد إن ضباط الجيش المصري هم الذين كانوا يقومون بتدريب المتطوعين وإن الجامعة العربية هي التي كانت تتولى تكلفة التسليح والملابس والإعاشة بالكامل وليس المركز العام للجماعة.. ونعرف من مذكرات عبد اللطيف بغدادي «أنه هو وجمال عبد الناصر كانا من الضباط الذين تولوا تدريب المتطوعين من الإخوان وغيرهم، وأنهم فعلوا ذلك بتكليف من قيادة الجيش. والذي نعرفه من سير المعارك أن غزة لم تكن منطقة قتال حاسمة، وكان القتال شديداً في وسط فلسطين وقلبها، ولا ينفي ذلك العمليات القتالية التي تمت في غزة.

ولم يكن هؤلاء كل المتطوعين من الإخوان، يقول حسن البنا «وتحركت الحكومة وهيئة وادي النيل العليا لإنقاذ فلسطين وأعدت معسكرها بالهايكستب لتدريب المتطوعين، تقدم إليه أكثر من ألف أخ وانتخب منهم أكثر من ستمائة على دفعات جهزتهم الحكومة ودخلوا مع القوات النظامية ووزعوا على مختلف الجهات». أي أن الحكومة المصرية، حكومة النقراشي باشا، حين فتحت باب التطوع على مصراعيه وأقامت معسكرًا للتدريب في الهايكستب تقدم له من الإخوان «ألف» متطوع، والرقم يذكره المرشد، لأن عدد من كتاب الإخوان وصلوا إلى القول إن هناك عشرات الآلاف أرادوا التطوع، لكن لم يسمح لهم، ومن بين الألف اختير ستمائة فقط، وكانت الاختبارات تتم وفق اعتبارات اللياقة الطبية التي تتم عند التجنيد، بمعنى أنه لن يقبل متطوع مكفوف البصر - مثلاً - أو لديه شلل أطفال، أو مريض بالسل أو ضعيف البنية. وهذا العدد الذي قبل، تولت الحكومة تجهيزه.. أي الخضوع للتدريب ثم التسليح والملابس اللازمة، وهؤلاء دخلوا مع قوات الجيش المصري.. وهذا الرقم ٦٠٠ متطوع، هو محدود قياسًا على عدد الإخوان آنذاك، والذي وصل به البعض إلى مليون أخ.. لكن دعونا نتابع مصير هؤلاء المتطوعين على

الجبهة .. ونعرف من سير العمليات أنه عهد إليهم بمهمات القتال الخفيفة، فليسوا جيشًا نظاميًا وتسليحهم خفيف، وكانوا يقومون بأعمال فدائية، أقرب إلى حرب العصابات، وقدموا بطولات حقيقية واستشهد منهم عدد غير قليل.

وتوجد وثيقة من الشهيد البطل أحمد عبد العزيز عبارة عن تقرير رفعه إلى أمين عام جامعة الدول العربية، يتحدث فيه عن الوضع فى المنطقة الجنوبية بفلسطين، وتحديدًا معسكر النصيرات، وخاصة متطوعى الإخوان وكان يقودهم الشيخ محمد فرغلى واليوزباشى محمود عبده. ويقول أحمد عبد العزيز إن «أسلحتهم والذخيرة محدودة» وكان هناك ١١٩ مقاتلاً من متطوعى جماعة أنصار الحق بقيادة الشيخ أبو العزايم وكانوا بمطار غزة «هؤلاء حالتهم سيئة جدًا من ناحية الملبس والتسليح، وحتى الأسلحة لا يوجد لديهم أدوات لنظافتها»[١]. ويقول أحمد عبد العزيز «إن الإخوان المسلمين لا يتلقون أوامرهم إلا من الشيخ فرغلى حسب ما يتراءى له، ولا سلطة لقائد المنطقة عليهم، وقد قاموا بعملية حربية ضد مستعمرة «كفارا أروم» أظهروا فيها بسالة واستشهد ١٢ وجرح ٦، وللأسف كان تنفيذ الخطة من القيادة رديئًا كما كان التسليح غير مناسب للعملية؛ ولذا خسروا المعركة، ورغم ذلك اتضح لى أن الإخوان المسلمين لديهم أفكار حربية وجيهة نوعًا ما، يكفى تعسكرهم خارج غزة ويقظتهم فى الحراسة وتكتمهم فى إخفاء قوتهم الحقيقية»[٢].

المتطوعون الذين ذهبوا عبر سوريا يختفى الحديث عنهم، حتى لدى الإخوان، ولكن الحديث يجرى حوالى ٨٠٠ متطوع كانوا بين غزة والقوات النظامية فهل كان هؤلاء المتطوعون - فعلاً - قادرين على حسم المعركة وكان بإمكانهم إنقاذ فلسطين من الضياع؟!

---

(١) د. هيام عبد الشافى: مصر وحرب فلسطين ١٩٤٨، دار العالم العربى، ط ٢٠١٠م، ص ٣٥٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٤.

نترك الإجابة للدكتور ثروت عكاشة، ذلك أنه كان ضابطًا بالمخابرات الحربية الملكية، وكان وقت حرب ١٩٤٨م مسؤولاً عن القطاع الجنوبى لفلسطين، أى غزة، ولم يمنعه ذلك من أن يتابع سير المعارك فى كل فلسطين، ويقارن بين أوضاع المقاتلين العرب عمومًا، من متطوعين وجيوش نظامية، والمقاتلين فى الجانب الصهيونى. يقول د.عكاشة «سرعان ما تكونت طوائف من المتطوعين أخذت أماكنها المختلفة بفلسطين يقودها ضباط عراقيون وسوريون ومصريون، غير أنها لم تكن للأسف مسلحة التسليح الكافى، هذا غير أن أسلحتها كانت تختلف أنواعها مما يصعب معه إمدادها بالذخيرة اللازمة»[١]. ويضيف د.عكاشة قائلاً: «وفى جنوبى فلسطين كانت قوة المتطوعين الخفيفة وعلى رأسها البكباشى أحمد عبد العزيز أكثر قوات المتطوعين تنظيمًا وتسليحًا على الرغم مما كان ينقصها هى الأخرى من التدريب والأسلحة الحديثة»[٢]. ويتحدث د.عكاشة عن افتقاد التخطيط العسكرى الدائم لدى الجانب العربى وغياب «المعلومات الواقعية» بها لدى العدو. وينتقل إلى الجانب الآخر ليقول «كان الجيش الصهيونى يربو على أربعين ألف مقاتل على درجة عالية من التدريب فضلاً عن عشرين ألفًا دون ذلك المستوى الأول، ثم قوات أخرى مدربة للحراسة والمطالب الأولية مما يطلق الحرية للقوات النظامية للقتال»[٣]. ثم يضيف «وكان بين أيدى القوات النظامية وفرة من الأسلحة الثقيلة والآلية والمدرعات والعتاد الحربى، منها المستورد ومنها المصنوع محليًا، الأمر الذى وفر لجيوشهم قوة النيران وخفة الحركة، هذا إلى ما كان لديهم أيضًا من قوات المظلات ومعدات تدمير تفوقوا فى تنفيذه، وكانت تحت أيديهم كثرة من المطارات التى أنشؤوها واستولوا عليها بعد جلاء الإنجليز عنها»[٤].

(١) ثروت عكاشة: مذكراتى فى الثقافة والسياسة، دار الشروق، ط ٣، سنة ٢٠٠٠م، صفحة ٤٣.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٣، ٤٥.

هل كان متطوعو الإخوان الـستمائة بتدريبهم المحدود وتسليحهم الخفيف لديهم القدرة على هزيمة الجيش المعادى، بما لديه من أسلحة وإمكانيات، فضلاً عن سابق اشتراك معظم المقاتلين الصهاينة فى عمليات الحرب العالمية الثانية. بل هل كان كل المتطوعين العرب والجيوش النظامية العربية، وعددهم جميعًا كان أقل من ١٢ ألف مقاتل قادرين على القيام بهذه المهمة ؟!

لا ينفى ذلك وجود بطولات فردية قام بها بعض المتطوعين، أو بعض رجال الجيوش النظامية، والواقع أن المقاتلين العرب مع ضعف التسليح وازدياد الحماس الوطنى والدينى لم يكن لديهم سوى البطولات الخارقة التى قام بها بعضهم، سواء كانوا من الإخوان أو من غيرهم، وجدنا بطولة فذة من اللواء محمد نجيب وقد أصيب فى إحدى العمليات، وبطولة خارقة من الضابط عبد الحكيم عامر الذى نال بسبب ذلك ترقية استثنائية بالجيش المصرى، فضلاً عما قام به جمال عبد الناصر.. ولا يجب أن ننسى «الضبع الأسود» وبطولته فى العمليات الحربية، وأن تكون هناك بطولات خارقة لبعض متطوعى الإخوان المسلمين، شيء لا يمكن إنكاره، أما أن يقول عدد من كتاب الإخوان إنهم كانوا على وشك إبادة إسرائيل ولكن قرار الحل حال دون ذلك، فهو الكذب والتدليس أو السذاجة والتسطيح فى تناول الأمر، والغريب أن يستمر هذا الكذب ويتواصل التدليس بعد مرور أكثر من ستين عامًا على ضياع فلسطين وتكشف الكثير من الحقائق والوثائق.

الفصل السادس

القمص ودولة عم حسن

كان الشيخ حسن البنا حريصًا على أن يبدو هو وجماعته على وفاق مع الأقليات الدينية فى مصر، وأنه وجماعته لا يحملون تجاه أفراد الأقلية إلا الود والتقدير.. وتستشهد الجماعة على ذلك بالصلة الطيبة التى جمعت حسن البنا بالزعيم مكرم عبيد، صحيح أننا لا نجد مظاهر لتلك الصلة، لكن الثابت أن مكرم عبيد سار فى جنازة حسن البنا سنة ١٩٤٩م، ويستغل محبو البنا وأنصاره حضور مكرم عبيد للتدليل على ما ربطه بشيخهم من مودة وصداقة، وقد يكون ذلك صحيحًا وقد لا يكون، فالمشاركة عندنا فى الجنازات لا تخضع لمعايير الصداقة والود أو انعدام الود، ذلك أن الموت عند المصريين له معنى خاص، وحضور جنازة الميت أو المشاركة فى العزاء واجب أخلاقى، يصبح المرء أكثر حرصًا عليه، حتى إذا لم تربطه صلة حميمة أو خاصة بالميت، بل إذا لم تكن النفوس صافية والقلوب عامرة بالحب فى الحياة، يصبح واجبًا المشاركة فى العزاء اعتبارًا لقيمة «الموت» وعبرته عند المصريين جميعًا.. وبغض النظر عن هذا كله فصلات مكرم عبيد وحسن البنا لا تنسحب على جميع الأقباط ولا على معظمهم.

موقف مكرم عبيد يحسب عليه وحده، وهو موقف مرتبط بظروف صاحبه، ذلك أنه منذ انشقاقه على الوفد وموقفه العدائى من النحاس (باشا) بعد سنة ١٩٤٢م، كان حريصًا على ألا يبدو زعيمًا قبطيًا ولا معبرًا عن الطائفة القبطية، بل زعيم مصرى؛ لذا

حرص على الابتعاد عن الأزمات والخلافات القبطية، خاصة تلك التى كانت بين الكنيسة والمجلس المحلى، ولم يقترب من الجمعيات أو الهيئات القبطية، وفى الوقت نفسه حرص على أن يبدى تقديرًا واحترامًا بالغًا للرموز الإسلامية، ففى سنة ١٩٤٣م وفى مناسبة الذكرى الألفية لتأسيس الأزهر يبعث ببرقية إلى شيخ الأزهر جاء فيها «وإذا كان لى - كمصرى له عقيدته الوطنية - أن أفخر بالأزهر الشريف معهدًا مصريًا، فإن لى كرجل له عقيدته الروحية أن أشيد به معهدًا دينيًا..». ويقول أيضًا فى البرقية نفسها «لقد أدى الأزهر رسالته للدين والدنيا معًا»[1]. وفى إطار حرصه هذا كان يقوم ببعض اللفتات الودودة تجاه جماعة الإخوان، وربما لا يخلو الأمر من رغبته فى مكايدة الوفد والنحاس (باشا)، الذى لم يكن يحب جماعة الإخوان؛ لذا نراه فى الكتاب الأسود يندد بموقف حكومة الوفد سنة ١٩٤٢م من الجماعة فى أثناء فرض الأحكام العرفية، يقول «أغلقت الحكومة فرع جمعية الإخوان المسلمين فى قنا بأمر عسكرى، فقلت لعل النحاس باشا قصر أمره على قنا لأنها قنا[2]، ولكن علمت أن الحاكم العسكرى قد أصدر أمره - والأمر لله - بإغلاق عدد كبير من فروع الجمعية وهى تربو على الخمسين فى شتى بلاد المملكة المصرية»[3].

من هنا فإن موقف وعلاقة مكرم عبيد بالجماعة، يظل أمرًا شديد الخصوصية يرتبط بحال وتكوين مكرم عبيد، لكنه لا يعبر عن موقف عام للأقباط، كما أنه لا يعكس ولا يكشف موقف الجماعة كذلك من الأقباط، خاصة فى زمن حسن البنا، فتحت أيدينا من الأوراق والشهادات ما يؤكد وقوع القلق والفزع بين أعداد كبيرة من أقباط مصر من جراء بعض دروس وكلمات حسن البنا، على النحو الذى سنكشفه الصفحات القادمة، وقد ازداد هذا الفزع بعد وقوع أعمال إرهابية تجاه

---

(١) راجع فى ذلك: د. مصطفى الفقى: الأقباط فى السياسة المصرية .. مكرم عبيد ودوره فى الحركة الوطنية، طبعة دار الشروق، سنة ١٩٨٨م، صفحة ١٤٩.

(٢) كانت قنا بلد مكرم عبيد وموطنه الأصلى

(٣) مكرم عبيد: الكتاب الأسود، ص ٢٦٣.

بعض منشآت اليهود وتجاه اليهود أنفسهم فى مصر، وكانت أصابع الاتهام تشير إلى الجماعة، كما جرى إحراق كنيسة فى الزقازيق وأخرى فى السويس وكانت أصابع الاتهام تتجه نحو الجماعة، واتهم بعض رموز الأقباط حسن البنا نفسه.

فى الكتابات النظرية وخطب البنا لا نجده يقف بالتفصيل عند هذه القضية، وإنما يشير إليها إشارات عابرة «سريعة» وهناك رسالته «نحو النور» تتعرض فى فقرة منها إلى أوضاع الأقليات، بعنوان «الإسلام يحمى الأقليات ويصون حقوق الأجانب» ونعرف من «مقدمة الرسالة» أنه كتبها فى رجب سنة ١٣٦٦هجرية وبعث بها إلى كل من الملك فاروق وإلى رئيس الحكومة وقتها مصطفى النحاس باشا، وإلى عدد من ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامى، فضلاً عن عدد من كبار الشخصيات فى هذه البلدان[١].

يقول الشيخ حسن «يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساسًا لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة فى الأمة المسلمة، وينافى الوحدة بين عناصر الأمة[٢] وهى دعامة قوية من دعائم النهوض فى هذا العصر.. ولكن الحق غير ذلك تمامًا، فإن الإسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها قد اختار لتلك العقبة وذللها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لا يحتمل لبسًا ولا غموضًا فى حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[الممتحنة ٨] فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم[٣].

(١) راجع مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، سنة ٢٠٠٥م، ص١٩٢.

(٢) يلاحظ الحديث هنا عن عناصر الأمة وليس عنصرى الأمة كما نقول نحن، وقتها كان اليهود لا يزالون عنصرًا من عناصر الأمة، لكنهم فيما بعد هاجروا إلى إسرائيل أو إلى أوروبا

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٤-٢٠٥

وعلى هذا النحو يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، مثل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات: ١٣] وهذه الآية تكشف عنده أن «الإسلام سعى إلى تحقيق الوحدة الإنسانية العامة، بل قدسها» ويقول أيضًا «ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، نقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعًا فى قوله تعالى ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً .. ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٨] ويستشهد حسن البنا بسورة الحجرات مرة ثانية ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠] والآية عنده تعكس أن الإسلام «قدس الوحدة الدينية الخاصة من غير حلف ولا عدوان»[١] وينتهى من ذلك كله إلى القول «هذا الإسلام الذى بنى على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سببًا فى تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط»[٢].

وينتقل حسن البنا فى رسالته إلى الجانب الآخر أو من قال عنهم إن الإسلام قد حدد «تحديدًا وقتيًا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم»[٣]. ويستشهد

(١) راجع مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، سنة ٢٠٠٥م، ص٢٠٥.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة

بالآية ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٩] ويعقب بالقول «وليس فى الدنيا منصف واحد يُكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفسادًا كبيرًا بين أبنائها ونقضًا لنظام شؤونها»[١]، ثم يقول «ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه، وموقفه من الأجانب موقف سليم ووفق ما استقاموا أو أخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩] »[٢].

وسوف نلاحظ أن حسن البنا هنا لم يحاول أن يتوقف عند تفسير الآيات القرآنية، التى استشهد بها، ولا ذهب إلى الأحاديث النبوية، فضلاً عن تجاهله للتاريخ الإسلامى وما جرى فيه من مواقف إيجابية أو سلبية بخصوص الأقليات، فضلاً عن أنه لم يشأ أن يتوقف عند تاريخ مصر تحديدًا، فى هذا الجانب، هو اكتفى بالمرور عابرًا عند بعض الآيات القرآنية. والواقع أنه يصر على تجنب أو إهدار التجربة الإسلامية كلها، فالبداية والنهاية عنده بالنصوص القرآنية. وبالتأكيد لا اعتراض على النصوص القرآنية، وهذه النصوص فيها ما يكفى لضمان حقوق غير المسلم، بل حتى حقوق من يقرر الكفر، ولكن كيف تفاعلت هذه النصوص وتفاعل معها الفقهاء والمفسرون والخلفاء والحكام؟ وكيف انعكس ذلك كله على المجتمعات الإسلامية عمومًا والمجتمعات العربية تحديدًا؟ أما المجتمع المصرى خاصة فتجربته تستحق التوقف عندها، لكنه لم يفعل.

(١) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

حين كتب حسن البنا رسالته «نحو النور» كانت مصر تحكم بدستور سنة ١٩٢٣م، الذى ساوى بين المواطنين بغض النظر عن الديانة التى يعتنقها كل منهم، صحيح أن الدستور أقر بأن دين الدولة هو الإسلام، ولكنه أقر كذلك حرية الاعتقاد وعدم التمييز بين المواطنين بسبب الدين؛ ولذا وجدنا وزراء كانوا من المسيحيين واليهود المصريين، بل فى أثناء ثورة ١٩١٩م وقبل صدور دستور ١٩٢٣م كان هناك رئيس وزراء قبطى وهو يوسف وهبة باشا، ويجب القول إن أوضاع الأقليات الدينية فى مصر كانت تشهد تطورًا منذ القرن التاسع عشر، فقد ألغى الوالى محمد سعيد باشا «الجزية» عن «أهل الذمة»[1]، وذلك حين قرر أن يتم تجنيد أبناء المصريين جميعًا، وكانت مصر أول بلد من البلاد العثمانية يتم فيه إلغاء الجزية، إذ سبقت «الخط الهمايونى» الذى أصدره السلطان العثمانى بعام. وكان تجنيد المصريين وإلغاء الجزية قد فتح الباب على مصراعيه ليعامل أبناء مصر جميعًا كمواطنين بلا تمييز، وضح ذلك أكثر فى عهد الخديو إسماعيل، حيث تسابق الجميع من مسلمين ومسيحيين ويهود ليلعبوا دورًا فى النهضة التى أراد إسماعيل أن يقوم بها فى مصر. ومن ثم فإن ما جرى فى ثورة ١٩١٩م من مظاهر الوحدة الوطنية، لم ينشأ من فراغ، وشعار «الدين لله والوطن للجميع» لم تخترعه الثورة اختراعًا، بل كان تعبيرًا عن حالة قائمة بالفعل، ومتحققة داخل المجتمع.

طرح الشيخ حسن البنا بعد ذلك، أفكارًا تناقض هذا الذى تحقق فى مصر منذ القرن التاسع عشر، ففى رسالة المؤتمر الخامس الذى عقد سنة ١٩٣٧م، يقول عن الخلافة وعن الوطن «فالإسلام لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الحدودية، ويعتبر المسلمين جميعًا أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامى وطنًا واحدًا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده.. وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون

(١) راجع فى ذلك: أيمن محمود: الجزية فى مصر ١٧١٣م/ ١٨٥٦م، رسالة دكتوراه قدمت سنة ٢٠٠٨م إلى قسم التاريخ بآداب القاهرة، ونشرت بالمجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٩م.

هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الإسلام، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله»[١]. وينتقل إلى الحديث عن الخلافة بالقول «إن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية. ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها، والخلافة مناط كثير من الأحكام فى دين الله؛ ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر فى شأنها على النظر فى تجهيز النبى ودفنه»[٢]. ثم يقول «والأحاديث التى وردت فى وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك فى أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير فى أمر خلافتهم منذ حورت عن مناهجها ثم ألغيت بتاتًا إلى الآن..» [٣]. ونصل إلى بيت القصد حيث يقول «والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لا بد منها..» [٤]. ويحدد هو تلك الخطوات من تعاون تام بين الشعوب الإسلامية ثم تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المؤتمرات بين هذه البلاد، وعندها يتم تكوين ما يسميه «عصبة الأمم الإسلامية»[٥]. وأخيرًا «إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على الإمام الذى هو واسطة العقد، ومجتمع الشمل ومهوى الأفئدة وظل الله على الأرض»[٦]، نلاحظ هنا أن البنا يذكر إن الخليفة هو ظل الله على الأرض، وهذا يعنى قيام الدولة الدينية، التى لا مجال فيها لحريات عامة أو خاصة، من أى نوع، ليس هناك سوى ظل الله على الأرض.

---

(١) الرسائل، ص ١٢٨.
(٢) الرسائل، ص ١٣٠.
(٣) الرسائل، ص ١٣٠.
(٤) الرسائل، ص ١٣٠.
(٥) الرسائل، ص ١٣٠.
(٦) الرسائل، ص ١٣٠.

وفى دولة الخلافة لا مكان للحزبية ولا للأحزاب «الإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعها قد وجدت فى ظروف خاصة ولدواع أكثرها شخصى لا مصلحى»[1]. ويضيف: «ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها فى حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر»[2]. ثم يقول «الحجة القائلة بأن النظام البرلمانى لا يتصور إلا بوجود الأحزاب، حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد، وذلك فى الإمكان»[3]. ويفاجئنا بأن الإخوان اتخذوا خطوات عملية فى هذا الاتجاه.. «طلبوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعًا فى هيئة شبيهة واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام»[4]. ثم يقول «سيواصل الإخوان جهودهم فى هذا السبيل، وسيصلون إلى ما يريدون بتوفيق الله وفضل يقظة الأمة، وبتوالى فشل رجال الأحزاب فى ميادينها وسيتحقق قطعًا ناموس الله»[5].

هذا كله سنة ١٩٣٧م، حين كان الملك فاروق ما زال فى بداية حكمه، وكانت تداعب خياله - كما داعب خيال والده من قبل - فكرة أن يكون خليفة وإمام المسلمين، وكان بعض المحيطين والمقربين منه يثيرون فيه ذلك، ومن ثم فقد كانت أفكار البنا، فى هذا الجانب تسير وفق هوى الملك الشاب، ولم يكن ذلك الملك مستريحًا للأحزاب، تحديدًا حزب الوفد.. حزب الأغلبية، وكان الهجوم على الأحزاب والمطالبين بإلغائها أو حلها يجد هوى لدى الملك، فسيريحه ذلك من عناء

(١) الرسائل، ص ١٣١.
(٢) الرسائل، ص ١٣١.
(٣) الرسائل، ص ١٣١.
(٤) الرسالة، ص ١٣٢.
(٥) الرسالة، ص ١٣٢.

الوفد وزعيمه العنيد مصطفى النحاس، لكن هذا كان يثير القلق لدى بعض المراقبين والمتابعين من الأقليات.. خاصة أن حسن البنا لم يتوقف عند هذا الحد، فنراه فى الرسالة نفسها يقول «إن الوطن الإسلامى جزء لا يتجزأ وإن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله، هذه واحدة، والثانية أن الإسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة فى ديارهم، سادة فى أوطانهم، بل ليس ذلك فحسب، بل أن عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول فى دعوتهم والاهتداء بأنوار الإسلام التى اهتدوا بها من قبل»[1].

«يحملوا غيرهم» المقصود بها غير المسلمين، ويحملوهم بمعنى يدفعونهم دفعًا أو يضغطون عليهم ضغطًا وغير ذلك.. وهذا لا بد أن يثير قلق غير المسلم، ويجعله يشعر بأنه غير آمن على دينه وعقيدته.. ثم يجعله يتساءل عن مكانه داخل «الوطن الإسلامى»، خاصة أن حسن البنا كرر هذه المعانى مرات أخرى، وراح يحذر من «الوطنية» بالمعنى الذى طرحت به فى عصره، فقد راح يتحدث فى رسالته «نحو النور» عن المبررات التى اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين، أنهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوئ للنهضة الوطنية.. ثم يقول «تلك إذن مزاعم لا يجب أن تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة»[2]. أى أن الحديث عن الوطنية المجردة، هو ذريعة وهدف لتحويل الأمة عن الدين، باختصار الوطنية عند حسن البنا تساوى اللا دين، أو التحول عن الدين الإسلامى.. والمعنى أنه لا يمكن الجمع بين الوطنية والدين، وإذا كانت الوطنية تعنى اللا دين، فهل نستنتج أن الدين والتدين يعنى اللا وطنية أو خيانة الوطن ؟!

---

(١) الرسالة، ص ١٣٤.

(٢) رسالة نحو النور، ص ٢٠٧.

ويستعمل حسن البنا مصطلحات ومفاهيم لم يعد لها مدلول ولا ذات معنى فى الدولة المدنية والوطنية الحديثة، يتحدث إلى الشباب مرة عن مفاخر الإسلام فيقول «.. كما أوصى بإنصاف الذميين[1] وحسن معاملتهم - لهم ما لنا وعليهم ما علينا - نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية ولا عصبية طائفية، ولكننا إلى جانب هذا لا نشترى هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم فى سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين»[2].

وهنا أيضًا يثور التساؤل هل الوحدة بين عناصر الأمة وانتهاء العصبية الطائفية يؤدى أو يعنى المساومة على العقيدة الإسلامية والإيمان؟ وهل أدت تلك الوحدة - من قبل - إلى إهدار مصالح المسلمين؟ وماذا يعنى ذلك؟ ألا يحمل فى ثناياه تعريضًا بتجربة ونموذج ثورة ١٩١٩م؟ ففيها كانت الوحدة بين عنصرى الأمة، وتحققت تجربة رائعة فى الوئام والوحدة الوطنية، فهل تم ذلك بالمساومة على إيمان الأمة أو حدث بالتحول عن الدين الإسلامى؟! بالتأكيد لا...

وفى نوفمبر ١٩٤٧م يتحدث حسن البنا إلى أنصاره ومريديه عن «الجزية»، مدافعًا عنها ومحبذًا إياها، فيصفها بأنها «أبلغ معانى الإنصاف والمرحمة التى جاء بها الإسلام»[3]. ويشرح باستفاضة معنى الكلمة وتاريخ ظهورها، ثم يقول «وإنما سلك الإسلام هذه السبيل ولجأ إليها مع غير المسلمين من باب التخفيف عليهم والرحمة بهم وعدم الإحراج لهم حتى لا يلزمهم أن يقاتلوا فى صفوف المسلمين، فيتهم بأنه إنما يريد لهم الموت والاستئصال والفناء والتعريض لمخاطر الحرب والقتال، فهى فى

(١) أصدر الشيخ يوسف القرضاوى كتابًا عن المواطنة سنة ٢٠١٠م طالب فيه بحذف عبارة أهل الذمة والذميين لأنها تسيء إلى غير المسلمين فى الوطن.

(٢) رسالة إلى الشباب، ص ٣٢٥.

(٣) رسالة إلى الشباب، ص ٢٨٧.

الحقيقة (امتياز فى صورة ضريبة) وفى الوقت نفسه احتياط لتنقية صفوف المجاهدين من غير ذى العقيدة الصحيحة والحماسة المؤمنة البصيرة»[1].

ورغم غرابة التفسير الذى يطرحه، أو التشكيك فى عقيدة غير المسلم، فإن هذا يمكن أن نلتمس له بعض العذر أو يمكن تفهمه لو أننا بإزاء باحث يحاول أن يعد دراسة فقهية أو يعد دراسة تاريخية حول «الجزية» والمراحل المختلفة لتطبيقها، ومع ذلك سوف نلاحظ أن حسن البنا يتجاهل، وربما يجهل، أن صلاح الدين الأيوبى أسقط الجزية عن أقباط مصر فى أثناء الحروب الصليبية، نظرًا إلى أن الأقباط تقدموا للدفاع عن مصر وحمايتها من الحملات الأوروبية، ولم يشكك صلاح الدين فى عقيدة غير المسلمين (المسيحيين)، كما لم يشك فى وطنيتهم، وسوف نلاحظ أن أحدًا لم يتهم صلاح الدين بأنه يريد أن تتم إبادة الأقباط فى الحرب، هو لم يدفع بهم، بل هم الذين تقدموا، وانتهت هذه الحملات على النحو المعروف بهزيمة الصليبيين ورجوعهم إلى بلادهم، ولم يهتز الإسلام فى مصر سواء بسبب مشاركة الأقباط فى القتال والجهاد ولم ينهار اقتصاد الدولة الأيوبية بسبب إسقاط الجزية عن الأقباط.. وبغض النظر عن هذا كله، فإن الذى يقول هذا الكلام ليس باحثًا أكاديميًا ولا يلقيه فى مدرج جامعى، بل هو زعيم أو مرشد له أنصار وأتباع فى الشارع، وهؤلاء الأتباع بينهم من يمارس العنف تجاه الآخرين، كان أنصاره قد اغتالوا من قبل أحمد ماهر ، وفى نوفمبر ١٩٤٧م حين تحدث عن الجزية كان قرار التقسيم قد صدر، مما هيج المشاعر الدينية وأربك العلاقة بين المسلمين واليهود فى مصر وفى معظم بلاد المنطقة، لكن قبل قرار التقسيم، كانت قد جرت واقعة خطيرة فى مارس ١٩٤٧م، حيث تم إحراق كنيسة فى الزقازيق، إثر شائعة انتشرت فى المدينة عن قيام شاب مسلم بالتحول عن دينه إلى

(١) رسالة إلى الشباب، ص ٢٨٨.

المسيحية وأن الكنيسة كانت خلف هذا التحول، وكان ذلك العمل يأتى على التقيض من الروح التى أحدثتها ثورة ١٩١٩م فى العلاقة بين المسلمين والأقباط، وكان إحراق الكنيسة عملاً مفاجئًا للكثيرين، ومخيفًا بالتأكيد للأقباط، خاصة أن رجال الأمن فى مدينة الزقازيق لم يعثروا على متهم فى حادث الإحراق، ولم يكن هناك مجرم بعينه، لكن المتابعين لهذا الشأن اتهموا مباشرة حسن البنا، واعتبر خطابه وحديثه عن الجزية وعن الذميين وأهل الكتاب خطابًا تحريضيًا بشكل مباشر ضد غير المسلمين، وخاصة المسيحيين واليهود، وجاءت أحداث العنف سنة ١٩٤٨م ضد المنشآت اليهودية لتؤكد هذا الشك، فقد كان رجال البنا وراء هذه الأعمال، وكانوا يتفاخرون بها، ولكن تداخلت هذه الأعمال مع حالة الاحتقان العامة لتقسيم فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية فى حرب ١٩٤٨م، مع وجود ثقافة لم تميز كثيرًا بين اليهود واليهودية من جانب والصهيونية وإسرائيل من جانب آخر، لكن بالنسبة إلى الأقباط كان الأمر مختلفًا، وكان القلق باديًا مما يقوم به حسن البنا من إثارة الاحتقان الطائفى، وضح ذلك فى مقالات سلامة موسى والقمص سرجيوس.

★★★

كان لدى سلامة موسى موقفًا مضادًا من حسن البنا وجماعته، فهو من دعاة فصل الدين عن الدولة، وكان البنا يريد العكس تمامًا؛ لذا تعددت انتقادات سلامة موسى للبنا، ولكن كان جانب من هذه الانتقادات يتعلق بما يمكن أن نسميه «الموقف الطائفى» الذى رآه سلامة موسى فى دعوة وأفكار حسن البنا، ونشر سلامة موسى هذه المقالات فى جريدة مصر، وفى جريدة الشعلة، لسان الوفد الأسبوعى.

جرى حادث إحراق كنيسة الزقازيق فى عهد وزارة محمود فهمى النقراشى سنة ١٩٤٧م، وكان النقراشى متهمًا من بعض القوى السياسية والحزبية أنه «يدلل» حسن البنا والإخوان، وقد وجدها سلامة موسى فرصة ليصب غضبه على النقراشى جراء

ما حدث، فيكتب بالشعلة، فى باب «من أسبوع لأسبوع» عدد ١١ أبريل سنة ١٩٤٧م تحت عنوان «حادث الزقازيق».

قال سلامة موسى فى مقاله «يومان فى تاريخ النقراشى باشا هما أشأم الأيام فى تاريخ مصر، ويومان فى تاريخ الوزارة النقراشية هما يوما النحس ونذيرا الهوان لمستقبل هذا الوطن المتعوس بأبنائه، اليوم الأول هو يوم ٤ أكتوبر حين هجم الإخوان المسلمون وغوغاؤهم على المتاجر اليهودية ونهبوا ودخلوا الكنيس وحطموا كراسيه وداسوا الكتب المقدسة فيه وكان هذا الحادث فى ١٩٤٥م فى وزارة النقراشى».

واقعة سنة ١٩٤٥م التى يتحدث عنها سلامة موسى بخصوص الاعتداء على المتاجر اليهودية، سقطت من الذاكرة التاريخية، لا يشير إليها أحد، وكأنها لم تحدث، ويفسر التوقف - فقط - عند الاعتداءات التى قام بها الإخوان تجاه اليهود المصريين سنة ١٩٤٨م، أى فى أعقاب قيام إسرائيل، لكن واقعة ١٩٤٥م تكشف أن هناك موقفًا طائفيًا وعدائيًا من الجماعة تجاه اليهود المصريين، حتى قبل اشتعال أزمة فلسطين.

وينتقل سلامة موسى إلى الواقعة الطازجة، التى جرت وقت كتابة المقال أو بسببها كتب مقاله يقول «اليوم الثانى هو يوم ٢٧ مارس الماضى حين هجم الإخوان المسلمون وغوغاؤهم أيضًا على كنيسة الأقباط فى الزقازيق، فضربوا سيدات الأقباط وطاردوهم ثم حطموا الكراسى وكسروا النوافذ. وحملوا الكتب المقدسة وداسوها ومزقوها وهدموا سور الكنيسة وفرت النساء، وكلنا يعرف ماذا يحدث حين تفر النساء وخلفهن غوغاء من الإخوان المسلمين» ثم يقول سلامة موسى «وحادث الزقازيق يجب أن تنشر تفاصيله وتعين أسبابه لجمهور المسلمين المتدينين قبل جمهور

الأقباط المتدينين حتى يعملوا جميعًا على محو التوحش والخسة والنذالة»[1].

---

(١) كانت جريدة الشعلة أرسلت أحد محرريها إلى الزقازيق ليحقق الواقعة، ونشر التحقيق فى نفس العدد الذى نشر به مقال سلامة موسى، وبدأ المحرر تحقيقه بأن التقى كاهن الكنيسة، ودار بينهما حوار يتضح منه الكثير، فقد بادر الكاهن المحرر قائلاً «إنها فرصة طيبة تتيحها لى الشعلة لكى يظهر الحق ويتضح أننا لم نمس مواطنينا وإخواننا فى دينهم.. كما توهم البعض وأشاع كذبًا» فسأله المحرر «أليس صحيحًا أن أحد الإخوان المسلمين قد تحول إلى الديانة المسيحية؟ ورد القس غاضبًا: أبدًا لم يحدث شيء من هذا وكل ما هناك أنه حدث فى أثناء اجتماعى فى إحدى الليالى مع أعضاء الجمعية أن دنا علينا شاب يبدو أنه من العمال فحيانا وجلس بيننا ثم عبر لنا عن رغبته فى تغيير دينه، ولقد عرفنا فى الحال أن الشاب مدسوس علينا فزجرناه بلطف وقلت له : إن كل إنسان يجب أن يحافظ على دينه ودين آبائه، وأن كل من يغير دينه وعقيدته إنما يغيرهما لمصلحته». ويقول القس كذلك «انصرف الشاب بعد أن أدرك أن سره قد انفضح والحقد يملأ صدره.

وعاد المحرر ليسأل الكاهن: ولكنى سمعت أن هذا الشاب قد أبرز صليبًا دق حديثًا على يده وقال إنكم وضعتم له هذا الصليب دلالة على أنه صار مسيحيًا.

يكتب المحرر « وضحك الكاهن طويلاً وقال: إن هذه القصة المخترعة بالذات هى التى كشفت افتراء الشاب، وذلك لسببين، أولهما: أن اعتناق الديانة المسيحية لا يتطلب دق صليب على اليد أو غير اليد وندر من المسيحيين من يحمل صليبًا على يده. وإن اعتناق هذا الدين يتطلب إجراءات طويلة وصلوات تجرى فى داخل الكنيسة وهذا ما لم يحدث مطلقًا للشاب المذكور. كما أن العادة جرت أن الذى يدق صليبًا على يده فإنما يدقه على يده اليمنى. وقد بلغ من بلاهة الشاب، أو قل إن الله هو الذى أراد أن يظهر الحق فجعله يدق الصليب على يده اليسرى».

ولم تتوقف تساؤلات المحرر عن نتيجة التحقيقات وهل أثبتت أن الشاب هو الذى دق الصليب بنفسه ليتهم الكنيسة بذلك.. ويجيب الكاهن قائلاً وليس من حقى أن أتعرض للتحقيق، ولكن كل ما فى وسعى أن أقوله لك هو أن التحقيق أثبت بصفة قاطعة أن الشاب المذكور لم يغير دينه، وأن أحدًا لم يفاتحه فى ذلك أو يحرض عليه أو يلوح له بالمال.. أو بالفتاة التى يهواها كما قيل كذبًا».

وكان السؤال الأخير للمحرر: هل أفهم من هذا أن الشاب كان من محركى الفتنة؟

وأجاب الكاهن «أنه على الأقل كان الآلة التى استعملها اللاعبون بالنار.

وهنا توقف تحقيق محرر الشعلة، ولم يمتد بالأسئلة والبحث من بالضبط الذى هاجم الكنيسة.. من فعل ذلك ومن حرض ومن خطط..؟ واكتفت الشعلة بالقول «إنه حادث فردى كالذى وقع فى الزقازيق لا يمكن أن يؤثر فى وحدة أمة اختلطت دماء المجاهدين فيها ببعض على اختلاف أديانهم».

ويندد سلامة موسى بحكومة النقراشى قائلاً «الإخوان المسلمون دعاة الماضى الذين يهدمون الكنائس يجدون التشجيع. ولم يقبض على أحد منهم بعد هدم كنيسة الزقازيق». ثم يقول «الوزارة النقراشية ارتضت سلوكهم وأذنت لهم بإخراج جريدة يومية، فأصبح لهم نشاط يتزايد، بل يتفاقم كل يوم ونحن نقرأ عن «الجزية التى يجب أن يؤديها الأقباط»، فى إشارة إلى حديث حسن البنا السابق عن الجزية، ويتذكر سلامة موسى ويتألم «إنه لأسف يحزن الصدر، هذا الأسف الذى نحسه حين نذكر شبان المسلمين يخطبون فى سنة ١٩١٩م من فوق المنابر فى الكنائس وشبان الأقباط يخطبون من فوق المنابر فى المساجد، ثم نذكر ما انتهت إليه الحركة الوطنية التى يتسلط عليها الآن الدراويش الذين يهدمون الكنائس وينهبون المتاجر ويطالبون بالجزية من اليهود والأقباط».

ورغم ما حدث هناك لمحة تفاؤل لدى سلامة موسى «إننا ما زلنا نرى بصيصًا من النور فى أولئك الطلبة الجامعيين من المسلمين الذين شاركوا إخوانهم الأقباط فى سخطهم على حادث الزقازيق واشمئزازهم من الإخوان المسلمين الذين قاموا به وحرضوا عليه».

لم تكن مقالات سلامة موسى حول حسن البنا كثيرة، هناك مقال له نشر فى «مصر»، عدد ٢ أبريل ١٩٤٨م، حمل عنوان «حزب حسن البنا وفضيحته» يقول فيه «ولم تكتف هذه الجماعة بإيجاد حزب سياسى ينهض على التفريق الدينى، بل عمدت إلى إيجاد هيئات اقتصادية أيضًا تقوم على هذا التفريق. كما رأينا مثالاً فى شركة تسمى المعاملات الإسلامية».

وينقل سلامة موسى فقرات كاملة من مقال كتبه أحمد حسين زعيم مصر الفتاة، ضد حسن البنا وجماعته، الفقرات بالغة القسوة والحدة نقرأ منها «فشعوذة الشيخ تأبى إلا أن تصور لأتباعه أنهم هم المسلمون حقًا وأن بقية الناس كفار. وشعوذة الشيخ تأبى إلا أن تصور لغلمانه أنهم رهبان الليل وفرسان النهار وأنهم السابقون

المقربون لدى الله. وشعوذة الشيخ ودجله يأبيان إلا أن تحدث الغلمان عن الحور العين..».

وينتقل أحمد حسين فيما نقل سلامة موسى إلى الحديث عن جرائم الإخوان. فيقول «الإخوان المسلمون قد أصبحوا خطرًا على أمن مصر وسلامها الداخلى والخارجى، وقد حان الوقت لوضع حد لهذه المهزلة وهذه السخرية، فقد طالت حتى باخت وتحولت إلى خطر داهم». ثم يعدد أحمد حسين مظاهر هذا الخطر، فيقول «لقد سمع الناس بمقتل الخازندار بك لأنه رجل عظيم شهير ولأنه أول رئيس محكمة فى كل تاريخ مصر يقتل بهذا الأسلوب الوحشى، ولكن هناك جريمة لا تقل هولاً عن هذه الجريمة إلا من حيث شخصية المجنى عليه، ولم يسمع بها الناس أو سمعوها ولم يعيروها كل ما تستحق من الأهمية». ويحكى رئيس مصر الفتاة، الواقعة بتفاصيلها «منذ ثلاثة أسابيع فى مدينة كوم النور، ذهب نفر من مصر الفتاة ليؤلفوا شعبة فى كوم النور[1] فما كان من الإخوان المسلمين إلا أن يجمعوا جموعهم ويقف فيهم الخطيب محدثًا إياهم عن غزوة بدر وحرب المشركين وضرورة إبادة الكفار من وادى النيل، فينطلق هؤلاء المجرمون الحمقى وهم مسلحون فيقتلون أول من يصادفهم فى القرية وقد كان شابًا فى ريعان الشباب لم يمض على زواجه عشرة أيام إلا وهو شهيد..».

ويواصل أحمد حسين فيما ينقل عنه سلامة موسى بالقول «لو أن الجرائم التى يرتكبها الإخوان المسلمون كانت موجهة ضد أعداء البلاد من أى نوع كان، لالتمسنا لهم العذر ولكنها كلها موجهة إلى أبناء البلاد، أولم يأتك هذا النبأ عندما ألقى طلبة أغرار قنبلة فى مدرسة الزقازيق الثانوية فأصابت من أصابت من الطلاب». ثم يقول أحمد حسين «أولم يأتك نبأ حرقهم لكنيسة من الكنائس». موقف

(١) كوم النور: قرية كبيرة تقع فى مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وهى على الطريق بين مدينتى ميت غمر والسنبلاوين، وتتميز بارتفاع نسبة التعليم فيها.

سلامة موسى من حسن البنا وجماعته يتضح أكثر فى مقال له بعنوان «تشجيع التحزب الدينى لمنع التطور السياسى» نشره فى كل من «الشعلة» ، وفى «مصر» ٤ يونيه ١٩٤٧م. وفكرته الأساسية فى ذلك المقال أن «المستعمرون الأجانب والمستبدون الوطنيون» يشجعون الحركات الدينية، التى تهتم بالتمييز الدينى وليس بمكافحة الفقر وبناء المدارس والجامعات وإقامة الديمقراطية والحياة الحزبية، وقد برع الإنجليز فى ذلك .. فعلوه فى الهند وفى مصر وفى فلسطين وفى السودان، يقول «يفرح الإنجليز لهذه الدعوة إلى التحزب الدينى حتى أنهم أجازوا للإخوان أن ينشئوا فرعًا فى السودان وفلسطين وشرق الأردن. ويفرح أيضًا المستبدون لهذه الدعوة لأن كل ما يحفظ للمستعمرين امتيازاتهم واحتكاراتهم يحفظ أيضًا للمستبدين امتيازاتهم واحتكاراتهم».

★★★

شخصية القمص سرجيوس تختلف كثيرًا عن شخصية سلامة موسى.. القمص رجل دين فى المقام الأول، وهو أحد رموز ثورة ١٩١٩م، شارك فيها، وحضر العديد من المؤتمرات فى الأزهر وغيره من المساجد الكبرى، وصعد منبر الأزهر يخطب مثيرًا الحماس للثورة والمطالبة بالاستقلال، حتى أن هناك من أطلق عليه «خطيب الثورة»[١]. نحن إذن بإزاء رجل دين لديه اهتمام بالشأن الوطنى والشأن العام، هو كذلك كان متحمسًا لما يؤمن به، وهذا ما جعله يدخل فى صراعات عديدة، وكان من الذين اصطدم بهم القمص سرجيوس، مرشد الإخوان حسن البنا، وكان البنا هو الذى بدأ الصدام، من المؤكد أنه كان لسرجيوس موقفًا من الإخوان، هو - بمعنى ما - ابن لثورة ١٩١٩م وأحد رموزها، وجاءت الإخوان من البداية تعلن العداء لحزب الوفد، وترفض مبدأ الوطنية المصرية داعية إلى دولة الخلافة الإسلامية، وكان ذلك مصدر قلق لدى كثيرين، خاصة أبناء ثورة ١٩١٩م،

(١) حول شخصية القمص سرجيوس راجع د. محمد عفيفى: الدين والسياسة فى مصر المعاصرة. القمص سرجيوس، دار الشروق، ط١، سنة ٢٠٠١م.

وكان القمص سرجيوس واحدًا من هؤلاء، والذى حدث أنه فى مطلع مايو ١٩٤٧، دُعى سرجيوس من الجمعية القبطية الأرثوذكسية بمعسكر التل الكبير لإلقاء بعض العظات الدينية فى الكنيسة بالمعسكر، ولبى هو الدعوة يوم ٧ مايو، وزار الكنيسة وألقى عظاته، فإذا بجريدة الإخوان المسلمين تشن هجومًا قاسيًا على سرجيوس، وقد وجهت إليه العديد من الكلمات والاتهامات القاسية، كتبها حسن البنا على النحو التالى «علمنا أن القمص سرجيوس يجتمع بمواطنينا الأقباط فى التل الكبير (...) وأن هذا الاجتماع يتم فى كنيسة داخل إحدى المعسكرات البريطانية (..) فما وراء هذه الاجتماعات؟ وهل هناك تدبير مبيت للاعتداء على كنيسة أخرى مثل كنيسة الزقازيق؟» وتقول المجلة أيضًا « إن إصبع المستعمر فى إثارة الفتنة بارز ملموس وإن كان للإنجليز أن يطبقوا سياستهم التى استعمروا بها العالم، وهى التفريق بين أبناء الوطن الواحد (...) فكيف يسمح رجل من رجال الدين لنفسه أن يكون مطية لأعداء الوطن والدين».

واتهام كهذا بالغ القسوة فى حق الرجل الذى عرف بعدائه للإنجليز، فقد كان فى بعثة كنسية للسودان وأعاده الإنجليز من هناك إلى مصر سنة ١٩١٥م إذ وجدوا أنه يحرض المواطنين عليهم، وفى أثناء ثورة ١٩١٩م نفوه إلى رفح فى فلسطين وفى خطبه فى أثناء الثورة كان شديد النقد والسخرية من الإنجليز، وإذا هو بعد ذلك يتهم من مرشد الجماعة أنه صار مطية للإنجليز، ولم يتوقف أمر الاتهامات عند هذا الحد، بل امتد الأمر إلى تحريض الجهات الرسمية عليه بضرورة «لفت نظر الحكومة لهذه المؤامرة الجديدة حتى تقضى على الفتنة فى مهدها، فما فى كل مرة تسلم الجرة». ويحرض المرشد كذلك الأقباط عليه .. «الاتجاه إلى مواطنينا الأقباط ليتبرؤوا من هذا القمص وليثبتوا إخلاصهم للوطن الذى يجمعنا والذى يجب أن نفتديه بدمائنا وأموالنا».

أعاد القمص نشر ما نشرته عنه جريدة الإخوان، وبدأ فى الرد بجملة قاسية وموجعة تجاه حسن البنا نفسه وجماعته، ووصلت ردوده إلى أكثر من عشرين مقالاً، كان

الأول منها بعنوان «الموت ولا حكم دولة عم حسن البنا» نشره فى مجلته التى كان يصدرها «المنارة المصرية»، المقال مطول، جاء فيه «ها نحن قد عشنا وشفنا ووقفنا مع الذين سبقونا ورددوا هذا القول لأننا ما كنا نحلم أو نتصور أنه فى القرن العشرين وفى عهد الدستور والديمقراطية والقنبلة الذرية يقوم فى مصر (...) هنا فى عروس الشرق وقدوته، يقوم عم حسن البنا يجمع حوله رهطًا هم أعلم الناس بحقيقة أنفسهم يتطلعون إلى الحكم فى مصر وإخضاع البلاد وإذلال العباد، ولم يقفوا عند حد التطلع، بل أخذوا يعملون على الوصول إلى أغراضهم، فجيشوا جيوشًا عرمرم وحشدوها فى كل بلد وفى كل مكان كما جمعوا من الأسلحة ما جمعوه، وها هم ينشرون إرهابهم فى البلاد وإن كانوا بدؤوا بالمسيحيين واليهود فحرقوا الكنائس وهجموا على الجمعيات وأقاموا المظاهرات..» ثم يقول «ولما استمرؤوا المرعى ولم يجدوا من يردعهم هجموا على رجال الحكومة فى مركز ههيا وضربوهم لأنهم تصدوا لهم وأرادوا أن يمنعوهم عن المظاهرة لزفة مسيحى أكرهوه على الإسلام..»، ويتخيل سرجيوس النحاس باشا وهو يدعو المسلمين والمسيحيين واليهود ليتوجهوا بالدعاء إلى الله «خدها يا رب ما تحضرهاش حكم هذه الدولة قبل أن يحكم فيها زعيط ومعيط ونطاط الحيط. فالموت ولا حكم دولة عم حسن البنا.» ويقدم القمص تبريرًا لموقفه أو رأيه الأخير بالقول «نحن إذا قلنا هذا لا نفترى على عم حسن ورهطه، فهو ذا عم حسن ورهطه كانوا فى بادئ أمرهم من القوم الذين يحشدهم المرشحون لعضوية النواب والشيوخ ليعطوهم أصواتهم أو ليقوموا لهم بعمل الدعاية فى أوساطهم فلما تكرر حشدهم واستخدامهم لأغراض مماثلة داخلهم الغرور فقالوا فى أنفسهم: إذا كان الزعماء والشيوخ والنواب لا يصلون إلى كراسيهم إلا بواسطتنا فلماذا لا نأخذ نحن هذه المراكز لأنفسنا (...) ولماذا لا نكون نحن الإخوان نوابًا وشيوخًا ووزراء وكبيرنا رئيسًا للوزراء؟» وتوالت مقالات القمص، كان عنوان إحداها - ٢٨ يونية ١٩٤٧م - «اليوم تدلل وغداً تذلل يا حسن البنا!». وفى ١٢ يوليو كان عنوان مقاله «حسن البنا يخنق نفسه بيده». وردت جريدة الإخوان تدافع عن المرشد، وحاول البنا أن يدافع عن نفسه، ويبدو أنه لم يكن

بتوقيع حدة القمص، الذى بدا أنه متابع جيد لمسيرة البنا وجماعته ويدرك الكثير من الخبايا عن التوظيف السياسى الذى قامت به الحكومات المختلفة للجماعة، وفضلاً عن ذلك كان القمص ينتقد بعمق كتابات ومقالات البنا، وأثبت القمص أن لديه إلمام واسع بالثقافة الإسلامية وعلى دراية كاملة بالآيات القرآنية وأقوال كبار المفسرين حولها. فقد اتهمه أنه يقدم «تفسيرًا ملتويًا للقرآن الكريم»، وكان البنا يقدم «نظرات في القرآن الكريم». وحاول أن يفسر الآيات القرآنية التى تتعلق بالمسيحيين وبأهل الكتاب، والحقيقة أنه لم يكن مفسرًا ولا كان ملمًا بخبايا وأسرار علم التفسير، وكذلك كانت ثقافته المعاصرة محدودة؛ لذا راح يطلق أحكامًا بالكفر على أهل الكتاب، مما أثار عليه ليس القمص سرجيوس فقط، بل آخرين غيره وكشف سرجيوس فى ردوده عن ثقافة واسعة وإحاطة بالثقافتين الإسلامية والمسيحية، فضلاً عن إلمامه بالأفكار الحديثة، وهذا ما افتقده البنا، الذى أخاف غير المسلمين، وترصده سرجيوس بالبحث والرد، مفندًا كل ما يقول به فى سلسلة أخرى من المقالات حملت عنوان «حسن البنا يحرض على قتال الأقليات».

وكان البنا قد توقف أمام الآية القرآنية الكريمة ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[التوبة ٢٩] وجاء فى تفسير البنا لها «وقد وصفت الآية أهل الكتاب وهم فى عرف الإسلام اليهود والنصارى بثلاث صفات بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وبأنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وبأنهم لا يدينون دين الحق وذلك معلوم من سيرتهم وكتبهم». وقال أيضًا «وأهل الكتاب فيُقاتلون كما يُقاتل المشركون تمامًا إذا اعتدوا على أرض الإسلام أو حالوا دون انتشار دعوته». وقال فى سياق آخر «وأما أهل الكتاب فقد ترخص الإسلام في أمرهم وأجاز الاكتفاء بأخذ الجزية منهم، فمتى تعهدوا بأدائها ورضوا بها فقد وجب أن يرفع عنهم السيف، ومثلهم فى ذلك

المجوس والصابئون والمشركون من غير العرب والوثنيون كذلك في أرجح الأقوال». وراح القمص يرد على هذه الآراء بعبارات غاية في الانفعال والقسوة، فأطلق على حسن البنا «شيخ السوء» وبدلاً من لقبه المرشد العام قال عنه «المفسد العام» والواقع أن الآية القرآنية الكريمة لم تدن «أهل الكتاب» عمومًا، لكن فئة منهم هم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.. ولذا راح سرجيوس يستشهد بأقوال مفسرين آخرين وبآيات أخرى من القرآن الكريم تشيد بأهل الكتاب وتنفى ما ذهب إليه البنا، وكان عدد من علماء الأزهر ومن هيئة كبار العلماء، قد ردوا على البنا، واستشهد بهم سرجيوس «ولعل في فتاوى حضرات علماء المسلمين التى نشرت ضدك في الصحف ما يجعل المسلمين في بلاد الشرق أن يضربوا بأقوالك عرض الحائط (...) لا شك أصبحت غير ذى ثقة في أمور الدين بعد أن اتخذت الدعوة إلى الخير وسيلة لارتكاب المحرمات وهو من أشد ما يمقته الدين، الأمر الذى فيه تسخير المظهر الدينى للحصول على الشهوات، وهو باب في الوقت نفسه من أبواب إفساد الأخلاق، كما جاء عنك في رأى فضيلة الأستاذ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء».

هل كان القمص سرجيوس مبالغًا في مخاوفه ومتحاملاً على حسن البنا؟

الواقع أن بعض كلمات القمص في مقالاته يمكن أن تدخل اليوم في باب «السب»، لكن هكذا كانت المعارك والحملات الصحافية في ذلك الزمان - ديسمبر ١٩٤٧م- لكن تفسيرات البنا كانت مقلقة ومخيفة، وإذا كان عدد من علماء الأزهر، أصابهم القلق من آراء البنا وراحوا يردون عليه، وقلق أيضًا من هذه الأفكار الليبراليون واليساريون المصريون.. فما بالنا بغير المسلم؟

من الناحية العلمية والفقهية فإن أفكاره ليست ذات وزن، ولو أنها صدرت عن أستاذ متخصص بعد كتابًا مع نفسه لفات الأمر، لكننا بإزاء رجل هو قائد جماعة ويدير ميلبشياته المسلحة «التنظيم الخاص» وكانت بعض أعمال العنف من هذا

التنظيم قد بدأت، وأحرقت كنيسة الزقازيق، واتجه المزاج العام إلى تحميل حسن البنا مسؤولية التحريض على هذا العمل، ثم بدأت أعمال العنف تجاه اليهود وبعض منشآتهم فى مصر، ويمكن للإخوان اليوم أن يبرروا تلك الأعمال بأنها كانت دفاعًا عن فلسطين، لكن وقتها لم يكن الفهم هكذا، على الأقل، لدى كثير من أفراد النخبة، وعلى سبيل المثال قام التنظيم الخاص للإخوان بنسف شركة الإعلانات الشرقية وهى شركة مملوكة ليهود مصريين، وكان تفسير هذا الفعل لدى عدد من الكتاب وقتها أنه تم نسفها لأنها تنافس شركة المطبوعات الإسلامية، التابعة للجماعة، أى أن العنف لم يكن بسبب وطن ولا دفاعًا عن فلسطين ولكن كان من أجل المنافسة المالية والتجارية (البيزنس). وحين يدخل حسن البنا فى الحديث عن القتل والسيف والجزية ومن خلفه تلك الميليشيات فلا بد أن يقلق المسلمين وغير المسلمين، وإذا كانت أعمال العنف بدأت بالمسلمين - القاضى أحمد الخازندار وغيره - فما بالنا بغير المسلمين وماذا نتوقع منهم؟! لذا لم يكن غريبًا أن تأتى كتابات بعض الأقباط مساندة لما يقول به القمص سرجيوس.. ولم يكن غريبًا أن تتلاقى بعض كتابات سلامة موسى وسرجيوس، رغم ما بينهما من خلاف فكرى وثقافى.

لم تهدأ المعركة الصحافية بين القمص والمرشد، وذكر القس إبراهيم عبد السيد وكان قريبًا من القمص سرجيوس أن النقراشى باشا رئيس الوزراء تدخل لإيقاف هذه المعركة وتهدئة الأمور بين الجانبين[1]، ثم جاء اغتيال الجماعة للنقراشى فيما بعد ليؤكد هواجس القمص سرجيوس وأيضًا مخاوفه.

ذهب سرجيوس فى مقالاته إلى حد أن اعتبر حسن البنا المسؤول الأول والأخير عن الاحتدام الطائفى الذى شهدته مصر نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، وهو الاحتقان الذى انتهى بهجرة أعداد كبيرة من اليهود المصريين وبروز مخاوف قبطية، فبعد إحراق كنيسة الزقازيق احترقت كنيسة فى السويس سنة ١٩٥١م،

(١) راجع محمد عفيفى، المرجع السابق، ص ٥٠.

وسواء كان حسن البنا يقصد أم لا.. فإن أحاديثه عن الجزية وأهل الكتاب أثارت الفزع، وقيام المليشيات الخاصة به (التنظيم الخاص) بأعمال إرهابية، أكدت ذلك الفزع والقلق، لكن يجب أن نراعى عدة أمور، منها أن فكرة حسن البنا ومشروعه كان يعلن من البداية مناهضته للمشروع الوطنى الذى قامت عليه ثورة ١٩١٩م، كان هو من أنصار ودعاة دولة الخلافة، وليس الدولة الوطنية، بكل مفرداتها وأدواتها، ولم يكن هذا المشروع ينذر المخاوف حين كانت الجماعة ناشئة وكان المشروع الوطنى قويًا وناهضًا، ولكن بتراجع هذا المشروع وانكشافه، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ مشروع البنا يتمدد، وقد تراجع المشروع الوطنى بسبب عنجهية المستعمر البريطانى وإصراره على عدم الجلاء عن مصر، وكانت آخر محاولة فى هذا الصدد، تلك التى قام بها النقراشى باشا سنة ١٩٤٧م بعرض القضية المصرية على مجلس الأمن فى سنة ١٩٤٧م؛ لذا لم يكن هناك بد أمام النحاس باشا أن يعلن إلغاء معاهدة ١٩٣٦م فى سنة ١٩٥١م، وبدأت أعمال الفدائيين.

وفى العادة تظهر المشكلات الطائفية حين يتراجع المشروع الوطنى، وإذا كانت الحرب العالمية الأولى انتهت بقيام ثورة ١٩١٩م وانتصار الحركة الوطنية والدولة المدنية الحديثة، مما أشاع حالة من التفاؤل العام، نجد الحرب العالمية الثانية تنتهى بنتيجة عكسية، حيث ظلت بريطانيا تصر على رفض الخروج من مصر وتفاقمت المشكلات الاجتماعية، التى عرفت باسم الفقر والجهل والمرض، ولم يكن هناك أى أفق واعد بانفراج فى هذه القضايا، وتفاقم الأمر مع احتدام الصراع على فلسطين واندفاع المشروع الصهيونى فيها بمساندة إنجليزية كاملة، هذا كله أضعف الأحزاب المدنية، وجعلها تتراجع، بينما تتقدم القوى والتيارات المضادة، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، ما فعله حسن البنا أن استغل هذا الفراغ وراح يوظفه لصالح فكرته ومشروعه، وأخذه الغرور بقوته وأغراه ضعف الآخرين من أحزاب وقوى سياسية، فكان أن دفع حياته ثمنًا لحماقات مليشياته وغروره الشخصى.

الفصل السابع

الجميل السعودى

فى نهاية عام ٢٠٠٢م شن وزير الداخلية السعودى الأمير نايف بن عبد العزيز هجومًا ضاريًا على جماعة الإخوان المسلمين اتهمهم فيه «بخيانة العهد وإنكار الجميل» وتجاوزت الاتهامات الحدود السلوكية والأخلاقية للجماعة عامة أو بعض أفرادها، إلى حد اعتبارهم مسؤولين عن «إفساد الأمة واستخدام الدين لتحقيق مآرب سياسية صغيرة»، كان البيان والتصريحات التى أدلى بها الوزير السعودى غريبة، ليس فى قوتها فقط، ولكن فى أن المسؤولين الكبار بالمملكة لم يعتادوا التعبير بهذه الطريقة الصريحة، إذ غالبًا ما يكتفى هؤلاء بالتلميح فقط، فالخطاب السعودى الرسمى محافظ ويحرص أصحابه على التزام التقاليد العربية التى لا تميل إلى الانتقاد الجارح، وفضلاً عن ذلك كان غريبًا أن يصدر ذلك فى حق جماعة الإخوان، وعلاقة الجماعة بالمملكة قديمة وودودة.. فى ذلك الوقت ظهرت تحليلات عديدة لهذا الموقف من وزير الداخلية السعودى، الذى كان يعبر عن موقف المملكة، من بينها أن الجماعة خرقت اتفاقًا قديمًا مع المملكة بعدم تجنيد أى من مواطنى المملكة، لكن تبين للمملكة أن الجماعة اخترقت فى بعض المدن إلى بعض النساء السعوديات وجندتهن[1].

حين اتهم وزير الداخلية الأمير نايف الإخوان بخيانة العهد وإنكار الجميل، فقد كان مدركًا عمق وقدم الصلة بين الجماعة والمملكة، والتى تعود إلى أيام مؤسس

(١) راجع: مجلة المصور، عدد ٢ يناير ٢٠٠٣م، مقال مكرم محمد أحمد «الوقائع الخفية بين السعودية والإخوان المسلمين».

المملكة عبد العزيز بن سعود ومؤسس الجماعة حسن البنا، وهى علاقة وصلة تسبق اعتراف المملكة المصرية، وعلى رأسها جلالة الملك فؤاد، بالمملكة العربية السعودية حين أسسها جلالة الملك عبد العزيز.. وحين أشار الكاتب وحيد حامد فى مسلسل «الجماعة» إلى الصلة بين حسن البنا وبعض مسؤولى المملكة غضب بشدة بعض الإخوان وفهموا الأمر أن الكاتب يريد أن يصور البنا أنه تجاوز الدولة والمملكة المصرية، حيث أقام علاقات مع دولة لم تكن مصر قد اعترفت بها، لكن هون البعض من ذلك الأمر باعتبار أن المملكة حينذاك كانت بلا نفط وكانت ظروفها المالية سيئة ولا تمكنها من دعم أحد.. ودار نقاش مكتوم فى المجالس والمنتديات الخاصة للمثقفين والسياسيين حول هذه الجزئية.

ويجب القول إن المملكة حين تأسست وأعلن الملك عبد العزيز قيامها لم تجد ترحيبًا من الأصوات التقليدية فى المنطقة، خاصة أسرة الشريف حسين التى رأى أفرادها أنهم الأحق بحكم المناطق المقدسة، وقد وقفوا مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية على وعد أن تمكنهم بريطانيا من حكم هذه المناطق، ولم يرحب بالمملكة الكثير من علماء المسلمين، خاصة علماء الأزهر، فقد كانت الصلة قوية بين المملكة والوهابيين، وكان لدى هؤلاء العلماء موقفًا رافضًا للتشدد الوهابى، كان الوهابيون جلدوا جنديًا مصريًا من المصاحبين لكسوة الكعبة سنة ١٩٠٢م لأنه كان يدخن سيجارة[(١)].. لكن فى المقابل هناك فريق من المهتمين بالشأن الإسلامى رحبوا بقيام المملكة باعتبار أنها دولة قامت على أسس إسلامية خالصة، وهى أقيمت بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية، وكان قيامها مبعث آمال لدى هؤلاء، خاصة أنها تضم مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن هؤلاء كان رشيد رضا صاحب مجلة المنار، الذى كتب سلسلة مقالات فى «المنار» مدافعًا عن الوهابية وعن الدولة الجديدة، وقد جمع هذه

(١) راجع فى ذلك: مايكل كوك: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الفكر الإسلامى، ترجمة د. رضوان السيد ود. عبد الرحمن السالمى ود. عمار الخلاص، طبعة ٢٠٠٩م، الشركة العربية للأبحاث والنشر

المقالات فى كتاب حمل عنوان «الوهابيون والحجاز»، ولم يكن رشيد رضا وحده، كان هناك غيره من أمثال عبد الرحمن عزام، لكن الملك فؤاد لم يعترف بالمملكة لأسباب تخصه، ومع ذلك لم يكن هناك عداء بين الدولتين، كانت التعاملات قائمة وطيبة بين المملكتين، خاصة فى مواسم الحج، لكنها كانت متجمدة عند القمة بسبب الملك فؤاد وليس بسبب الملك عبد العزيز؛ لذا كان تعامل مواطن مصرى مع المملكة العربية السعودية أمرًا لا غضاضة فيه ولا يسبب له أى مشكلات فى مصر؛ لذا وجدنا عددًا من المصريين عملوا مبكرًا فى المملكة ومع الملك عبد العزيز نفسه، مثل الشيخ حافظ وهبة.

كان حسن البنا على صلة برشيد رضا وفريق المعجبين بالمملكة، وعلاقة البنا بالسعودية قديمة، تعود إلى بداية عمله مدرسًا للخط العربي بالإسماعيلية، فقد كان مطروحًا أن يسافر معارًا إلى المملكة بأحد معاهدها الدينية فى مكة المكرمة، وسعى هو إلى ذلك، ولم يتحقق مسعاه لسبب لم يوضحه بالقدر الكافى فى مذكراته، هو يذكر أنه اشترط شروطًا وطلب مطالب لم تتحقق، لكن يبدو أن الأمر لم يكن كذلك، ويمكننا أن نخمن أن مؤهله العلمى لم يكن يسمح له بالعمل فى معهد دينى، وهو خريج «تجهيزية دار العلوم» ويحمل دبلوم دار العلوم ولم يكن هذا الدبلوم يعامل معاملة الليسانس أو البكالوريوس، وهذا الخريج ليس مؤهلاً بالقدر الكافى للتدريس بمعهد دينى، لنلاحظ أنه لم يدرس بالأزهر أبدًا، هو كذلك كان يعمل فى مصر مدرسًا للخط العربى، لم يكن قد ارتقى بعد ليكون مدرسًا للغة العربية، فما بالنا بالمواد الدينية؟! وفى خطاب بعث به حسن والده من الإسماعيلية بدا حزينًا ومتألمًا أنه لم يتمكن من السفر[1]، فقد كان يعول على ذلك كثيرًا، وهذا مفهوم الشباب فى مقتبل العمر، خاصة من ينتمى إلى أسرة فقيرة.

---

(١) نشر جمال البنا خطابات حسن البنا إلى والده فى كتاب مستقل.

عدم تمكنه من السفر لم يهز إعجابه بالمملكة، فنراه يقول عنها فى مذكراته «هى أمل من آمال الإسلام والمسلمين. شعارها العمل بكتاب الله وسنة رسوله وتحرى سيرة السلف الصالح». وهو فى مقابل هذا الإعجاب لا يتردد فى أن ينتقد ويدين حكومة بلاده – الحكومة المصرية – فى طريقة تعاملها مع المملكة وعدم اعترافها بها ويذهب إلى حد أن حكومة بلاده منصاعة فى ذلك للإنجليز، إذ يقول «كانت الحكومة المصرية لم تعترف بعد بالحكومة السعودية تنفيذًا للسياسة الإنجليزية التى تفرق دائمًا بين الأخوين». وهذا القول يعتمد على استسهال الاستنتاج والاندفاع وراء العواطف متجاهلاً الوقائع، فلم يكن للإنجليز دور فى هذا الأمر، وهناك ما يشير إلى أنهم كانوا يتمنون الوئام بين المملكتين، باعتبار أنهم يحتلون مصر وهم أيضًا يساندون ابن عبد العزيز ويدعمونه، حتى أنهم دبروا موقع حكم لأبناء الشريف حسين الذين كانوا يحلمون بحكم الجزيرة العربية، كانت المشكلة تتعلق بالملك فؤاد، كما سبق القول، كان فؤاد يطمح إلى أن يصبح خليفة المسلمين بعد إسقاط دولة الخلافة فى تركيا، وكان قيام دولة إسلامية فى المناطق المقدسة يضعف ذلك الطموح، بل يقضى عليه، إذ أن أهم واجبات خليفة المسلمين حماية مكة المكرمة والمدينة المنورة، أى يكون «خادم الحرمين الشريفين» وقد جاء الملك عبد العزيز ليقوم بتلك المهمة، وهناك سبب آخر شرح ملابساته الملك عبد العزيز بنفسه فى لقاء مطول مع د. محمد حسين هيكل وقد ذكره هيكل فى كتابه «فى منزل الوحى»[1]، ففى بداية الأمر بعث الملك عبد العزيز برسالة تطمين إلى الملك فؤاد يؤكد له فيها أن هدفه ليس الحكم ولا الملك، بل إنه لا يمانع فى أن يتولى الملك فؤاد ملك الحجاز، كانت رسالة شفوية ، تطمينية، إن صحت التسمية من رجل محنك، يسعى إلى اكتساب ود حاكم مصر، ولعله يريد بذلك أن لا يساند الملك فؤاد أحدًا من خصومه، وربما أراد أن يقول له بذكائه الشديد أن ماضى الأجداد، أى محمد على وابنه إبراهيم باشا مع الدرعية

(١) راجع التفاصيل كاملة فى كتاب د. محمد حسين هيكل «فى منزل الوحى»، الفصل الذى يحمل عنوان «مع ابن السعود»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

والدولة السعودية الأولى، فى طى النسيان بالنسبة إليها ولن يؤثر على العلاقات والأوضاع الجديدة بين البلدين، لكن فيما يبدو أن ذكاء الملك عبد العزيز لم يصل إلى الملك فؤاد الذى كان «مشتاقًا» بحق إلى الملك وإلى السلطة، ويبدو أن ما قاله الملك من باب المجاملة ترك أثرًا أو أمنية فى نفسه، أيًا كان الأمر فلم تكن هناك وقيعة قام بها الإنجليز ولا كان الملك تابعًا للإنجليز فى ذلك ولا منساقًا لهم، ينفذ سياساتهم.

ولأن حسن البنا مفتون بالمملكة، فإنه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيضيف فى مذكراته منددًا بالملك فؤاد دون أن يذكره بالاسم ومكتفيًا بكلمة الحكومة ليقول «كان الشعب المصرى بأسره يستنكر هذا الوضع الشاذ وكانت الطبقة المثقفة ترى فى نهضة الحجاز الجديدة أملاً من آمالها وأمنية من أمانيها»، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، ويقترب من الكذب الصريح، لم تكن العلاقة بين المملكتين أمرًا شاغلاً للشعب المصرى، ولا كان عدم اعتراف مصر بالسعودية مثار استنكار الشعب المصرى بأسره، كانت الأحزاب المصرية وقتها مشغولة بقضيتين أساسيتين.. الاستقلال وحكم الدستور، وكانت الأحزاب والقوى الرئيسية فى مصر متوقفة عند حدود علاقتنا ببريطانيا، وما كان يشغل المصريين - فى المقام الأول - علاقة مصر بالسودان أو وحدة وادى النيل، أما الاعتراف بالسعودية، فلم تكن قضية عند الأحزاب ولا فى الشارع المصرى، لسبب بسيط، هو أنه لم يكن هناك عداء بين الدولتين ولا كانت هناك حروب كلامية بينهما، كان هناك موقف خاص لدى الملك فؤاد، وأظن أن الجميع فى مصر وفى المملكة العربية السعودية كانوا يتفهمون ذلك، مثلاً حين أقام الملك عبد العزيز احتفالاً بقيام المملكة ذهب وفد صحافى كبير من مصر لتغطية الاحتفال، وعاد الصحافيون وكتبوا - لم تحذف الرقابة لهم كلمة - وأما إن نهضة الحجاز كانت أملاً وأمنية لدى الطبقة المثقفة فهو أيضًا كلام بلا معنى وغير صحيح. الصحيح أنها كانت كذلك لدى بضعة أفراد، من أبرزهم رشد رضا وحسن البنا وآخرون.

هذه المبالغات حتى لا نقول الأكاذيب التى قالها حسن البنا من قبيل الافتتان والإعجاب بالدولة الوليدة، وبالتأكيد فإن ما قام به الملك عبد العزيز من بناء دولة كبيرة وقوية فى منطقة الجزيرة العربية تجمع أشتاتها من قبائل متناحرة، أمر يدعو إلى الإعجاب، لكن حسن البنا لم يكن يرى ذلك فى هذه الدولة رآها فقط دولة تقوم على كتاب الله وسنة رسوله. والمؤكد أن إعجاب البنا لم يكن من طرف واحد، كان هناك من يتابعه داخل المملكة ويقدر ما يقوم به فى مصر، كان والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا يقوم بشرح كتاب «الفتح الربانى» فى مسند الإمام أحمد بن حنبل وينشره بمعاونة محيى الدين الخطيب، والإمام أحمد بن حنبل هو الفقيه الأكثر تشددًا بين فقهاء المذاهب الأربعة؛ لذا كان أتباعه فى مصر عددهم محدوداً، لكن الفقه الحنبلى وابن حنبل نفسه هو الإمام الأكبر والفقيه الأعظم لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه؛ لذا كانت أجزاء الفتح الربانى تطبع هنا وترسل إلى الأراضى الحجازية، ومن ثم كانت للوالد صلات بعدد من مشايخ وعلماء السعودية، وكانت الرسائل تصله منهم، حول الكتاب، وبين هذه الرسائل نجد فى إحداها تحيات مزجاة من إحدى الهيئات السعودية إلى الشيخ حسن البنا وجماعته، وتكشف أن نشرات جماعة الإخوان كانت تصل إليهم فى المملكة وكانت رسالته «نحو النور» محل تقدير وإعجاب عدد منهم.

فى العام ١٩٣٥م توجه د. محمد حسين هيكل إلى المملكة العربية السعودية، وكان يقصد أداء فريضة الحج والقيام برحلة إلى الأماكن المقدسة وبعض الأماكن الأخرى المحيطة بها لإعداد كتابه «فى منزل الوحى»، ركب هيكل الباخرة من السويس إلى جدة، وكان معه على الباخرة عدد من الشخصيات العامة وإحدى الأميرات من الأسرة العلوية، كانت الباخرة مملوكة لعبود باشا، الذى حرص على أن يودع بنفسه الباخرة بمن عليها، وبعد أن تركت الباخرة فوجئ د. هيكل أن حسن البنا على الباخرة نفسها، وذهب إليه البنا مقدمًا نفسه، وأخذ يحدثه عن جماعته التى

أسسها وأن هدفها «تهذيب الناس تهذيبًا إسلاميًا صحيحًا»، ولم يكتف البنا بذلك، بل قدم عرضًا محددًا إلى محدثه وهو أنه يطمع فى أن «يعضد مؤلف حياة محمد هذه الجماعة، بل يطمع فى تولى رئاستها»[1] وبشكره د. هيكل معتذرًا عن عدم قبول رئاسة هذه الجمعية متعللاً بانشغاله بالكتابة وبالعمل السياسى. فيما بعد وحين يصبح د. هيكل وزيرًا للمعارف ويصدر قرارًا بنقل المدرس الابتدائى حسن البنا من القاهرة إلى قنا، سوف يقول الإخوان إنه فعل ذلك انتقامًا من الإخوان لانتقادهم كتاب «حياة محمد».. وفيما بعد أيضًا سوف يحاول التنظيم الخاص التابع لحسن البنا اغتيال د. هيكل، وبالفعل يتم إلقاء قنبلة على سيارته فتصيب سقفها فقط، ولكن كان بداخلها زوجة د. هيكل بدلاً منه، فأصيبت بصدمة عصبية، قال لى أحمد هيكل نجل د. هيكل إن والدته ظلت شهورًا تعالج من آثار ذلك الحادث، وبعد حوالى ٣ أشهر من الواقعة اتصل أحد الإخوان بمنزل د. هيكل ليقول لهم إن الجماعة لا علاقة لها بالعملية.

المهم إن الباخرة وصلت إلى جدة وتوجه الحجاج إلى الأراضى المقدسة لأداء مناسك الحج، ولفت انتباه د. هيكل ما يقوم به حسن البنا هناك، إذ وجده «يقف فى كل جمع خطيبًا واعظًا، يتلو آيات القرآن فى مناسباتها». ويبدو أن ما لفت انتباه د. هيكل ليس فقط أن الشيخ حسن ليس من كبار العلماء، ولا يعد من العلماء أصلاً، بل إن رجال الوهابية ما كانوا يسمحون لأى من العلماء أن يقف هكذا خطيبًا بين الحجاج، وأمام أى جمع متحدثًا فيهم، تلك كانت مسألة حساسة للغاية، وتخضع لتدقيق وانضباط شديدين من جماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومن يقف فى الحجاج ينبغى أن يكون موضع ثقتهم حتى لا يطرح أفكاراً مغايرة لأفكارهم، أو يعلن آراء مخالفة لآرائهم.. ويبدو أن د. هيكل لم يترك الأمر يمر عابرًا، بل استفسر

(١) راجع تفاصيل هذا العرض فى مذكرات د. محمد حسين هيكل، الجزء الثانى، هيئة الثقافة الجماهيرية، ٢٠١٠م.

وتساءل ، وجاءت الإجابة؛ لذا نراه يكتب فى مذكراته بالحرف الواحد عن حسن البنا «قيل لى وأنا بالحجاز إن له صلة بالحكومة السعودية وإنه يلقى منها عطفًا ومعونة». باختصار كانت هناك صلة وعلاقة مع الحكومة السعودية، ومن ثم فآراؤه وكتاباته عن السعودية وعن موقف الحكومة المصرية منها، لم يكن رأيًا بريئًا ولا خالصًا، كان بناء على علاقات خاصة له ، وأنه يجد من المملكة عطفًا ومعونة، والذى قال ذلك كاتب، يزن الكلام بدقة، ويميز بين العطف والمعونة، أما العطف فقد يعبر عن المساندة المعنوية، أما المعونة فهى الأمور المادية، أى الأموال.

د. هيكل كان سياسيًا ولذا لم يشأ أن يذكر تفصيلات ولا أن يحرج أحدًا، فلم يعلن من قال له ذلك، وبالتأكيد قيل له ذلك بشكل خاص وشخصى، ولكن لا بد من معرفة الذين التقاهم د. هيكل فى تلك الرحلة. هو كان ضيفًا على صديقه وزير المالية بالمملكة وحل ضيفًا فى بيته، هو كذلك التقى عددًا من أمراء الأسرة السعودية وعددًا من المسؤولين عن السياسة الخارجية للملك عبد العزيز، قابل كذلك بعض أفراد حاشية الملك، وأخيرًا فقد التقى الملك عبد العزيز ثلاث مرات فى تلك الرحلة، المرة الأخيرة كانت لقاء خاصًا وجلسة مطولة بينهما وحدهما، فتح له الملك عبد العزيز قلبه تجاه مصر وتجاه الملك فؤاد وتحدثا أيضًا فى أمور أخرى. تلك مصادره فى المعرفة والمعلومات، وبين هؤلاء سمع ما قيل له عن صلات وعلاقات حسن البنا والمعونة التى يلقاها من المملكة.

لا الدكتور هيكل ذكر تفصيلات أخرى ولا المملكة تعلن عن مثل هذه الأمور، فهناك الخلق الإسلامى.. إنك إذا أعطيت حسنة بيدك اليمنى فلا يجب ليدك اليسرى أن تعلم بها، ورغم أن هذه الفضيلة خاصة بالأفراد فقط وما يقدمونه من مالهم الخاص حسنة وصدقة لغير القادرين أو للفقراء، لكنها تنتقل أحيانًا إلى المال العام وإلى الدول، تجاه الجماعات والشخصيات التى من هذا النوع.

ولدينا شهادة أخرى تكمل شهادة د. هيكل وتؤكدها، وتضيف إليها بعض التفصيلات، صاحب هذه الشهادة هو السفير هيرمسان آيلتس، أول سفير للولايات المتحدة فى مصر بعد عودة العلاقات بين البلدين فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣م، هو كذلك عمل فترة سفيرًا لبلاده فى المملكة العربية السعودية، وخدم فترة من عمله فى السفارة الأمريكية بطهران زمن الشاه، يفاجئنا آيلتس بأنه عرف شخصيًا حسن البنا، فى شبابه كان آيلتس يعمل بالسفارة الأمريكية فى المملكة العربية السعودية، وهناك رأى البنا والتقاه، ويقول آيلتس عن نفسه إنه «عرف البنا حق المعرفة». وقال آيلتس أيضًا «اعتاد البنا فى الواقع أن يأتى إلى السعودية للحصول على المال» ثم قال «التقيته فى منزل نائب وزير المالية السعودي آنذاك وكان رجلاً ورعًا تقيًا ويتعامل مع البنا. كان اسمه الشيخ محمد سرور صبحان وكان عبدًا وأعتق. كان مسرور هو المسؤول عن الأمور المالية مع الإخوان المسلمين». ويقول آيلتس أيضًا «كان البنا زائرًا منتظمًا لرؤية السعودية التى كانت مصدر المال له»[1].

قال آيلتس ما عف د. هيكل عن أن يقوله، والكلام واضح، كان نائب وزير المالية السعودى هو من يتولى الدفع وكان الدفع يتم بانتظام، ولم يتوقف، ذلك أن آيلتس ذكر فى شهادته أن آخر مرة التقى فيها حسن البنا كانت فى أواخر العام ١٩٤٨م أى قبل اغتياله بشهور.

قد يرى البعض أن السعودية فى الثلاثينيات والأربعينيات لم تكن قد أصبحت دولة نفطية ومن ثم لم يكن لديها المال الطائل، وهذا صحيح، لكن لنتذكر أن مبلغ خمسمائة جنيه حصل عليها حسن البنا فى بدايته من شركة قناة السويس جعلت الجماعة تتوازن ماليًا وتبنى مسجدًا ومدرسة. لكن لعل شهادة آيلتس ومن قبلها شهادة د. هيكل تفسر لنا لماذا كانت صورة الملك عبد العزيز دائمًا ما تغطى غلاف

(١) ترد شهادة آيلتس ضمن كتاب روبرت دريفوس «لعبة الشيطان» ترجمة. أشرف توفيق، سنة ٢٠١٠م.

مجلة الإخوان، وكذلك أخباره وأخبار الأمراء وكبار المسؤولين بالمملكة كانت صورهم تنشر أكثر من صور المسؤولين المصريين.

ولعل الافتتان بالمملكة من جانب البنا والدفع من جانب نائب وزير المالية السعودى يفسر لنا اقتراب شعار الإخوان من شعار المملكة، حين تأسست الجماعة كان شعارها المصحف فقط، وصدرت اللائحة الأولى للجماعة وبها نص حول أن المصحف هو الشعار وكذلك فى اللائحة الثانية، ثم اختفى ذلك النص فيها بعد من اللائحة، وتغير الشعار ليصبح سيفين وبينهما المصحف.. وهو أقرب ما يكون إلى شعار المملكة .. حدث ذلك التعديل فى الشعار دون نص فى اللائحة وفى صمت تام، ودون أن يثير الكثير من التساؤلات.

الطريف فى كل هذا أن البنا كان يتحدث دائمًا إلى الإخوان عن أن الجماعة لم يدخلها مليم واحد من غير اشتراكات الأعضاء، ومن جيوب الأعضاء. كان يقول ذلك ويكرره باستمرار، وكانت زيارته أيضًا للمملكة العربية السعودية تتم بانتظام وباستمرار من بداية الجماعة وإلى شهور قبل وفاته، وأظن أن وزير الداخلية السعودى الأمير نايف بن عبد العزيز حين اتهم الجماعة بنكران الجميل فذلك لأنه يعلم ويعرف، عن «الجميل» الذى قدم من أيام والده الملك عبد العزيز، أما الجمائل الأخيرة التى قدمتها المملكة للإخوان بعد ذلك، فهى كثيرة.. كثيرة، لكن لا يحتمل هذا الكتاب تناول فترة ما بعد حسن البنا.

الفصل الثامن

إلى السفارة الأمريكية

علاقة وتعاملات حسن البنا مع بريطانيا مؤكدة، بدأت فى نفس لحظة تأسيس الجماعة، وطبقًا لما رواه حسن البنا فى مذكراته بدأت العلاقة من جانبه هو وبسعى منه، إلى شركة قناة السويس للحصول على معونة أو تبرع لبناء المسجد، هو الذى ذهب مختارًا ومبادرًا إليهم، طالبًا المبلغ، وأخذ يساومهم ويفاوضهم، دفعوا مبلغ خمسمائة جنيه، وهو كان يريد وينتظر المزيد.. المبلغ كان ضخمًا بمعيار وعملة ذلك الزمان، لنتذكر أن ثمن متر أراضى المبانى فى حى مصر الجديدة وقتها - على أطراف القاهرة - كان بمبلغ مليمين.. وحين استهول بعض أنصار الشيخ أن يأخذ أموالاً من الإنجليز الذين يحتلون البلاد كان رده حاضرًا: إنها أموالنا نحن، هم ينهبون أموالنا وخيراتنا؛ لذا لا ضير أن نسترد بعض هذه الأموال، أى بعض من حقوقنا لديهم، كان هذا التبرير منه، يعنى أن لا مانع لديه من قبول أموال أخرى من الإنجليز والسعى إلى الحصول عليها.. فى الجهة الأخرى لم يكن الأمر بهذه السهولة، الإنجليز لم يكونوا كرماء إلى هذه الدرجة كى يقدموا تبرعًا إلى شاب مغمور، ولا هم من أهل الخير حتى يساهموا فى مساعدة جماعة ناشئة، لكن كل شيء لديهم بحساب وبقدر، فى الوثائق البريطانية أحاديث كثيرة عن أن هذه الأموال، كانت أموال مخابراتية، فى المقام الأول، دفعت لهدف سياسى عظيم لديهم، فقد رأوا فى البنا خصمًا لدودًا للوفد، يمكن الاستفادة منه فى إضعاف الحركة الوطنية المصرية وهز صورة الحزب المناوئ لهم والمطالب باستقلال مصر؛ ولذا دعموا حسن البنا وجماعته، ولم تتوقف المبالغ المالية المدفوعة، وهى كما قلت أموال مخابراتية بالأساس.

وبسبب ذلك يذهب بعض الباحثين إلى أن المخابرات البريطانية هى التى كونت الجماعة وأسستها لهذا الهدف، حتى إن أحدهم أطلق على الجماعة اسم «إخوان الإنجليز»[1] وإن الجماعة صناعة بريطانية تمامًا.. وأظن أن الذين يرددون هذا الكلام مأخوذون بما قامت به المخابرات البريطانية فى المنطقة، سواء فى بلاد الشام والعراق أو الجزيرة العربية وحتى إيران.. لكن يصعب القول إن حسن البنا وجماعته صناعة إنجليزية تمامًا، لكن المتصور أن الجماعة نشأت ووجدت بريطانيا أنه يمكن توظيفها لتحقيق أهدافها من إضعاف الوفد والفكرة الوطنية والقومية فى مصر - ويجب القول إنه كان هناك خصوم للفكرة الوطنية منذ بداية ظهورها، أنصار الدولة العثمانية.. دولة الخلافة كانوا معادين للفكرة الوطنية، والمتباكين على دولة الخلافة حين سقطت كانوا كذلك معادين للفكرة الوطنية والقومية، وإلى اليوم ما زال هذا التيار موجوداً أو قائمًا، حسن البنا كان واحدًا من المتباكين على دولة الخلافة، وكان من الساعين إلى استعادتها، وهذا يعنى بالضرورة العداء للفكرة الوطنية والقومية التى حمل لواءها حزب الوفد - وكان الوفد وغيره من الأحزاب تدعو إلى دولة مدنية حديثة، لكن كان هناك من يريد الدولة الدينية، وكان حسن البنا واحدًا من هؤلاء؛ لذا فإن ظهور حسن البنا كان نتيجة ظروف وأحوال موضوعية فى المجتمع المصرى، وقد وجد الإنجليز فيه طعمًا يجب تقويته وتغذيته ليأخذ الجهد الوطنى والمصرى فى طريق آخر، وهذا ما فعله حسن البنا بامتياز واقتدار.

علاقات حسن البنا الإنجليزية ليست موضع شك، هى مؤكدة، هو اعترف بها واعترف بتلقى الأموال، لكنه اعتبرها تبرعات وجزء من حقنا الذى يغتصبونه، وهم قالوا إنها أموال مخابراتية دفعت لأغراض سياسية، وأدوار أرادوه القيام بها، وقد قام بها فعليًا.. وعمومًا فى عالم المخابرات تدفع الأموال - غالبًا - تحت مسميات عديدة، ويندر أن تسمى الأشياء بمسمياتها، ولنتذكر أن إسرائيل حين كانت تجند عملاء لها

(١) راجع فى ذلك كتاب: روبرت دريفوس «لعبة الشيطان»، ترجمة أشرف توفيق، سنة ٢٠١٠م.

فى مصرنا، كانت تدفع لهم الأموال تحت مسمى السعى إلى السلام ومساندة منظمات دولية تدعو إلى السلام فى المنطقة ، وفى حالة حسن البنا والإنجليز، يبدو الأمر مختلفًا فى بعض الشيء، فقد كان كل منهما يتصور نفسه أذكى من الآخر ويوظفه لصالحه، كل منهما تصور أنه (جند) الآخر لحسابه.

الدراسات والوثائق كثيرة وعديدة حول الدعم البريطانى للإخوان طوال سنوات حسن البنا وحتى حسن الهضيبى - المرشد الثانى - وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. لكن الجديد هو علاقة حسن البنا بالولايات المتحدة الأمريكية، والتى بدأت مبكرًا.. وهنا تفيدنا شهادة هيرمان آيلتس الذى عرف حسن البنا والتقاه مرارًا فى المملكة العربية السعودية، وقال إنه «وجده ودودًا» وإنه «لا يتردد فى الالتقاء بالشخصيات الغربية»، وذكر آيلتس كذلك أنه تجنب أن يتحدث مع البنا فى موضوع الإخوان، والواقع أنه لم يكن يريد أن يتدخل فى غير اختصاصه، فضلاً عن أنه لم يشأ أن يتدخل فى عمل زملاء له بالقاهرة، إلى أن قال «أعرف أن أحد زملائى فى السفارة الأمريكية بالقاهرة كان يلتقى مع البنا بانتظام». ورغم أن الجماعة جنحت إلى العنف فى الأربعينيات وكان ذلك مصدر قلق لدى السفارة البريطانية ولدى الملك فاروق، كل لأسبابه الخاصة، لكن الدبلوماسيين الأمريكيين فى المنطقة، وفى القاهرة تحديدًا حافظوا على اتصالاتهم بحسن البنا وجماعته، فقد جذبهم إلى الجماعة ما تبديه من العداء للشيوعية.

وثائق السفارة الأمريكية بالقاهرة تكشف الكثير والكثير، ففى ٢٩ أغسطس ١٩٤٧م يلتقى حسن البنا والسكرتير الأول بالسفارة الأمريكية، ودار الحديث بينهما فى الوضع العام بمصر والمظاهرات التى جرت .. كان حسن البنا قاد مظاهرات تأييد للنقراشى باشا رئيس الوزراء الذى سافر إلى مجلس الأمن لعرض مطالب مصر .. وكان هناك قلق من أن تمتد المظاهرات وتنشط لتنقلب إلى فوضى، ويحاول البنا تهدئة مخاوف المسؤول الأمريكى بالقول «لن يكون هناك مزيد من الاضطرابات وبوسعى

بدؤها وإنهاؤها». فيرد عليه المسؤول الأمريكى مستفزًا له أو مشككًا فيما يقول «من المشكوك فيه أن تتمكن من إنهاء الفتنة بعد اشتعالها». لكن المرشد يرد مستعرضًا نفوذه وقوته بالقول «ازداد الإخوان قوة ونفوذًا فى الشهور الأخيرة بعد أن انضم إليهم المنشقون عن الوفد. وأصبح عدد الإخوان ٦٠٠ ألف، وتوجد مجموعة عمل يتراوح أعضاؤها بين ٢٥ و٣٠ ألفاً من الجوالة وهم منظمون تنظيمًا عسكريًا ويتلقون تدريبًا عسكريًا إجباريًا مستخدمين أية أسلحة أو معدات يمكن الحصول عليها».

ولا يترك السكرتير الأول بالسفارة الأمريكية عبارة حسن البنا تفلت هكذا فيرد عليه مذكرًا إياه بأنهم يعرفون حجم ما لديهم ونوعية الأسلحة بالقول «فى مناسبات عديدة اتصل أعضاء من الجماعة بمكتب الملحق العسكرى الأمريكى طلبًا لكتيبات تتعلق بالأسلحة الصغيرة والتدريب العسكرى»[(١)].

القائم بالأعمال فى السفارة الأمريكية «جيفرسون باترسون» أكد ما قاله البنا «الإخوان ازدادوا قوة ونفوذًا فى الشهور الأخيرة» وقال أيضًا عن البنا «نظرًا إلى سجله الماضى الحافل بالانتهازية يمكن أن نستنتج أنه سيواصل تأييده لهذه السياسة - يقصد سياسة النقراشى - ما دام ذلك يناسبه شخصيًا».

وكان لدى السفارة البريطانية تفسير لازدياد قوة الإخوان فى تلك الفترة وهو أنها تعارض الوفد بضراوة؛ الأمر الذى «يضمن للجماعة قدرًا من التأييد وتسامح الحكومة والقصر معهم».

ولا بد من القول إنه مع انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تستعد لإزاحة بريطانيا من مستعمراتها القديمة لتحل محلها وتأخذ دورها، كانت الولايات المتحدة هى التى تدخلت فى الحرب وحسمت النصر لصالح الحلفاء، وانتهت الحرب بتدمير ألمانيا واليابان وإضعاف بريطانيا وفرنسا، وصعدت مع

(١) راجع محسن محمد: من قتل حسن البنا؟، دار الشروق.

الحرب قوتان جديدتان هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، كانا حليفين فى أثناء الحرب، لكن بعد الحرب كان واضحًا أن التنافس والصراع سوف يكون بينهما هما، وهذا ما كان طوال الحرب الباردة، كان الاتحاد السوفيتي يملك الفكرة الاشتراكية أو الماركسية التى بدأت تبهر قطاعات واسعة من شباب ذلك الجيل، خاصة بعض أبناء الأرستقراطية المصرية، وكان لدى الملك فاروق «فوبيا الشيوعية»، كان يتخوف منهم على عرشه، رغم أنه لم يكن لهم قوة يمكن أن تهدده.. وكانت الولايات المتحدة تسعى إلى إزاحة بريطانيا وإلى مواجهة الإعجاب بالسوفيت ومنعهم من الوصول إلى المنطقة، فى المقابل لم يكن هناك عداء تجاه أمريكا فى مصر ولا رفض لها، كانت قوة جديدة .. صاعدة، وهى – آنذاك - بنظر الكثيرين قوة ليست استعمارية، على الأقل ليست مثل بريطانيا، وكان الملك فاروق يوطد علاقته بالسفير الأمريكى والسفارة فى القاهرة، وكان يجد فيهم ملاذًا من الغطرسة البريطانية، وكانت الولايات المتحدة تحاول تأسيس تواجد قوى لها، وفتحت قنوات اتصال مع كثيرين وعلى رأسهم الإخوان.

يلفت النظر فى لقاء البنا مع السكرتير الأول للسفارة الأمريكية أنه يصارح السكرتير الأول بالحجم الحقيقى لقوته العسكرية وتسليحه، ونفاجأ بأن رجال من الإخوان يلجؤون إلى الملحق الأمريكى بالقاهرة، والواضح أن البنا كان يعرف ذلك جيدًا، فلم يفاجأ بما سمعه ولم يكذبه.. وتكتمل الصورة بلقاءات أخرى للبنا مع «فيليب إيرلاند» حيث سيذهب إليه بمشروع كامل للتعاون أو للتحالف المالى والعسكرى ضد الشيوعية والشيوعيين.

ذهب المرشد إلى منزل السكرتير الأول بالسفارة، ولم يكن منفردًا هذه المرة، كان معه محمود عساف مدير إعلانات جريدة الإخوان والقائم بعمل السكرتير الخاص للمرشد لشؤون المعلومات- سوف يستقيل من الجماعة زمن حسن الهضيبى - وكان

معه أيضًا محمد الحلوجى من الجماعة.. وطالما أنهم ذهبوا إلى بيت المسؤول الأمريكى، وكان المرشد هو من طلب اللقاء، لذا بدأ هو الحديث، ودخل فى الموضوع بشكل مباشر قائلاً «الشيوعية فى الشرق الأوسط خطر داهم على جميع الشعوب، والإخوان المسلمون يحاربون الشيوعية بكل الوسائل الممكنة. ومن الطبيعى أن يترك أعضاء الجماعة. عملهم الأصلى لدخول الخلايا الشيوعية للحصول على المعلومات وعندما يفعلون ذلك فإنهم يتركون وظائفهم، وبذلك يفقدون مرتباتهم. وإذا أمكن تعيينهم على أساس أنهم محققون وباحثون فإن هذه المشكلة يسهل حلها»(١).

محمود عساف كتب عن هذا اللقاء فى مذكراته، التى صدرت سنة ١٩٩٣م، ويذكر أن اللقاء تم بناء على طلب رجل السفارة الأمريكية، وأن اللقاء كان مقررًا أن يتم فى مقر المركز العام للجماعة، لكن المرشد هو الذى طلب أن يتم فى منزل رجل السفارة، فقد تخوف المرشد أن يرصد رجال القلم السياسى دخول المسؤول الأمريكى إلى مقر الجماعة، وكأنهم لن يرصدوا اللقاء فى الزمالك، وأظن أن المرشد لم يكن يريد لأعضاء الجماعة أن يروا مرشدهم مع هذا المسؤول، ويذكر عساف أن الحلوجى حضر اللقاء للترجمة الفورية بين المرشد ورجل السفارة، وقد فوجئوا بأنه يعرف العربية جيدًا، والمفاجأة لنا نحن، فقد سبق للمرشد أن التقى هذا المسؤول وتحدث معه، اللهم إلا إذا كان ذلك المسؤول تعمد فى اللقاءات السابقة أن لا يكشف معرفته بالعربية، وطبقًا لما ذكره عساف فإن رجل السفارة هو الذى بدأ الحديث بأنه يعرف موقف الجماعة من الشيوعية، وأنها إلحاد يجب محاربته، وينفى عساف تمامًا أن يكون المرشد طلب أموالاً أو إعانات من رجل السفارة، بل إنه رفض عرضًا بهذا الخصوص من «إيرلاند».. تساءل إيرلاند «لماذا لا يتم التعاون بيننا وبينكم فى محاربة هذا العدو المشترك وهو الشيوعية؟! أنتم برجالكم ومعلوماتكم ونحن بمعلوماتنا وأموالنا». فرد المرشد قائلاً «فكرة التعاون فكرة جيدة، غير أن الأموال لا محل لها،

(١) محسن محمد: من قتل حسن البنا؟

لأننا ندافع عن عقيدتنا، ولا نتقاضى أجرًا عن ذلك»[١]. غير أن حسن البنا عاد كى يبدى عدم ممانعة فى الأموال، بل يطلبها بأسلوب آخر، يقول، طبقًا لرواية عساف «لا مانع لدينا من مساعدتكم بأن نمدكم بالمعلومات المتوافرة عنها. وحبذا لو فكرتم فى إنشاء مكتب لمحاربة الشيوعية، فيحينئذ نستطيع أن نعيركم بعض رجالنا المتخصصين فى هذا الأمر، على أن يكون ذلك بعيدًا عنا بصفة رسمية، ولكم أن تعاملوا هؤلاء الرجال بما ترونه ملائمًا دون تدخل من جانبنا غير التصريح لهم بالعمل معكم»[٢].

محمود عساف لا ينكر فى تقرير المسؤول الأمريكى شيئًا سوى أنه هو الذى طلب المقابلة وليس المرشد، والواقع أن هذه ليست القضية، بل القضية هى ما دار فى المقابلة.

وتثير هذه المقابلة وما دار فيها وحرص المرشد على طابع السرية بدءًا من رجال القلم السياسى، أى جهاز الأمن المصرى، وكذلك عن عموم أعضاء الجماعة، وهنا لا بد من التوقف لإثارة العديد من التساؤلات والملاحظات، حول المرشد العام والجماعة، فإذا كان رجل السفارة سعى إلى مقابلة المرشد، فهذا جزء من عمله وواجبه الوظيفى تجاه حكومته التى يمثلها، ومن ثم لا ضير عليه، ولذا وجدناه يرسل تقريرًا إضافيًا إلى الخارجية الأمريكية (جهة عمله الرسمى) ينقل ما دار فى المقابلة، بينما حرص المرشد على أن يخفى ذلك عن الجميع، لم يذكر هو شيئًا عنها فى مذكراته ولا ذكر شيئًا للمقربين وإلا لكتب عنها أحدهم، ولم يكتب عنها فى حينه فى صحف الإخوان، بل إن محمود عساف الذى حضر المقابلة - لم يكتب عنها سوى بعد إعلان الوثائق الأمريكية وإتاحتها للاطلاع العام طبقًا لقانون تداول وحرية المعلومات - والواضح أن عساف كان يدفع عن نفسه تهمة، لذا ذكر أنه لم يحدث أى اتصال بينه وبين المسؤول بالسفارة بعد ذلك، ولا أى مسؤول آخر غيره.

(١) محمود عساف:ص ١٤.

(٢) نفس المرجع: نفس الصفحة.

ويمكن أن نضع هنا عدة ملاحظات أو تساؤلات:

أولاً: يثير ما دار فى هذه المقابلة أمر بالغ الخطورة يتعلق ببيع المعلومات وتوظيفها، كانت الجماعة تزرع بعضاً من أعضائها داخل الخلايا والتنظيمات الشيوعية، وهذا تم بعلم المرشد، وكانت هذه المعلومات تستخدم فى أغراض عديدة، من بينها أنه كان يتم تقديمها لجهات الأمن فى مصر، يقول عساف إنه زرع فى عام ١٩٤٦م أحد المتعاطفين مع الإخوان بين اليساريين وكان يدفع له راتبًا شهريًا قدره خمسة جنيهات، ولكن لنتأمل كيف كان يتعامل مع المعلومات التى يقدمها ذلك العميل. «ما كان يصلح منها للنشر فى مجلة الكشكول الجديد (التى كنت صاحبها) نشرناه ومثال ذلك المساخر التى كانت تحدث فى فيللاتهم بشارع القصر العينى ويجتمع فيها الأولاد والبنات يسكرون ويعربدون»[1]. أى النشر بهدف الفضح والتشهير، فضلاً عن تخويف الآخرين من هذه التجمعات، لكن هذه معلومات عامة، ووقائع قد تحدث من آخرين وبينهم، فالسكر والعربدة إن صحت لم تكن من صميم الفكر الاشتراكى، لكنها سلوك أخلاقى وأمور شخصية، يمكن أن تقع حتى من بعض الإخوان، وقد صدرت اتهامات أخطر من هذه بحق بعض الإخوان، مثل ما نسب إلى عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة وزوج شقيقته حسن البنا وأحيل إلى التحقيق فى فضائح أخلاقية مع بعض زوجات وبنات أعضاء من الجماعة وأدانه التحقيق، وتدخل حسن البنا فى اللحظة الأخيرة ليمنع توقيع أى عقوبة على عابدين، بل ويلتمس له الأعذار والمبررات، واعتبر أن ما صدر من عابدين ووقع منه هو من قبيل «اللمم»، وحدث أن ارتكب أحد الإخوان فى معسكرات الجوالة فعلاً شائنًا، وتوقع الإخوان أن يفصله المرشد من الجماعة أو يوقع به عقابًا قاسيًا، لكن المرشد اكتفى بأن فرض عليه صيام عدة أيام.

---

(١) راجع محمود عساف: ص ٢٢.

بقية المعلومات والأخبار التى كان يجيء بها هذا العميل كان عساف يتعامل معها على نحو آخر يقول «كنا نعرض ما يهم الدعوة منها على الإمام الشهيد، والباقى كنا نخطر به مدير الأمن العام فوكيل الداخلية المرحوم أحمد مرتضى المراغى، الذى حاول أن يعرف منى مصدرى فى هذه الأخبار ولكن هيهات»[1]. أى أن الجماعة من البداية قررت أن تقوم بدور الأمن السياسى، تلقائيًا، زرعوا العناصر داخل الجماعات الأخرى، ووظفوا العملاء ثم يمدون كبار المسؤولين بالداخلية بما يريدونه، ثم ها هم قرروا أن يصبح نشاطهم دوليًا، ويقدموا المعلومات إلى السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن يدخلوا طرفًا فى لعبة الحرب الباردة، مبكرًا جدًا، وبالتأكيد لن نساوى تمامًا بين التعاون طواعية مع وزارة الداخلية المصرية والسفارة الأمريكية، لكن المعيار الأول عندهم ثابت وهو اختراق الآخرين والتجسس عليهم والمتاجرة بالمعلومات التى يتوصلون إليها، وإذا كان عساف يعترف بأنه كان يمد مدير الأمن العام ببعض المعلومات، ثم شرعوا فى التعامل مع الولايات المتحدة، ترى أى الجهات الأخرى تعاملوا معها معلوماتيًا أو مخابراتيًا؟!!

ثانيًا: ما قام به محمود عساف واعترف المرشد الأول به من زراعة أعضاء داخل اليساريين والشيوعيين - هل يفسر ذلك ما كان يحدث من تحول بعض اليساريين عن الأفكار الاشتراكية والماركسية ويتجهوا إلى التيارات الإسلامية وإلى الإخوان تحديدًا؟ هل كان هؤلاء من أعضاء الإخوان أو المتعاطفين معهم، تم زراعتهم فى اليسار ثم حين يتم سحبهم بعد انتهاء مهامهم، يتم تغطية هذا الانسحاب بدعوى العودة ثانية إلى الإسلام، ومهاجمة اليسار وأفكاره؟

ثالثًا : يرتبط بذلك كله ما ورد فى بعض تقارير السفارة البريطانية من أن التنظيم الخاص وأن البنا شكل جهاز مخابرات خاص، وأن هذا الجهاز يتجسس على

(١) د. محمود عساف: مع الإمام الشهيد حسن البنا، ص ٢٢.

المناوئين للجماعة، وعلى كبار الشخصيات وعلى بعض السفارات الأجنبية، بل وعلى الحكومة المصرية نفسها، ولم يأخذ المراقبون الأمر بجدية، واعتبروه مبالغة من كتبة التقارير بالسفارة البريطانية، لكن ها هو المرشد يعترف أمام مسؤول السفارة الأمريكية، وسكرتيره الخاص للمعلومات يؤكد، والواقع أن من يتابع عمليات الاغتيالات والأعمال الإرهابية التى قام بها التنظيم الخاص يدرك أن هناك جهدًا مخابراتيًا مهمًا، فى الاجتماع الذى عرض فيه السندى اغتيال أحمد ماهر، كان من الواضح أن هناك من تابع موكب أحمد ماهر، ويعرف تحركه.. مكانًا وزمانًا، ويعرف النقطة التى تتحرك فيها السيارة ببطء، وهى منطقة آنذاك قريبة من الصحراء، أى يمكن الهرب منها بسهولة، وهكذا فى بقية العمليات، أى أن هناك جهاز مخابرات بالفعل داخل الجماعة، أسسه حسن البنا بنفسه، وقد قدم محمود عساف فى مذكراته تحت عنوان «الجواسيس» كيف كان البنا بوسائله يعرف أعضاء الجماعة الذين جندهم القلم السياسى لنقل معلومات عن الجماعة، وكان المرشد يحولهم إلى عملاء له داخل جهاز الأمن، فقد كان عساف يكتب الأخبار التى يريدون أن تصل إلى الأمن، ويذهب الجواسيس بها ليسلموها، وكان عساف يدفع لهم راتبًا شهريًا مقابل ذلك، ولضمان الولاء التام، كان يراعى أن يكون هناك خبر أو أكثر مشترك بين أكثر من عميل كى يتأكد الأمن أن الخبر صحيح.

رابعًا : إن المرشد اصطحب معه المترجم ومدير إعلانات الصحيفة الخاصة بالجماعة، ومن الناحية المهنية فى عالم الصحافة حين يذهب رئيس مجلس إدارة جريدة أو مالكها الفعلى إلى أحد المصادر ومعه مدير الإعلانات فهذا يعنى أن هناك اتفاق أو رغبة فى عقد صفقة إعلانية، بأى صيغة من الصيغ، قد تكون إعلان مباشر أو فى حالة السفارات ومسؤوليها يكون الإعلان غير مباشر، أو ما يسمى إعلانًا تحريريًا، أو مواد صحافية تنشر وتقدم للقارئ على أنها مادة تحريرية ومهنية خاصة، بينما هى بالفعل إعلان مدفوع الثمن، وقد يكون المقابل هو التوقف عن مهاجمة أو انتقاد بلد السفارة

فى الصحيفة أو أى وسيلة أخرى، المهم أن هناك اتفاق على أو سعى إلى الاتفاق على أموال سوف تدفعها السفارة.

خامسًا: المرشد لا يمانع بالمرة أن يعمل أعضاء من الجماعة «عملاء» ويقدمون «معلومات» للسفارة الأمريكية مقابل أجر وأن يتم توظيفهم بمسمى «باحثين»، شريطة أن لا يكون ذلك باتفاق رسمى مع الجماعة - أى أن يتعامل كل من هؤلاء مع السفارة بشخصه، صحيح أن المرشد حاضر فى العملية، ويقف فى الخلفية، لكن دون أن يترك بصمة تدل عليه وتشير إليه، وهنا يثور التساؤل ماذا لو ضبط أى من هؤلاء واتهم بالتجسس أو العمالة والتخابر مع سفارة أجنبية، ساعتها سوف تكون الجماعة خارج الاتهام، ويتحمل التهمة بالكامل الفرد ذاته، وبالتأكيد سوف تتبرأ منه الجماعة نهائيًا، كما حدث مع قتلة النقراشى، الذين قال فيهم المرشد ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين. هو اتجاه فى الجماعة منذ حسن البنا إلى اليوم، الدفع بالشباب الصغار إلى الانتحار العملى، ويظل قادة الجماعة ومرشدها العام فى صورة البريء.. المترفع دائمًا.

سادسًا: إن المرشد فى حديثه مع مسؤول السفارة الأمريكية استعمل المصطلحات السياسية الأمريكية، ولم يستعمل مصطلحاته هو ولا المصطلحات السائدة فى مصر، فقد استعمل مصطلح «الشرق الأوسط» وهو مصطلح أرادت به أمريكا أن يكون بديلاً عن كلمة الشرق العربي أو كلمة العالم العربي أو الشرق الإسلامى وهكذا، كان مصطلح الشرق الأوسط يعنى أن تدخل الدولة الصهيونية التى كان يجرى العمل على تأسيسها فى خريطة المنطقة بلا تعقيدات وبلا مصاعب، أما المصطلحات السائدة عندنا فكانوا يريدون استبعادها، والواضح أن المرشد لم ينتبه جيدًا أو استعملها عابرًا وربما مجاراة للمسؤول الأمريكى وليبدو «ودودًا» معهم كما كان يقال عنه.

سابعًا: استعمل المرشد الفكرة التى كان يروج لها الأمريكيون ، وكانت فى طريقها للبزوغ فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة وهى أن الشيوعية

خطر داهم على جميع شعوب الشرق الأوسط، وأنها تسبق ما عداها من أخطار ومشكلات، والحقيقة أن الشيوعية لم تكن وقتها خطرًا داهمًا على مصر ولا على البلاد العربية، رآها الدبلوماسيون الأمريكيون خطرًا على نفوذهم الذى كان يسعى إلى التمدد فى المنطقة وفى العالم، لكنها لم تكن خطرًا علينا، كان الخطر الأهم بالنسبة إلى مصر هو الاحتلال البريطانى الذى ظل جاسمًا على مصر والمصريين، وكان الخطر هو الفقر والجهل والمرض، وكان الخطر كذلك إعادة رسم خرائط بلاد المنطقة وفق النظام العالمى الذى تقوده الولايات المتحدة، وقد ثبت فيها بعد أن الشيوعية لم تكن خطرًا حتى على الولايات المتحدة نفسها، فقد سقط الاتحاد السوفيتى وحده.. تلقائيًا سنة ١٩٩٠م، دون حرب ودون طلقة رصاص واحدة، سقط بفعل عوامل تآكل داخلية. لكن المرشد كان يريد أن يلعب على الأرضية الأمريكية بأفكارها ومصطلحاتها وكذلك بآلياتها وبأموالها.

ثامنًا: أن يتجه المرشد إلى زرع عناصره داخل الجماعات الأخرى، أيًا كان الخلاف الأيديولوجى معها، يؤكد أن المرشد لم يكن يؤمن بالحوار الفكرى والجدل بين التيارات، وتبادل الأفكار والآراء اتفاقًا واختلافًا، ومن ثم لا يؤمن بالتداول .. بل يؤمن بالعمل التحتى والسرى وأكاد أقول «العمل القذر» ضد الخصوم والذى لا يتردد فى الوشاية بهم لدى أجهزة الأمن، بل ولدى السفارات الأجنبية. وهذا يعنى اغتيالاً معنوياً تاماً ومن ثم يصبح الاغتيال المادى والجسمانى شيئًا عاديًا ولا غضاضة فيه لديه، طالما أنه سيزيح الخصم من أمامه.. هاجمه الشيوعيون فبعث إليهم بالجواسيس ليشهر بهم ويبلغ عنهم أجهزة الأمن والسفارة الأمريكية. ولا يتردد أن يطلب مقابلاً ماليًا لهؤلاء العملاء يدفع لهم، وأن يسموا «باحثين» للتغطية، فهذا يعنى أنه يجعل من رجاله هؤلاء، مجرد جواسيس وعملاء ومرتزقة لدى دولة أجنبية، على مواطنين مصريين من أبناء وطنهم، فقط يختلفون معهم فى الأفكار والتوجهات.

تاسعًا: التساؤل الأهم.. هل أحاط البنا أى جهة مصرية علمًا بما يعرضه على السفارة الأمريكية؟ نعرف أنه لم يكن هناك وقتها جهاز مخابرات فى مصر، لكن كان هناك الأمن السياسى وكان هناك الديوان الملكى، هل أحاطهم علمًا - هل استأذن - هل نسق معهم؟ الواضح أنه لم يفعل، وهى بمعيار اليوم قضية تخابر وجاسوسية بامتياز. وجرت العادة أن تسعى السفارات الأجنبية أو أحد رجالها إلى المواطنين تطلب منهم معلومات أو تجندهم، أما أن يحدث العكس ويتقدم المرشد للسفارة بتقديم عناصر يتولى هو تجنيدها وتدريبها، ويتولون هم التمويل فهو المفاجأة الحقيقية.

وقدم المرشد للمسؤول الأمريكى الإطار أو الغطاء الذى يمكن أن يعمل من خلاله هؤلاء المجندون أو الباحثون، وهو إنشاء مكتب مستقل مشترك بين الجماعة والحكومة الأمريكية لمحاربة الشيوعية.

عاشرًا: طلب حسن البنا استثناء واحدًا وهو «أمريكا تؤيد حاليًا الأهداف الصهيونية. ولذلك يجب أن يكون للإخوان حق الاعتراض على أمريكا فى هذه النقطة». أى مجرد اعتراض فقط، أما صور التعاون المشترك فستستمر ولن تتأثر بذلك، هو اعتراض لحفظ ماء الوجه، أو كما يقال اعتراض للاستهلاك المحلى..

وجاء دور المسؤول الأمريكى فى الحديث، وقد فهم أن المكتب المقترح ستتولى الولايات المتحدة تمويله بالكامل، ولم يبد حماسًا للموضوع، ووضع عددًا من التحفظات، ويبدو أن المرشد شعر أنه اندفع بأكثر من اللازم أو «انزلق» كما يقول التعبير المصرى؛ لذا أراد وضع النقاط على الحروف، لكنها جاءت بطريقة مكشوفة زادت أمره صعوبة، إذ قال «الجماعة لا ترغب فى الحصول على سنت واحد من المال الأمريكى وسيكون المشروع بأكمله فى يد السفارة الأمريكية، ويسعد الإخوان إمداد السفارة بالأشخاص المناسبين بالقدر الذى تراه السفارة ضروريًا».

وبعد أن استمع المسؤول الأمريكى لكل ما أورده المرشد استفسر كما يحلو له، فجاءه برأيه وهو رفض كل ما عرضه المرشد، ولم يجعل الرفض من جانبه هو، فقال «لن ترحب الحكومة الأمريكية بمثل هذا العرض: إن معوناتنا لا تقدم للمنظمات الخاصة أو المنظمات شبه العلنية. إنها تقدم فقط للحكومات كما هى الحال بالنسبة إلى اليونان وتركيا».

لم يفقد المرشد الأمل وأثبت أنه مفاوض لحوح وعنيد، إذ قال «لا أريد إجابة ولكن أرغب فقط فى عرض الفكرة، ويجرى محمود عساف معك محادثات تفصيلية»[1]. أى أنه لا يكتفى برأى المسؤول، يريده أن يبعث بالفكرة إلى واشنطن وينتظر الرد منها، والمعنى أنه يتوقع كلامًا آخر من واشنطن وحدد له اسم ضابط الاتصال الذى سيتابع معه..

فى اليوم التالى لهذا الاجتماع نشرت جريدة الإخوان مقالاً بتوقيع «عمر عزمى» حول أمريكا والعالم العربى، فيه انتقاد لنظام الحياة والمجتمع الأمريكى، جاء فيه: «الشعب الأمريكى خليط من مختلف الأجناس التى هجرت أوطانها واتخذت من أمريكا وطنًا لها. وهؤلاء المهاجرون ماديون بنشأتهم، أنانيون بطبعهم لا يهمهم من الحياة إلا التنقيب عن الذهب واتخاذ دولارات منه يضرون بها العالم».. ويبدو أن رئيس تحرير الجريدة لم يكن يعلم بالخطوات السرية التى يقوم بها المرشد، وربما كما ذهب أحد المؤرخين، أراد حسن البنا بهذا أن يضغط على المسؤول الأمريكى، ويظهر لهم إمكانية مضايقتهم والتشهير بهم[2]..المهم جرى لقاء بعد ذلك بين البنا وفيليب إيرلاند، كان إيرلاند فى زيارة صديق، وبينما هما يجلسان دخل حسن البنا ليزور نفس الصديق، ترى هل كانت تلك الزيارة مدبرة؟ هل علم بها البنا فأراد أن يلتقى المسؤول الأمريكى (مصادفة) ليسمع منه؟ هل خجل أن يعاود طلب اللقاء بعد ما

(١) حول هذا اللقاء راجع محسن محمد: من قتل حسن البنا؟، صفحة ٢١٢، ٢١٣.
(٢) د. رفعت السعيد: حسن البنا الشيخ المسلح، ص ٢١١.

سمع منه؟ هل استبطأ الرد الذى توقعه أو انتظره من واشنطن؟ هل أراد أن يتعرف على رد فعل السفارة على المقال؟! هل أراد المرشد أن يقول لرجل السفارة إنه قادر على مضايقتهم وخلق صعوبات أمامهم؟ عبر إيرلاند للبنا عن دهشته الشديدة من أنه عرض عليه «بذل جهود مشتركة بين الإخوان والسفارة» وفى اليوم التالى مباشرة يقرأ مقالاً فيه انتقاد لبلاده وللشعب الأمريكى.. البنا من جانبه حاول التهوين من المقال وقال إنه جاء نتيجة الغضب الذى يحسه الإخوان تجاه سياسة أمريكا فى فلسطين.. وقال مطمئنًا أو ملوحًا للمسؤول «أترك مثل هذه الأمور لرئيس تحرير الصحيفة وربما سيحل محله شخص آخر. وآمل ألا يؤثر هذا الحادث على اقتراحاتى».

إلى هذه الدرجة كان الرجل مستعدًا لترضية السفارة، وهو التلويح بعزل رئيس التحرير نهائيًا، والمجيء بآخر .. لكن المهم أن يؤخذ المشروع الذى اقترحه بجدية، المسؤول الأمريكى من جانبه كان محددًا وواضحًا هذه المرة إذ قال: من الصعب اتخاذ إجراءات عملية!

ورغم أن عساف والحلوجى ترددا على المسؤول الأمريكى فيما بعد، لكن يبدو أن الخيط لم ينقطع، فقد سافر فيما بعد - بعد رحيل حسن البنا - سعيد رمضان إلى الولايات المتحدة بتوصية من السفير الأمريكى كافرى والتقاه الرئيس الأمريكى فى حديقة البيت الأبيض.

ويجب القول إن حسن البنا لم يكن وحده الذى فكر فى التعامل مع الأمريكان، فى رئيس الوزراء النقراشى باشا كان فى مجلس الأمن فى تلك الفترة يعرض القضية المصرية، واستغل وجوده فى الولايات المتحدة والتقى وزير الخارجية الأمريكى جورج مارشال والرئيس هارى ترومان، حمل النقراشى رسالة محددة إلى وزير الخارجية تقول «الدين الإسلامى يتعارض مع الشيوعية، ولكن استمرار بقاء القوات البريطانية فى مصر يثير استياء شعبنا ويوفر أرضًا خصبة للتسلل الشيوعى»

وقال أيضًا «إذا لم تعامل الولايات المتحدة مصر باعتبارها دولة مستقلة فإن التأييد المصرى للدول الديمقراطية لن يكون متوقعًا»[١]. وطلب النقراشى مساعدات أمريكية لمصر اقتصادية وعسكرية، ولم تتم الاستجابة لمطالبه.

النقراشى كان يريد تخويف الولايات المتحدة من انتشار الشيوعية كى تساعد فى الضغط على بريطانيا لتخرج من مصر، لكن البنا عرض تجنيد عملاء وجمع معلومات عن الشيوعيين فى مصر وتقديمها للسفارة الأمريكية.. فضلاً عن ذلك كان النقراشى رئيس وزراء، وتفاوض علنًا مع وزير الخارجية والرئيس الأمريكى وليس مع مسؤول فى السفارة الأمريكية وبطريقة سرية، باختصار كان التعامل مع الولايات المتحدة - هنا - يسير عبر القنوات الشرعية، علاقة دولة بدولة أخرى، أما البنا فأرادها علاقة تحتية ومخابراتية.

★★★

اتجاه حسن البنا إلى السفارة الأمريكية لم يكن من فراغ ولم يكن البداية، ولنتذكر مجددًا وبإلحاح - قول هيرمان آيلتس إن هناك مسؤولاً بالسفارة كان يلتقى البنا بانتظام، لكننا فى نهاية يناير ١٩٤٧م نجد مجلة الإخوان المسلمين تنشر فى عددين متتالين ما سمته «حديث خطير لفضيلة المرشد مع مستر سبنسر المراسل الحربى الأمريكى»[٢].

قالت المجلة إن المراسل «قضى جلسة طويلة مع فضيلة المرشد العام تحدثا خلالها فى كثير من الموضوعات التى تشغل الرأى العام العربى والإسلامى وبعث بها إلى صحف بلاده». وقالت المجلة «قد تمكنا من الحصول على صورة من هذا الحديث الشائق القيم». وهذا التقديم يثير العديد من التساؤلات، منها أن المراسل العسكرى

(١) راجع فى ذلك: محسن محمد، من قتل حسن البنا؟، ص ٢١٠.
(٢) مجلة الإخوان، عدد ٢٦ يناير، وعدد ٢ فبراير.

له اختصاص معين، وهو اللقاء بالشخصيات العسكرية، وتناول قضايا الحروب والجيوش، وليس موضوعات سياسية، وقالت المجلة إن المراسل دفع بالحديث «إلى صحف بلاده» ولا يوجد مراسل هكذا يبعث بحديث إلى صحف بلاده، بل عادة يراسل صحيفة بعينها وباسمها، أما متن الحديث فلا نعرف من ترجمه إلى العربية، وهل هى ترجمة بتصرف أم ترجمة حرفية، ولا ندرى هل نشر هذا الحديث هناك ولسنا متأكدين هل كان مراسلاً بالفعل، أم شخصاً له هوية وصفة أخرى وجاء بالغطاء الصحافى فقط، ومن ثم لا يكون الحوار صحافيًا، بل أى شيء آخر، لأننا نلاحظ أن إجابة السؤال الأول استغرقت صفحتين وعمودين بالمجلة، وهذا معيب صحافيًا، خاصة فى الصحافة الأمريكية، الأمر الذى يدعونا إلى الاعتقاد أنها كانت جلسة عادية، جرى تحويلها إلى سؤال وجواب عند الصياغة والتحرير.

النص المنشور فى المجلة يختلف كثيرًا عما دار فى جلسات المسؤول الأمريكى، هناك كانت جلسة سرية أما فى الحديث فهناك الكلام العلنى، ومع ذلك ففى الحوار المنشور كلمات وأفكار يجب التوقف أمامها لأنها ترضى الذوق والثقافة الغربية والأمريكية تحديدًا، يقول المرشد «الشرق الأوسط بطبيعة كونه مهبط الأديان ومقرًا الفلسفات ديمقراطى بطبعه ودقيق الإحساس وخيالى..». ويقول أيضًا «نحب أن نقرر أنه لا يوجد بين الأمم الإسلامية من يفكر فى استخدام الأديان للتعصب ضد مدنية العالم (..) ولكن إذا صح أن روسيا ستجند من أوروبا والبلقان مجموعات تحت سلطانها وأنها ستقوم ببلشفة الدول الأخرى، وفى فرنسا وإيطاليا وأسبانيا مثلاً أحزاب شيوعية قوية. وإذا علمنا أن إنجلترا بعيدة عن القارة الأوروبية وأن أمريكا أبعد منها، إذا صح هذا فمن يقوم بحفظ التوازن الدولى إزاء هذا التجنيد الروسى؟! ولنلاحظ أن الدعاية الروسية محبوكة ومنظمة ويساعد على انتشارها الفقر والظلم المخيمان على شعوب الشرق الأوسط، لذلك كان تباطؤ إنجلترا فى السماح لهذا الشرق أن ينهض، ليس فى صالح العالم، وقد أصبحت روسيا متاخمة له من جهات كثيرة».

فى سؤال مهم حول: هل العقيدة الدينية تكفى لمقاومة الثورة البلشفية وحدها بدون عمل سياسى أو عسكرى من الخارج؟ يقول البنا «أحب أن يفهم الغربيون أنه إذا أعطيت الحريات لدول الشرق بواسطة الدول الغربية لا غيرها فسوف لا تستغنى هذه الدول عن الغرب فى تقوية كيانها، فمن الممكن بإرشاد الدول الغربية أن تتكون جيوش محلية وصناعات عسكرية تتمكن من صد تيار الثورة مؤقتًا حتى يقوم الغربيون بإرسال المدد بمقتضى تحالفات من الممكن عقدها..» وهذه بالذات هى التى دارت حولها المعارك بعد الاستقلال، أى سياسة الأحلاف، فقد رفضتها مصر فى الخمسينيات.

ويسأله المراسل عن وضع الأقليات غير المسلمة، وهل يلزمون بدفع الجزية؟ فيرد قائلاً: «إن نظرة الإسلام الأساسية العملية فى هذا الموضوع هى نظرة التسامح الكامل والوحدة الكاملة، والرسول عليه الصلاة والسلام أقر المصالحة الوطنية كرباط متين، فقد تحالف مع اليهود فى سبيل الدفاع عن المدينة المنورة». وهذا القول مناقض تمامًا لحديثه عن الجزية ودفاعه عنها فى إحدى رسائله التى صدرت فى نفس السنة ١٩٤٧م.

سوف نلاحظ فى الإجابات كلها أنه ينبه الأمريكيين إلى مخاطر الشيوعية وطرق توقيعها ومقاومتها، ويتحدث عن نظرة ورؤية شعوب المنطقة للبلشفية والشيوعية، ولم يذكر شيئًا عن موقف أمريكا مما كان يجرى فى فلسطين وقتها، لا كلمة تصريحًا أو تلميحًا، وكأن الخطر الأوحد على المنطقة هو الاقتراب السوفيتى منها.

ترى هل بسبب هذا الحديث وما أعلن فيه، كان يصر على أن يحمل سكرتير أول السفارة الأمريكية اقتراحه بتشكيل مكتب لمكافحة الشيوعية إلى واشنطن ولا يتعجل ذلك المسؤول بإبداء الرأى والحكم.. هل كان على يقين أن هناك فى الداخل الأمريكى، من يمكن أن يستمع إليه، أم أنه كانت هناك قنوات أخرى له مع الولايات المتحدة لا يعلم عنها مسؤول السفارة شيئًا؟! ربما..

الفصل التاسع

حسن البنا والملك فاروق

من يقرأ «مذكرات الدعوة والداعية» فى طبعتها الأولى الصادرة عقب اغتيال حسن البنا، يجد اختلافًا بين تلك الطبعة التى صدرت عن «دار الكتاب العربي بمصر» وبقية الطبعات التى ظهرت بعد ذلك، وهى الطبعات المتداولة بين أيدينا وقرأتها الأجيال الأخيرة.. ولن نتوقف عند كلمة حذفت هنا أو هناك، أو تعديلات فى جملة أو أكثر، فهذه يمكن أن تدخل فى باب «المراجعة» أو تعديل الصياغة، رغم أن أحد هذه التعديلات يقلب المعنى تمامًا. لكن هناك جزءاً بأكمله محذوف، وهو الجزء الذى يقع فى الطبعة الأولى بين صفحتى ٢٥١-٢٥٥، ويحمل عنوان «المؤتمر الرابع للإخوان والاحتفال بحضور جلالة الملك وتسليمه مقاليد الأمور». ويتضمن دور الإخوان فى استقبال الملك فاروق فى عودته من لندن عقب وفاة والده الملك فؤاد، ويبدأ هذا الجزء بما يلى «وقد رأى الإخوان بمناسبة حضور جلالة الملك فاروق من الإسكندرية ومباشرته سلطته أن يحتفلوا بهذه المناسبة وأن يعقدوا مؤتمرهم الرابع بالقاهرة، فأصدر المكتب النشرة الآتية: قرر مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين الاحتفال بحضور جلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول وتسلمه مهام ملكه السعيد وتقديم فروض التهنئة والولاء بهذه المناسبة الميمونة. وتألفت لجنة من حضرات...». وتذكر النشرة أسماء أعضاء اللجنة، ونجد من بينهم «الأستاذ عمر التلمسانى المحامى بشبين القناطر ومندوب الإخوان بها». وهو الاسم قبل الأخير بأعضاء اللجنة.. ثم يتوالى وصف الاحتفال الذى قام به الإخوان والدور الذى لعبوه فى استقبال جلالة الملك، وتنقل المذكرات ذلك الوصف عن مجلة الإخوان، وكان

بعنوان «حشد لم يسبق له نظير فى تاريخ مصر الحديثة». وبين الوصف نجد فقرة بعنوان «فى ساحة عابدين». وفيها بالحرف الواحد «كنت لا تجد فى ساحة عابدين موضعًا لقدم من شدة الزحام وكنت لا تكاد تسمع محدثًا لك من الهتاف الذى يتردد فى صداه الأثير. وهكذا انتظم الإخوان على باب القصر رافعين أعلامهم يهتفون (الله أكبر الله أكبر) - الإخوان المسلمون يبايعون الملك المعظم». وكانت مدرسة النيل الثانوية بشبرا قد خصصت لتكون مقرًا لاجتماع الإخوان وينطلقون منها نحو الترحيب بجلالة «الملك المعظم».

عند عودته من لندن وجد استقبالاً حافلاً فى الإسكندرية وعلى طول الطريق بالقطار من الإسكندرية إلى القاهرة، وكان على ماهر رئيس الوزراء ومعه شريف صبرى خال الملك ووكيل وزارة الخارجية قد تدخلا فى إعداد ترتيبات الاستقبال والترحيب بالملك، ومع ذلك فقد فاق الاستقبال كل توقع، وقد رأى السفير البريطانى مايلز لامبسون من أن ذلك الاستقبال يدل على «امتزاج الشعب بالعرش». ورصد لامبسون الهتافات التى كانت تقال ترحيبًا بالملك ورأى أنها فاقت الهتافات المماثلة لسعد زغلول حين عودته من المنفى، وأنها كانت نابعة من القلوب[1].

وكانت مشاركة الإخوان فى هذا الاستقبال باعتبارهم جزءاً من الشعب ومن المواطنين المصريين، وربما وجدها حسن البنا فرصة أن يدفع بجماعته خطوة نحو القصر الملكى ونحو على ماهر رئيس الوزراء، والسياسة المصرية عمومًا فى مستوياتها العليا، فضلاً عن أن مثل هذه المشاركة تجعل أجهزة الدولة أكثر اطمئنانًا للجماعة وثقة بها.. وها قد وجدنا مدرسة شبرا الثانوية تفتح أبوابها كى تكون مركز تجمع للإخوان القادمين من خارج القاهرة. للمشاركة فى الاستقبال الملكى.

(١) راجع تفاصيل ذلك فى د. لطيفة سالم: فاروق من الميلاد إلى الرحيل، ص ٢٤، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٥م.

أيًا كان الأمر لم يكن فى استقبال الملك فاروق سنة ١٩٣٦م عملاً مشينًا كى يتم حذفه من المذكرات، غير أن الذى حذف كان ينظر إلى الملك بعين لحظة النهاية والسقوط عن العرش.

ويصبح التساؤل هو: لماذا حذف ذلك الجزء من المذكرات.. ومن الذى حذفه؟ ويجب القول إن المذكرات بها كلمات فى مديح الملك فؤاد ولم تحذف، رغم أن فؤاد كان ملكًا طاغية ومستبداً.. ترى هل حذف ذلك الجزء، حتى لا تتلطخ سمعة الإخوان وحسن البنا تحديدًا من جراء علاقتهم ومبايعتهم للملك فاروق، الذى أقصى عن عرش مصر، وساهموا هم فى ذلك الإقصاء، أم حذف ذلك الجزء بسبب ورود اسم عمر التلمسانى المرشد الثالث والذى كان يجرى تقديمه باعتباره ضحية الظلم والقهر السياسى؟ وكان ضروريًا حذف صفحة الهتاف للملك من تاريخه وحياته ، وفى عهد ذلك المرشد بدأت طباعة تلك المذكرات سنة ١٩٧٦م، ولم تكن تطبع من قبل وعادت الجماعة لتعمل على السطح وتنتشر فى المجتمع بسماح رسمى من الدول ومن الرئيس السادات شخصيًا.

عمومًا يثير هذا الجزء المحذوف، أمر هذه المذكرات، فهى صدرت سنة ١٩٥٠م، أى بعد اغتيال حسن البنا، وسوف نلاحظ أن الصفحة الأخيرة من المذكرات تحمل توقيع «حسن البنا.. المرشد العام للإخوان المسلمين» ويرد بعدها ما يلى «انتهت مذكرات الدعوة والداعية فحمدًا لله وشكرًا على ما وفقنا إليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين»، ترى هل هذه الجملة والدعاء من وضع حسن البنا أو من القائمين على إصدار المذكرات؟ ولكن الثابت أن فصول هذه المذكرات نشرها البنا قبل ذلك فى مجلته، يمكن أن تقرأ بعض فصولها فى مجلة الإخوان المسلمين سنة ١٩٤٣م، وكانت بعنوان «من مذكراتى». وكان الأنسب أن تطبع بهذا العنوان، وليس بعنوانها الحالى، فضلاً عن أن العنوان «الدعوة والداعية» أقل مما كان البنا يرى نفسه به، فى الواقع هو فى السنوات الأخيرة

لم يكن يرى نفسه داعية، ربما كان ذلك فى البداية، لكنه منذ سنة ١٩٣٨م أخذ نفسه والجماعة إلى طريق أو لنقل مستنقع لم يتمكن من الخروج منه، ولا الجماعة كذلك.. مستنقع المناورات السياسية.

الأمر الآخر الذى يعتبره هذا الجزء المحذوف، هو علاقة حسن البنا بالملك فاروق، وقد يتصور البعض أو يرى أن الهتاف للملك والترحيب به ومبايعته حين تولى العرش مرتبط بتلك اللحظة حيث ساد التفاؤل بالملك، وهى لحظة تختلف عن مسار الملك فيما بعد. والواقع أن مراجعتنا لمجلة الإخوان تكشف أن تعامل حسن البنا والجماعة مع الملك لم يتغير بعد ذلك، نعرف أن حسن البنا سعى عبر يوسف رشاد وأنور السادات، للقاء الملك فاروق، وقت أن كان السادات ضمن «الحرس الحديدى» الذى أشرف عليه يوسف رشاد للتخلص من خصوم الملك، ولم يوافق الملك على أن يلتقى يوسف رشاد مع البنا.. ومراجعة مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، نجد أن صورة جلالة الملك كانت الأكثر نشرًا على غلاف المجلة.. ولم يكن ينافسه فى ذلك سوى الملك عبد العزيز آل سعود وأفراد أسرته، والحقيقة أن مجلة الإخوان كانت كريمة مع الملوك العرب جميعًا.

كان الملك فاروق موضع تفاؤل كثير من المصريين فى بداية حكمه، وارتفع التعاطف معه إلى عنان السماء مع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م، ولكن بعد ذلك، أخذت شعبيته فى التدهور، خاصة فى أواخر الأربعينيات، لكن صورته لم تتغير عند حسن البنا وجماعته، أو هكذا ما تكشفه مجلة الإخوان، التى كان يرأس تحريرها صالح العشماوى وكان وكيلاً للجماعة، أى الرجل الثانى بعد المرشد، وكانت خطب وأحاديث المرشد وصوره تملأ المجلة، ولم يخل عدد من حديث له أو مقال.. فضلاً عن أخباره وتحركاته .. وهذا يعنى أن السياسة التحريرية للمجلة لم تكن تخرج عما يريده، وأنه كان راضيًا عنها.

ولم تكن المجلة تكتفى بتأييد الملك والدفاع عنه، فهذا فى النهاية حقها وحق الجماعة، وتلك سياستها ومنهجها، لكنها كانت تلوم الآخرين وتنتقدهم لأنهم لا يفعلون مثلها، وهذا الانتقاد يرقى إلى أن يكون فى بعض المواقف ابتزازًا سياسيًا أو بلاغًا رسميًا عنهم .. ونجد ذلك واضحًا عندما وقع حادث القصاصين للملك فاروق فى أثناء الحرب العالمية الثانية، كان الملك ينطلق مسرعًا بسيارته كعادته، فظهر له فى الطريق «لورى» تابع للجيش الإنجليزى واصطدم بالسيارة، وترتب عليها إصابة الملك فى عموده الفقرى، وتقدم حسن البنا وفدًا من الجماعة ليهنئ الملك بالنجاة، ونشرت المجلة خبرًا بعنوان «وفد الإخوان فى القصاصين» ننقله بالحرف الواحد «لطف المولى القدير بملك البلاد فى هذه الحادثة التى هزت الشعب وأثارت عواطف ولائه الكامنة، ولقد كان الإخوان المسلمون فى طليعة الوافدين إلى القصاصين مكان التصادم الأليم، فذهب فضيلة المرشد العام على رأس وفد من المركز العام كما ذهبت الوفود تترى من شعب الأقاليم والعواصم ومن فرق الجوالة يحدوهم جميعًا شعورهم نحو مليك البلاد حفظه الله وعجل له بالعافية وسرعة الشفاء ونحن نعتب على الصحف تغافلها عن تسجيل هذا المظهر الطبيعى الذى تشترك فيه كل طبقات الأمة».

★★★

وأريد أن نتوقف هنا عند أعداد المجلة سنة ١٩٤٨م، وهو عام حاسم بالنسبة إلى الملك فاروق، فقد بلغ اليأس بالناس مداه منه وبدأ الحديث بصوت مرتفع عن الفشل الذى لحق بنا فى فلسطين وتدهور الأوضاع الداخلية، وتفاقم ما اصطلح على تسميته بثالوث الفقر والجهل والمرض.. لكن على صفحات وغلاف مجلة الإخوان كان الأمر مختلفاً تمامًا..

- عدد السبت ٧ فبراير ١٩٤٨م نجد صورة الملك فاروق على الغلاف ومكتوب تحتها «جلالة ملك الوادى بمناسبة عيد ميلاده السعيد» (١١ فبراير).

- عدد أول مايو ١٩٤٨م صورة خمسة من الحكام العرب، فى الأعلى صورة الملك عبد العزيز ابن سعود، وصورة الملك فاروق.. والملك عبد الله ملك الأردن والرئيس شكرى القوتلى والرئيس اللبنانى ومكتوب هذا المانشيت «ملوك ورؤساء جمهوريات الدول العربية الذين تتعلق بهم آمال الشعوب العربية اليوم».
- عدد ١٥ مايو صورة ملك الأردن تملأ الغلاف والمانشيت «حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله ..».
- عدد ٢٢ مايو صورة ضخمة للملك فاروق، والمانشيت «صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول بمناسبة انتصار جنوده المظفرين فى فلسطين». وهذا المانشت يستحق التوقف عنده، فسيقول الإخوان نقيضه تمامًا بعد خلع الملك فاروق.
- عدد ٢٦ يونيه ١٩٤٨م صورة للملك فاروق مع الملك عبد الله والمانشيت «حضرة صاحب الجلالة الفاروق ملك وادى النيل يستقبل ضيفه العظيم الملك عبد الله بن الحسين».
- عدد ١٠ يوليو ١٩٤٨م صورة للملك عبد العزيز مع الملك عبد الله والمانشيت «حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود مع ضيفه العظيم حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله بن الحسين..» وكان الملك عبد الله قد زار المملكة العربية السعودية.

هذه فقط عينة من صور الغلاف، ولن نجد فيها كلمة واحدة عن ضياع فلسطين ولا عن تخاذل الملك ولا عن فساده وفساد حاشيته والأسلحة الفاسدة، وكل ما ردده الإخوان عن جلالة الملك فاروق بعد ذلك، وما زالوا يلوكونه إلى اليوم فى أحاديثهم وفى كتبهم ويردده خطباؤهم على منابر المساجد والزوايا حتى يومنا هذا.

قبل ذلك وفى عام ١٩٤٧م، نجد غلاف المجلة عدد ٨ فبراير صورة الملك والمانشيت «بمناسبة العيد الملكى السعيد»، وكانت هناك صورتان محجوزتان سنويًا

على غلاف المجلة للملك، الأولى فى عيد ميلاده أو ما كانت تسميه المجلة «العيد الملكى السعيد». والثانية فى عيد جلوسه على العرش.

- عدد ١٥ مارس ١٩٤٧م نجد الصفحة الثانية من العدد مجموعة من الصور بعنوان «الأسبوع فى صور» ومعظمها صور الملك فاروق. وتحركاته العادية خلال الأسبوع.

- وفى شهر مايو ١٩٤٧م نجد عدد ٤ مايو وعلى غلافه صورة للملك والمانشيت «جلالة الملك يشرف حفل افتتاح نادى العلمين».

- عدد ١١ مايو (العدد التالى مباشرة) صورة الملك والمانشيت «فى عيد الجلوس الملكى السعيد».

- عدد ١٨ أكتوبر ١٩٤٧م على الغلاف مانشيت «حماة العروبة» وصور كل من الملك فاروق والملك عبد الله والرئيس بشارة الخورى والملك عبد العزيز بن سعود والملك فيصل ملك العراق والرئيس السورى شكرى القوتلى وإمام اليمن الإمام يحيى.

★★★

وكانت مجلة الإخوان تحرص طوال الوقت على أن تقدم صورة الملك للشعب ليس باعتباره الملك الوطنى فقط، بل قبل ذلك الملك المتدين، ففى عدد ٢٧ يوليو ١٩٤٦م نجد صورة مسجد تملأ الغلاف وتحته عبارة «مسجد فاروق الأول برأس البر» وبعدها مباشرة فى عدد ١٠ أغسطس ١٩٤٦م نجد صورة الملك وهو يجلس فى خشوع والمانشيت يقول «صاحب الجلالة الملك يستمع إلى آى الذكر الحكيم فى قصر رأس التين العامر» الطريف أن تلك الفترة هى التى شهدت حديثًا فى الشارع عن سهرات الملك فاروق الماجنة ولعب القمار.. كانت المجلة ومعها الجماعة تتطوع لتقديم الصورة المناقضة لما هو سائد؟ كان الملك فاروق فى مرحلة التدهور الشديد،

سواء فى حياته الخاصة وسلوكه الشخصى، أو فى إدارته لشؤون البلاد، لكن المجلة التى يرعاها حسن البنا كانت تقدم العكس.

وبمراجعة المجلات السياسة لذلك العصر مثل المصور وروز اليوسف وآخر ساعة، لن نجد الملك فاروق احتل أغلفتها على هذا النحو الذى نجده فى مجلة الإخوان، وأظهر أنه لا بد من التساؤل بعد ذلك عن مصدر التمويل، خاصة إذا وجدنا أن مجلة الإخوان كانت أقل المجلات تنشر بها إعلانات، وهناك أعداد كاملة لم يكن ينشر بها إعلان واحد، ورغم ذلك كانت المجلة تطبع على ورق ملون، وكانت تطبع على ورق الكتب وليس ورق المجلات بما يعنى أن التكلفة كانت أعلى بكثير من المجلات الأخرى.

لم يكن الأمر قاصرًا على صورة الغلاف، ومن الناحية الصحافية فإن صورة الغلاف يجب أن يصاحبها مادة داخل العدد، وتكون - غالبًا - هى الأهم، وتكون إدارة تحرير المجلة حريصة على إبرازها، وهكذا مع كل صورة للملك على الغلاف، كنا نجد عمودًا أو مقالاً مطولاً، أو حتى كلمة قصيرة داخل العدد، وقد تكون بلا توقيع تعبيرًا عن المجلة كلها وأحيانًا يوقعها أحد كتاب المجلة، ففى سنة ١٩٤٥م نجد مقالاً على صفحة ٢ بالعدد، بعنوان «عيد الملك عيد الشعب» ويحمل توقيع محمد عثمان نجاتى، وهو - فيما بعد - أستاذ علم النفس - يقول فيه «وليس بغريب أن يحب الشعب المصرى مليكه هذا الحب الذى لم يحبه شعب لملك من قبل. فقد كان مولده بداية عهد جديد لمصر وكان مشرق طلعته بشير خير وسعادة للشرق الإسلامى جميعه وكأن الله سبحانه وتعالى قد ربط مصير الأمة بمصيره، وكأن إرادته شاءت أن تجعل من شباب الفاروق معينًا يجدد فى الأمة شبابها». وكانت المجلة ومن ثم الجماعة اهتمت بعيد ميلاد الملك بشكل خاص سنة ١٩٤٥م؛ لأن الملك كان قد أتم ٢٥ عامًا «من عمره المديد إن شاء الله» كما قال نجاتى.

وإذا كانت جماعة الإخوان حذفت من مذكرات حسن البنا ما يتعلق بترحيبه «بالمليك المعظم» حين تولى العرش، فلن يكون بمقدورهم أن يحذفوا من المجلة ما تحدث به البنا إلى الملك أو عنه.. وسوف نكتفي هنا بنموذجين، أظن أن كل منهما دال.. ففي مطلع سنة ١٩٤٥م زار الملك فاروق للمرة الأولى المملكة العربية السعودية والتقى بجلالة الملك عبد العزيز الذى سعد به وصعد إليه على اليخت الخاص بالملك والذى سافر فيه عبر البحر الأحمر واستمرت الزيارة عشرة أيام، وكانت زيارة ناجحة تمامًا، وقد أرسل المرشد برقية إلى القصر الملكى بعد عودة الملك.. هذا نصها «حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الديوان العالى:

أرجو أن ترفعوا إلى سدة المليك المحبوب أخلص آيات التهنئة والتبريك لسلامة العودة من الأرض المقدسة وكمال التوفيق فى توثيق روابط المودة بين مصر وجارتها العزيزة مع أسمى آيات الولاء والإخلاص، والله نسأل أن يعز الإسلام والعروبة بالفاروق العظيم».

النموذج التالى يعود إلى أبريل سنة ١٩٤٦م، وقتها كان رئيس الحكومة هو إسماعيل صدقى (باشا) وكانت الحكومة تستعد للتفاوض مع الإنجليز لتعديل بنود معاهدة ١٩٣٦م أو إعادة النظر فيها بما يضمن لمصر مزيدًا من الاستقلال، ولم تكن قيادات الأحزاب تؤيد صدقى، وكانت القوى الوطنية ترى فيه طاغية وتعده رمزًا للاستبداد، كان يؤيده - فقط - الملك فاروق، فقد أسند إليه رئاسة الحكومة، وكان يؤيده غير الملك، وربما بسبب ذلك جماعة الإخوان المسلمين ومرشدهم حسن البنا، وقد تظاهر طلاب الإخوان فى الجامعة تأييدًا لصدقى، وقاد المظاهرات مصطفى مؤمن، وردد المتظاهرون الآية القرآنية ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾[مريم: ٥٤] وبالتأكيد لم يتحرك طلاب الإخوان بعيدًا عن رغبة مرشدهم المؤسس، لكن المرشد حسن البنا لم يترك الأمر للطلاب، وقرر أن يدخل بنفسه على الخط، ولكن بالتعامل مباشرة مع الملك، فبعث إليه بخطاب نشرته

مجلة الإخوان، قدمت له المجلة بالكلمة التالية «رأى فضيلة المرشد العام بمناسبة بدء المفاوضات وحاجة الأمة فى هذا الظرف الدقيق إلى الوحدة والائتلاف أن يتوجه بهذه الرغبة إلى الفاروق معقد الأمل والرجاء فأرسل لجلالته الخطاب التالى». ثم نشرت نص الخطاب، وفى هذا السياق لا بد من إعادة نشره كاملاً، فهو كاشف لنظرة البنا للملك وطريقة خطابه، يبدأ الخطاب هكذا:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه.

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك وادى النيل

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد،،

فأنت يا صاحب الجلالة موضع الأمل ومعقد الرجاء لوادى النيل ولأبناء العروبة ولشعوب الإسلام، عاطفة من الولاء والحب غرسها الله لك فى قلوب الناس لإرادة يعلمها وحكمة يريدها لعلها أن تجتمع بك الكلمة ويرأب الصدع وتلتقى فى ساحتك الأمانى والآمال.

ومصر الآن يا صاحب الجلالة تجتاز أدق مراحل تاريخها الحديث وحكومتها فى مفاوضة مع حكومة بريطانيا ترجو من ورائها أن تصل إلى حق الوطن فى الجلاء ووحدة الوادى حتى يحيا حياة الحرية والكرامة والاستقلال فى ظل عرشك العزيز وتاجك المقدس.

وستلقى نتيجة المفاوضات كائنة ما كانت على كاهل الأمة والحكومة تبعات وواجبات ثقال لا يمكن النهوض بها إلا إذا توحدت الكلمة وتضافرت جهود العاملين المخلصين.

وتلك ليس لها إلا نظرك السامى ورأيك الثاقب السديد، فتفضل يا مولاى وآس بيدك الكريمة هذه الجراح وأنت نعم الطبيب، ووجه دعوتك المستجابة وأمرك

المطاع إلى هذه الأحزاب والهيئات لتلتقى جميعًا عند كلمتك وهى كلمة الوطن العزيز والتفكر مجتمعة فى برنامج العمل للمستقبل القريب والطريق إلى تنفيذه على كل الفروض حتى لا نؤخذ على غرة ولا نؤتى من غفلة.

والله نسأل أن يحقق على يديك الآمال وأن يعز بعهدك السعيد عرش وادى النيل المجيد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القاهرة فى ٢١ من جمادى الأولى ١٣٦٥هـ

٢٣ من أبريل ١٩٤٦م

المخلص

حسن البنا

المرشد العام للإخوان المسلمين

وجعلت المجلة لهذه الرسالة عنواناً رئيسياً هو : مهمة الائتلاف ليس لها إلا نظر الفاروق السامى ورأيه الثاقب.

★★★

يخاطب حسن البنا الملك ليحقق خطوة يعلم جيدًا أن الملك يحبها ومفضلة لديه، وهى أن تأتلف الأحزاب وتأتمر بأمره، لم يكن الملك يحب حزب الأغلبية «الوفد»، لأسباب عديدة، من بينها أن النحاس باشا فى تعامله مع الملك، لم يستطع أن يتخلص من فارق السن الكبير بينهما، وهكذا كان النحاس يشعر الملك بصغر سنه، أو بتعبير السفير البريطانى أنه «صبى» أو «غلام»، كان يقولها السفير هكذا (The Boy) وكان الملك لا يحب لحزب الأغلبية أن يحكم أو أن يتحكم، وكان

يفضل عليه التحالف أو الائتلاف الحزبى، وهكذا فإن البنا يقترح على الملك ما يحبه الأخير ويتمناه.

ولا يؤخذ على حسن البنا أو غيره أن يبدى تأدبًا وهو يخاطب ملك البلاد وأن يظهر له مشاعر الود والتقدير، لكن ما يزيد عن ذلك يصبح نفاقًا وتملقًا رخيصًا، وقد يتجاوز الأمر بالنفاق ليؤدى إلى صناعة طاغية، وحينما يخاطب المرشد الملك فاروق ويقول له (تاجك المقدس) فهذا تحميل للأمور ما لا تحتمل، لم يكن التاج الملكى مقدسًا ولا حتى لدى الملك نفسه، أن يكون الجالس على العرش محبوبًا ومقبولاً أمر طيب للشعب وللأفراد وكذلك للملك نفسه، أما أن يكون التاج مقدسًا، فذلك شيء آخر، ومن قبل قال حسن البنا عنه الخليفة المنتظر، أنه يصبح «ظل الله على الأرض».. إنها عقلية تأليه الحاكم، التى عرفتها العصور القديمة فى بلاد الشرق وعاشتها أوروبا فى العصر الوسيط، عصر الظلام، ثم حاولت الإنسانية أن تتحرر من تلك المرحلة، وهذا النمط من الحكم، لكن حسن البنا، فيما يبدو، كان يسعى إلى استعادته من جديد.

وهناك كلمات أخرى فى الرسالة تنطوى على المبالغة فى النفاق، مثل (أنت نعم الطبيب).. (نظرك السامى).. (عهدك السعيد).

الطريف فى الأمر أن حسن البنا، رغم مديحه المبالغ فيه باستمرار للملك، والذى فاق مديح أنصار الملك والملكية بحق، فإن الملك لم يثق أبدًا فى حسن البنا ولم يطمئن إليه، وهذا ما تكشفه الكثير من الأحداث والوقائع.

الفصل العاشر

نقيض الأفغانى ومحمد عبده

ذكروا أنفسكم أيها الإخوان دائمًا بأن
ملاحدة المسلمين فى مقدمة خصومكم
حسن البنا

اعتبر فريق غالب من الباحثين والدارسين المصريين والعرب والأجانب حسن البنا وجماعته، تجليًا وامتدادًا لمشروع أو حركة جمال الدين الأفغانى، وتساءل د. حسن حنفى كثيرًا بأسى كيف أن مشروع الأفغانى ومحمد عبده النهضوى كان يضعف ويزداد أنصاره تشددًا أو سلفية من رشيد رضا وحسن البنا؟!

والواقع أنه يصعب علينا اعتبار حسن البنا امتدادًا ولو باهتًا وضعيفًا لجمال الدين الأفغانى وأفكاره، بل إن التدقيق يمكن أن ينتهى بنا إلى اعتبار حسن البنا وأفكاره نقيضًا لأفكار ومشروع الأفغانى.. وهو كذلك نقيضًا لأفكار ومشروع الأستاذ الإمام محمد عبده، رغم الاختلاف أو عدم التطابق بين الأفغانى ومحمد عبده.. لقد اختلف الباحثون حول جمال الدين الأفغانى.. مولده ونشأته.. حياته ومسيرته، السائد أنه ولد قريبًا من «كابل» عاصمة أفغانستان لأسرة مسلمة سنية ينتهى نسبها إلى الحسين بن على، أى أنه عربى الأصل، لكن فى المقابل هناك من ينكر ذلك ويرى أنه ولد فى بلاد فارس ونشأ مسلمًا شيعيًا، لكنه تحول إلى السنية أو ادعى ذلك ليسهل عليه النفاذ إلى المسلمين السنة.. وبينما رآه البعض مسلمًا مخلصًا لمبدأ «الجامعة الإسلامية»، اعتبره آخرون عميلاً للمخابرات البريطانية، وعدة أجهزة

أخرى بحكم كونه «ماسونيًا».. وصل إلى درجة متقدمة فى المحفل الماسونى الأعظم، لكن لن يختلف كثيرون أن جمال الدين الأفغانى كان خصمًا لدودًا للاستبداد السياسى، أيًا كان مصدره، وكان كارهًا للظلم الاجتماعى، بشتى صوره داعيًا إلى إنشاء الدستور والبرلمان، وأنه كذلك كان قلقًا من التدخل الأوروبى فى بلاد المنطقة. وبسبب كراهيته ورفضه للاستبداد طرده رياض باشا، ناظر النظار فى عهد الخديو إسماعيل ورمز الاستبداد والتسلط من مصر، ودعا شاه إيراه إلى القبض عليه، متهمًا إياه بالمشاركة فى مؤامرة لاغتياله، وبسبب ذلك أيضًا حبسه السلطان عبد الحميد فى القفص الذهبى بالآستانة، عاصمة دولة الخلافة.

كان الأفغانى داعيًا إلى إصلاح وتجديد دولة الخلافة، وإقامة رابطة جامعة بين البلاد الإسلامية، لا تربط البلاد بالقهر والغلب كما فعل سلاطين آل عثمان.. فأين من ذلك حسن البنا .. الذى عرفناه مناصرًا للحكومات الاستبدادية فى مصر ويسخر أنصاره للتظاهر تأييدًا لها ودفاعًا عنها، كما حدث مع حكومة إسماعيل صدقى، ولم نعرفه مؤمنًا ولا محبذًا للحريات السياسية، ولا مدافعًا عن الدستور، حيث نشبت مظاهرات سنة ١٩٣٥م المطالبة بعودة الدستور واحتجاجًا على تصريحات وزير خارجية بريطانيا «صمويل هور» بشأن استقلال مصر، لم نعرف للبنا دورًا أو حتى تأييدًا لتلك المظاهرات، فقد ألقى بنفسه من البداية فى أحضان الديوان الملكى، متملقًا الملك فؤاد، الذى عرف بأنه طاغية، ثم الملك فاروق، حتى أنه كان من الداعين إلى أن يصبح الملك فاروق خليفة المسلمين، وهو الحلم الذى طالما داعب الملك الشاب، كما داعب والده، الطاغية العجوز، من قبله..

لا أريد أن أعقد مقارنة بين الأفغانى والبنا .. ولا بين محمد عبده والبنا، فذلك أمر يطول، ولكن أكتفى هنا بالتأكيد على أن «البنا» كان نقيضًا لكل منهما.. والتناقض بين البنا ومحمد عبده يفوق تناقضه مع جمال الدين الأفغانى. كان

محمد عبده من أنصار ودعاة الوطنية المصرية[1]، شارك فى الثورة العرابية، وصار من دعاة الإصلاح بعدها، لم يكن مثل أستاذه الأفغانى من دعاة الجامعة الإسلامية ولا مثل البنا داعيًا إلى دولة الخلافة، ولا بد من القول إن الأفغانى ومحمد عبده كانا - كل بطريقته - امتدادًا لميراث وتجربة إسلامية ممتدة فى التاريخ، بعمق التاريخ الإسلامى وربما عمق الإسلام ذاته.

تحدثنا التجربة الإسلامية فى التاريخ إن المدارس أو الفرق الكلامية والمذهبية، نشأت معظمها حول قضية سياسية واجتماعية فى المقام الأول، أى بسبب أو رد فعل على خلاف سياسى، وعلى هذا النحو ظهر الخلاف السنى/ الشيعى، فقد نشأت الشيعة والتشيع احتجاجًا من بعض المسلمين على أن ابن عم رسول الله وزوج ابنته فاطمة على بن أبى طالب كان الأحق بخلافة المسلمين إثر وفاة النبى محمد، ورغم اعتراف الجميع بأسبقية على بن أبى طالب ودوره المهم فى الإسلام وقرابته من الرسول، فقد اتجه الرأى الغالب من المسلمين إلى أبى بكر الصديق، الذى كان موضع ثقة الرسول وصديقه من اللحظة الأولى لتلقى الوحى، وظهرت جماعة الخوارج إثر احتجاج نفر من المسلمين على الصراع بين أنصار على وأنصار معاوية بن أبى سفيان، رفض الخوارج مبدأ التحكيم الذى ارتضاه على، وخرجوا وحدهم، ورغم أنهم مارسوا العنف والقتل تجاه خصومهم، فإنهم قدموا تراثًا فكريًا راقيًا وأدبًا رفيعًا.

ولما بالغ معاوية بن أبى سفيان فى المطالبة بدم عثمان بن عفان، وحمل على بن أبى طالب مسؤولية هذا الدم، وكان فى ذلك يسعى إلى هدف سياسى، هو الوصول إلى السلطة، وكان يصدر فى طلبه عن قرابة الدم من عثمان وليس لأن عثمان قتل مظلومًا. ظهرت جماعة «المرجئة» أى إرجاء البت فى هذا الأمر وتركه إلى الله سبحانه وتعالى

(١) عقد د. مصطفى لبيب فصلاً عن الفكرة الوطنية عند الإمام محمد عبده، فى كتابه الذى أصدره عنه الكتاب صدر عن هيئة الكتاب عام ٢٠١٠م.

يوم القيامة، وبإزاء هذا كله ظهر تيار التصوف تعبيرًا عن الزهد والرغبة فى تجنب كل هذه الصراعات والانقسامات التى جرت على المسلمين حروبًا أهلية ودماء غزيرة ارتقيت لمسلمين أجلاء، يكفى أن يكون فى مقدمتهم الخليفة عثمان والخليفة على بن أبى طالب ثم الحسين بن على، رضى الله عنهم جميعًا.

ونعرف جميعًا أن فكر المعتزلة شاع إثر الخلاف بين الأمين والمأمون على الأحق بالخلافة. أى أننا فى نهاية الأمر بإزاء خلاف ومعارك سياسية تجد غطاء فقهيًا دينيًا لا بحكم أن الثقافة الدينية كانت هى الغالبة والمسيطرة على الجميع..

كان ذلك فى زمن بناء الثقافة والحضارة الإسلامية، حيث تتعدد وتتباين المواقف الكبرى سياسيًا واجتماعيًا ومن ثم مذهبيًا وأكاد أقول عقائديًا، فلما اتسعت رقعة الدول الإسلامية وانتشرت الحضارة الإسلامية باتت المواقف معروفة.. وأنصار الفرق يعرفون أنفسهم، ودعاة كل مذهب محددين، وحتى حين ظهرت حركات احتجاج وتمرد داخل هذه الدول مثل «القرامطة» فإنها نشأت من رحم الإحساس بالظلم أو عدم تحقيق العدل الإنسانى والاجتماعى على النحو الذى يطالب به الإسلام، أو حسب فهمهم لهذا الدين..

فى زمن الضعف والتراجع، وتعرض الدولة الإسلامية للغزو من الخارج، سواء ما جاء من أقصى الشرق (المغول) أو من بلاد الغرب (الصليبيين) وجدنا حركات وجماعات المقاومة تنشأ حول الفقهاء والمتصوفة، فنحن لا نستطيع أن نفهم فكر ابن تيمية وآراءه ما لم نضع فى الاعتبار أنه فى زمانه رأى اجتياح المغول وتهديدهم للأمة.. والأمر نفسه ينطبق على آخرين من الفقهاء والمتصوفة وإن لم يحققوا شهرة ونفاذ الفقيه تقى الدين بن تيمية.

فى عصرنا الحديث لم يختلف الأمر كثيرًا، حيث ظهر التهديد الأوروبى لبلاد المنطقة، جاءت حملة نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨م ورحلت سريعًا فى ١٨٠١م، لكن

الحملة كانت فاتحة التهديد، بعدها بقليل وفى سنة ١٨٣٠م تم غزو فرنسا للجزائر واحتلالها، وكان ذلك فاتحة الاجتياح الأوروبى (الاستعمارى) لبلاد المنطقة، وهكذا وجدنا حركات إحياء إسلامية تهدف فى النهاية إلى مقاومة ذلك الاجتياح، ومنعه أو الحد منه، وجدنا فى الجزائر حركة الأمير عبد القادر، وبعد مغادرة الأمير للجزائر متجهًا إلى مصر ثم إلى الشام لم تخمد المحاولات، ولدينا نماذج مثل عبد الحميد بن باديس، وفى ليبيا كانت السنوسية، ورغم أنها حركة صوفية بالأساس فقد تحملت مقاومة الإيطاليين وفى السودان كانت الحركة المهدية، التى كان من بين أهدافها مواجهة الغزو البريطانى لمصر وزحفه على السودان.. وفى مصر كان الأفغانى يدعو إلى مقاومة الاستبداد والتصدى للتغلغل الأوروبى فى المحروسة وكان الشيخ محمد عبده أحد قادة الثورة العرابية، لرد البريطانيين عن مصر والحد من الاستبداد والتسلط السياسى الذى يمارسه رياض باشا ومعه الخديو محمد توفيق.

عمومًا كانت الحركات الدينية الإسلامية تسعى إلى أهداف تكاد تكون واحدة، هى الحد من التدخل والعدوان الأوروبى على البلاد، والحد من الاستبداد الذى يمارسه الحكم ويرزح تحته المواطنون، وفى النهاية السعى إلى تحقيق النهوض العام..

★★★

منذ نهاية القرن السابع عشر وطول الثامن عشر نجد ظهور حركات دينية تسعى إلى أهداف أخرى وبوسائل جديدة وترى أزمة المسلمين بشكل آخر.. إنها ترى الأزمة فى الإسلام ذاته أو فى المسلمين أنفسهم من حيث علاقتهم بدينهم ومعرفتهم به.. من الفرق التى رأت المشكلة فى الإسلام ذاته القاديانية أو الأحمدية فى الهند والبابية التى تطورت إلى البهائية، هذه الفرق أو الجماعات أحدثت بعض التعديلات فى الديانة الإسلامية ذاتها، حتى باتت تعد ديانات جديدة مستقلة بذاتها، فى البهائية مثلاً تم إسقاط قاعدة أو مبدأ «الجهاد» وهذا ما دعا باحثًا فى وزن أحمد أمين يقطع بأن الإنجليز وقفوا وراء البهائية ودعموها، لأن مبدأ الجهاد يزعجهم،

فقد كان سببًا رئيسيًا فى مقاومة الشعوب والبلاد التى دخلوها، خاصة فى الهند وفى مصر وفى العراق.. وهناك العديد من الدراسات حول القاديانية وحول البابية والبهائية يمكن الرجوع إليها والوقوف عند تفاصيلها وجذورها.

أما الحركات التى رأت الأزمة فى المسلمين أنفسهم، فيقف على رأسها محمد بن عبد الوهاب وجماعته التى حملت اسمه «الوهابية».. وقد أطلق التسمية الأخيرة عليهم خصومهم، أما أنصار ابن عبد الوهاب فيطلقون على حركتهم اسم جماعة التوحيد، ولد ابن عبد الوهاب سنة ١٧٠٣ ميلادية فى بلدة «العيينة» التابعة لمنطقة «نجد» بالجزيرة العربية، وتلقى تعليمه الأولى بها على يد عدد من شيوخ المذهب الحنبلى، ثم سافر إلى المدينة المنورة ومنها انتقل إلى البصرة وبغداد ثم رحل إلى عدة أماكن داخل بلاد فارس، أنهاها بمدينة «قم» ثم عاد إلى موطنه وخرج على أهله بدعوته وأفكاره الجديدة، التى ركزت على محاربة البدع، مثل زيارة قبور وأضرحة بعض الأولياء والمتصوفة، وهو بالتأكيد رأى ذلك على نطاق واسع فى المناطق الشيعية التى مر بها وعاش فيها فترة سواء فى العراق أو فى بلاد فارس (إيران).. ثم طالب أتباعه بهدم الأضرحة والقبور، ثم قال إن المسلمين ابتعدوا عن التوحيد وأصابهم الشرك بالله وكان ذلك هو المخيف فى دعوته..

تاريخيًا كان يظهر بعض الشيوخ بين حين وآخر يدعون إلى ترك البدع والعودة إلى أصول الدين، وتحدثنا تواريخ المقريزى وابن تغرى بردى وابن إياس والجبرتى عن كثير من هذه النماذج، لكن لم يتهم أحد من هؤلاء عموم المسلمين أو من يزورون الأضرحة بالشرك أو الكفر بالله سبحانه وتعالى.. وفى زمن الاحتلال الأوروبى أو سعى أوروبا إلى الهيمنة على المنطقة، فضلاً عن الاستبداد والتسلط والمظالم السياسية والاجتماعية، رأى ابن عبد الوهاب المشكلة بعيدًا عن ذلك كله، رآها تنحصر فى زيارة الأضرحة والقبور والاحتفال بالموالد، بما فيها المولد النبوى، وسار خلفاؤه على هذا النهج. المعجبون بمحمد بن عبد الوهاب قالوا إنه يريد العودة إلى التوحيد

فى نقائه الأول وبمعناه المجرد، أما الخصوم فقد اتهموه، وقالوا إنه صنيعة المخابرات الإنجليزية واستندوا فى ذلك على مذكرات «هيمفرى» ضابط المخابرات البريطانية الذى التقى ابن عبد الوهاب فى البصرة؛ لذا أطلق هؤلاء على حركته اسم «الوهابية الهمفرية».. والتفصيل فى هذه الجزئية يحتاج معالجة مستقلة.

وحين ظهر حسن البنا وبدأ يمارس نشاطه فى نهاية العشرينيات، كان هناك مشروع الأستاذ الإمام محمد عبده سواء فى جناحه المدنى الذى كان يمثله سعد زغلول ولطفى السيد وطه حسين، وجناحه الدينى الذى تقدمه الشيخ مصطفى عبد الرازق.. وكانت هناك بقايا الحزب الوطنى، حزب مصطفى كامل ومحمد فريد.. وكان هؤلاء جميعًا مشغولين بأمور أساسية، فى مقدمتها تحقيق الاستقلال بإنهاء الاحتلال البريطانى لمصر وإقامة دولة مدنية تحمى الحريات العامة، أى دولة بلا استبداد سياسى، يكون فيها دستور يتم احترامه، وكانوا يدعون إلى تجديد الحياة العقلية والتفكير الدينى، لكن البنا لم يشأ أن يسير فى أى تيار أو جناح من هذه الأجنحة، لقد اختار عمليًا وفعليًا أن يسير على نهج ومدرسة محمد بن عبد الوهاب، حتى وإن لم يقصد ذلك أو لم يذكر اسم محمد بن عبد الوهاب نهائيًا، هو رأى أن الأزمة فى مصر، تتركز فى أن المصريين أصابهم الشرك بالله أو الكفر.. وأن دوره هو أن يحارب ذلك الشرك ويعيد المصريين إلى التوحيد من جديد.

جاء حسن البنا إلى القاهرة من المحمودية والتحق بكلية دار العلوم سنة ١٩٢٣م، أى فى أجواء ثورة ١٩١٩م وما جرى بعدها، فى عام وصوله كان دستور ١٩٢٣م قد صدر وجرت انتخابات نيابية حرة، جاءت ببرلمان سنة ١٩٢٤م، حيث فشل فى الانتخابات رئيس الحكومة الذى أجراها وأشرف عليها، وصار سعد زغلول زعيم الأمة، رئيسًا لمجلس النواب، وكان الواقع السياسى يموج بتيارات وأفكار عديدة، وتخرج البنا سنة ١٩٢٧م عام رحيل سعد زغلول، أى مجتمع غنى، ملىء بالأحداث والشخصيات الكبيرة .. ومع ذلك دعونا نتأمل ما فى ذاكرته عن

تلك الفترة، يقول فى «مذكرات الدعوة والداعية».. (وعقب الحرب الماضية ١٩١٤م/ ١٩١٨م، وفى هذه الفترة التى قضيتها بالقاهرة، اشتد تيار موجة التحلل فى النفوس وفى الآراء والأفكار باسم التحرر العقلى، ثم فى المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصى، فكانت موجة إلحاد وإباحية قوية جارفة طاغية، لا يثبت أمامها شيء، تساعد عليها الحوادث والظروف) والواقع أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لم يعرف المجتمع المصرى موجة إلحاد جارفة.. لم نجد دعوات أو جماعات تتبنى الإلحاد، ولا حتى جماعة واحدة، ولم نعرف كذلك أن هذا المجتمع شهد موجة انحلال وإباحية جارفة وطاغية.. لم يحدث شيء من ذلك، لكن الذى حدث بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أن شبت ثورة شعبية جارفة، قادها سعد زغلول وعدد من رموز الحركة الوطنية، وملأت هذه الثورة أقاليم مصر كلها، وكان مركزها فى القاهرة، كشفت هذه الثورة عن تماسك اجتماعى قوى، وأثبتت التضحيات التى قدمها المصريون عن قوة أخلاقية ورغبة فى الفداء والاستشهاد من أجل استقلال وطنهم.. بدا هذا التماسك فى التلاحم بين المسلمين والأقباط.. الرجال والنساء.. أبناء الحضر وأهل الريف .. الباشوات وعموم المواطنين وشارك فى هذه الثورة عدد من علماء الأزهر ولعبوا دورًا مهمًا، واستقبل الأزهر الثائرين وخطب على منبره الوطنيون من مسلمين ومسيحيين[1]، لكن الغريب أن لا يجد حسن البنا فى ذلك أى شيء يستوقفه، فى باب الشعرية بالقاهرة سقط شهداء وشهيدات برصاص الإنجليز، وقامت المظاهرة النسائية التى تصدى لها جنود الإنجليز بالبنادق.. ومع ذلك يحدثنا حسن البنا عن موجة إلحاد وإباحية قوية وطاغية، لم يكن هناك شيء من ذلك، لكنه لم يكن قادرًا على أن يرى الواقع جيدًا، كان يتخيل ويتوهم أن المسلمين أصابهم ضعف العقيدة والشرك!

---

(١) راجع فى ذلك مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار «الأيام الحمراء»، سلسلة مصر النهضة ٢٠١٠م، تقديم د. أحمد زكريا الشلق.

وهذا الفهم لا يغادره، يكتب حسن البنا فى مجلة الفتح - عدد ٢٤ يونيو ١٩٢٨م مقالاً بعنوان «الدعوة إلى الله». تحدث فيه عن واقع الأمة وما تحتاج إليه، جاء فيه «لست فى حاجة إلى أن أقول: إن أمتنا المصرية - بل الإسلامية - بما تقلبت فيه من أطوار، وما مر عليها من حوادث سياسية واجتماعية استخفت بدينها وأخلاقها فتركتها كالمعلقة، لست فى حاجة أن أقول إن هذه الأمة فى أشد الحاجة إلى دعوة قوية فعالة تردها إلى رشدها، وتستهديها بهدى نبيها، وترشدها إلى معالم دينها، وتنقذها مما هى فيه من الانحلال الأدبى والفساد الخلقى. أى أن الأمة لم تعد تعرف معالم دينها وهى بحاجة إلى من يرشدها إليه ويدلها عليه، ثم يقول مؤكدًا نفس المعنى «فأنت أينما وجهت وجهك لا تجد إلا فسادًا ظاهرًا، وتهتكًا مزريًا، بل الفوضى فى العقائد والتخبط فى الآراء والمذاهب». وعلى هذا النحو يواصل الكتابة إلى أن يقول فى سخرية بالغة من دعاة التجديد والمنادين بالحريات العامة.. «ولا يغرنك قوم من الكتاب يقولون: هذا عصر مدنية وتجديد، ورقى فى المدارك والأفكار، وثقافة حرة وحرية شاملة شخصية وغير شخصية، وغير ذلك من الألفاظ التى يرصونها رصًا، وينمقونها تنميقًا، يخدعون بها البسطاء ويخلبون بردائها الضعفاء».

بعد ثلاث سنوات من ذلك المقال يكتب حسن البنا مقالاً آخر، لكنه أشمل، بعنوان «واجب العالم الإسلامى أمام ما نزل به»[1]. بدأه بالقول «توالت الاعتداءات أخيرًا على المسلمين فى كل قطر من أقطار الأرض، وكشر أعداؤهم عن ناب البغضاء، وآذنوهم بحرب بعيدة المدى..» ويحاول أن يقدم تشخيصًا للعوامل التى دفعت بالعالم الإسلامى إلى تلك الحال، وطريقة المواجهة والخروج من ذلك الموقف يقول «فاذكروا دائمًا أن أول جان على الإسلام هم أبناؤه الأغرار المفتونون، الذين تركوا مظاهره ونددوا بها، وأوروبا ترقبهم عن كثب، وتمدهم فى طغيانهم، وتشجعهم عليه بالأساليب الخفية. فقاتل الله اللادينيين من أبناء الأمة الإسلامية،

(1) راجع كتاب: فقه الواقع، مقالات تنشر لأول مرة للإمام حسن البنا، مركز الكلمة للدراسات والبحوث، ط١، سنة ١٩٩٩م.

الذين أذلوا الإسلام وأسقطوا هيبته بما انتهكوا من حرمة الخلافة، وبما أقدموا عليه من انتهاك محارم الله، فذكروا أنفسكم أيها الإخوان دائمًا بأن ملاحدة المسلمين في مقدمة خصومكم، وأن على رؤوسهم قسطًا كبيرًا من تبعة ما يقع الآن في مختلف بلاد الإسلام..» ثم يقول «ومن الواجب أن نحول دون تفشى أفكارهم الموبوءة بيننا وأن نضرب على يد من يريد أن يحسن الظن بأعدائنا»(١).

وفى ميراث الأستاذ الإمام محمد عبده لن نجد أبدًا تعبير «ملاحدة المسلمين»، واتهام الآخرين فى عقائدهم، صحيح أن حسن البنا، هنا، كان يقوم بالملاسنة على مصطفى كمال أتاتورك ومن معه، وهؤلاء أسقطوا الخلافة، حين وجدوا أن وطنهم قد تعرض للاحتلال، ولكن لم يثبت أنهم كانوا ملاحدة، ولا أنهم أعلنوا الإلحاد، لكن حسن البنا عمم الاتهام، ولم يقصره على جماعة أتاتورك، بل نقله إلى الواقع المصرى، والقاهرة تحديدًا.. أين من ذلك الإمام محمد عبده، الذى وقف بصرامة ضد تكفير المسلم، وهو الذى عمد إلى إحياء مقولة الإمام مالك - رضى الله عنه - لو أنه امرئٌ حمل على الإيمان من وجهة واحدة، وحمل على الكفر من مائة وجه، لحملناه على الإيمان، ولم يقل بما قال به حسن البنا من أن الأمة فقدت رشدها، هكذا ببساطة يتهم الأمة بأكملها؛ لذا يصعب القول إن حسن البنا تلميذ أو امتداد لمدرسة محمد عبده والأفغانى، ليس فيه شيء منهما بالمرة، هو امتداد لمدرسة محمد بن عبد الوهاب.

وما فات حسن البنا أن الاحتلال الأوروبى للبلاد الإسلامية حدث واكتمل فى ظل وجود دولة الخلافة، لكن المهم فى هذا الرأى أن المشكلة عنده ليست فى المحتل، ولا فى شيوع الاستبداد والمظالم العامة، والقضية عنده لا تبدأ بمواجهة المحتلين والمستعمرين، بل أن نواجه بعضنا بعضًا، وأن أول خصومنا هم الذين تركوا مظاهر الإسلام!!

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦

ويبدو عنده، أن ما قام به الاستعمار فى بلادنا هو عقاب إلهى لنا «إن الله بيده الأمر كله والأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، وإن الله قوى قهار لا يعجزه أن ينتزع أرض من أيدى أقوى دولة فيستخلف فيها أضعف دولة لينظر كيف يعملون، والتاريخ كفيل بذلك وشاهد عليه: فبنو إسرائيل ورثوا الأرض التى بارك الله فيها بعد أن كانوا أذل من الذل وأقل من القلة». ثم يقول «وبتأكيد واضح «أقسم لكم أيها الإخوان لو علم الله فى المسلمين من يصلحون أن يكونوا خلفاء الله فى الأرض لأرسل على مضطهديهم عذابًا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولبعث عليهم جنودًا لم تروها. وما يعلم جنود ربك إلا هو، ولخلص الأرض من أيديهم وأورثكم إياها». نفس المعنى وهو أن المسلمين لم يعودوا مسلمين.. ثم يقول «ولسنا نقصد بذلك القعود عن العمل، وإنما نريد تجديد النفوس، وتطهير الأرواح وتقوية العقائد، حتى تمتلئ النفوس بالأمل والإيمان، وحتى تندفع إلى العمل بقوة وثبات». والخلاص عنده فى هذه الجزئية «من واجبنا أن نتعرف إلى الله بما يرضيه منا، وأن نسير مع أوامره ونواهيه، فإذا رضى عنا أعاننا بنصره، وأوضح لنا سبيل الخلاص، وكان معنا على أعدائنا فأخذوا من مأمنهم، وزلزلوا فى مساكنهم، وذاقوا وبال أمرهم»[1].

ويقدم حسن البنا اقتراحًا للخروج من الأزمة موجزه على النحو التالى: «من الأحكام الشرعية أن القنوت سنة فى كل الصلوات بعد الركوع الأخير إذا نزلت نازلة بالمسلمين، وبما أن المسلمين فى هذه الأيام يواجهون كل يوم نازلة جديدة تكسرت النصال على النصال، فيلوح لى جواز تطبيق هذا الحكم فى كل المساجد الإسلامية، وفى كل الصلوات فيتفنن الأئمة فى كل صلاة بالدعاء للمسلمين بالنصر والخلاص، وبالدعاء على أعدائهم بالضعف والهزيمة، فما رأى سادتنا العلماء فى ذلك؟»[2].

(١) المرجع السابق، ص ١٦٩.
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ويتكرر ذلك الفكر لديه فى الكثير من رسائله وخطبه إلى أعضاء الجماعة، تأمل مثلاً «هذه سبيلى» والتى يقدم فيها ما يجب للأخ أن يعتقد فيه «ومن بينها» أعتقد: أن السر فى تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه. وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون»[1].

لن نجد فى كل تحليلات حسن البنا حديثًا عن التأخر العلمى، خاصة فى مجالات العلوم الطبيعية والكيمياء وغيرها، وتأخرنا فى مجال الاختراعات العلمية والنهضة الصناعية، فالذين طوروا الأسلحة الأوروبية لم يكن كلهم من المتدينين، فضلاً عن أنه لم يكن بينهم مسلم واحد.. ولن تجد فى أحاديث البنا ومقالاته شيئًا عن الاستبداد والتسلط السياسى الذى مارسه الخلفاء، خاصة خلفاء الدولة العثمانية، فقتلوا باستبدادهم الإحساس بالكبرياء داخل المواطن واعتزازه بنفسه، ولن يقول حسن البنا كما قال جمال الدين الأفغانى عجبت للفلاح المصرى حين لا يجد قوته مثلاً يخرج بفأسه ليشق رأس ظالمه، والواقع أن واقع المسلمين وتأخرهم كان شاغلاً رئيسيًا لدى الكثير من المصلحين والرواد، بدءًا من الجبرتى الذى شاهد التجارب العلمية الحديثة التى أجراها علماء الحملة الفرنسية، إلى الشيخ حسن العطار ثم رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك وغيرهم، وتعددت تشخيصاتهم وتحليلاتهم للأزمة، كما تعددت اقتراحاتهم وتباينت للخروج من الأزمة، لكن لم يكن بينهم من قال بما قال به حسن البنا، وهو أن المسلمين ابتعدوا عن دينهم، وأن الملاحدة زادوا بينهم، وأنهم هجروا معنى التوحيد الدينى.

وحين تكون مشكلة المجتمع وقضايا الوطن محصورة فى المواطن ذاته، أو الإنسان المسلم، الذى لم يعد مسلمًا بالمعنى الصحيح، يصبح من الطبيعى أن تسعد سلطات الاحتلال بهذا التفسير، فالمشكلة هنا لا تصبح فى الاحتلال ولا فى المحتلين،

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٥.

بل فى المواطنين ذاتهم (المسلمين)، وهذا ما كان يراه لورد كرومر نفسه، ولكن بطريقته هو .. ولذا ليس غريبًا ما تردد عن مساندة الإنجليز والسلطات البريطانية لحسن البنا وجماعته فى البداية، لا نقول إنهم كانوا عملاء للاحتلال، لكن فكرة البنا، من الناحية العملية تدعم الاحتلال وتبقى عليه، أو على الأقل تصرف الجهد والتفكير عن مقاومته والتصدى له، بل تجعل هذه الفكرة - عمليًا - خصوم الاحتلال ومقاوميه، خصوماً لها، فهى تعتبرهم علمانيين، ومن ثم لا تصبح مقاومة المحتل بطولة ولا فضيلة.. وحين تتحدث الوثائق البريطانية عن مساعدات وأموال بريطانية دفعت إلى البنا وجماعته، فلا بد أن تصدقها بضمير مستريح.

وحين تكون المشكلة فى المواطن ذاته، أنه ابتعد عن دينه ويجب إعادته إليه، وليست فى الاستبداد السياسى ولا فى الظلم الاجتماعى، فإن السلطة المستبدة تسعد بمن يقول ذلك وتفتح له ذراعيها، ويرحب به رموز القهر الاجتماعى من محتكرين وكبار الملاك، وفى الأغلب فإن من يقول ذلك لن يتخذ موقفًا من السلطة، أقصد موقفًا مناوئًا أو معارضاً، ولا حتى موقف الجدل معها على أرضها؛ ولذا يجد مساندة من السلطات الحكومية، ولعل هذا يفسر لنا أن حسن البنا لم يتخذ موقفًا رافضًا ولا حتى ناقدًا لأى حكومة حتى اغتياله سنة ١٩٤٩م، كان مؤيدًا ومناصرًا للجميع، لقد توقف الباحثون عند تأييد جماعة البنا لرئيس الوزراء إسماعيل صدقى سنة ١٩٤٦م وهتاف طلاب الإخوان بالجامعة له، مرددين الآية القرآنية الكريمة التى تتحدث عن سيدنا إسماعيل ابن أبى الأنبياء إبراهيم، وفى الحقيقة هم لم يؤيدوا صدقى باشا وحده، أيدوا كل رئيس حكومة، سواء كانت حكومة القصر أو حكومة الأقلية أو الوفد . أيد البنا على ماهر ومصطفى النحاس ومحمد محمود والنقراشى وصدقى ولا يمنع الأمر من الانقلاب على رئيس الحكومة بمجرد أن يغادر موقعه؛ لذا ليس مصادفة أن البنا استفاد وكسب من كل رئيس حكومة، وليس غريبًا ما تحدث عنه د. محمد حسين هيكل فى مذكراته من أنه وهو وزير المعارف حين نقل

حسن البنا من القاهرة إلى قنا، وهو أمر بسيط، نقل مدرس ابتدائى من محافظة إلى محافظة، يحدث بيسر وسهولة فى الوزارة، كما يقول د. هيكل، لكن فى حالة البنا فوجئ بنواب الأحرار الدستوريين فى البرلمان (الحزب الذى ينتمى إليه د. هيكل) يتحدثون مع وزير المعارف فى ضرورة إعادة المدرس إلى القاهرة ثانية. لم يوضح د. هيكل دوافع هؤلاء الدستوريين، لكن صحف ذلك الزمان تكشف السر، فقد كان أعضاء الجماعة يحتشدون ويحشدون لمساندة هؤلاء النواب فى الانتخابات البرلمانية، كل فى دائرته إنها حالة من الانتهازية السياسية مغطاة بغلاف من العمل على نصرة الدين.. فحين يكون الهدف رد الناس إلى دينهم، فإن السلطة ورجالها تنظر بارتياح وعدم قلق إلى من يقول بذلك، والقائل نفسه لن يجد غضاضة فى التصفيق لأى سلطة.. وأن يستفيد منها قدر المتاح ولا يدخل فى صدام معها، وهكذا كانت حال حسن البنا؛ لذا انتشرت جماعته وأنشأ حولها جيشًا مسلحًا، دون اعتراض من أحد.

وإذا كان الهدف رد الناس إلى صحيح العقيدة الدينية، فلا مجال للحديث عن تعددية سياسية ولا عن سيادة القانون والدستور، ويصبح الحديث عن الحريات العامة، فضلاً عن الحريات الخاصة، ومنها حرية الاعتقاد نوع من الهرطقة يدان المطالب بها ويدان من يسعى إلى ممارستها، ذلك أن رد الناس إلى العقيدة يقتضى نوعًا من الضغط والعنف، ومن ثم لا معنى لحرية التفكير هنا وحق الاختيار، بل الترحيب كل الترحيب بالسطات التى تمارس القمع على هؤلاء المواطنين؛ لذا لا غرابة فى أن حسن البنا وجماعته، حرصوا - حتى اغتيال البنا - على تقديم صورة الملك فاروق، باعتباره الملك المتدين.. التقى الورع .. الذى يجلس مستمعًا فى إنصات وتواضع لقراءة القرآن الكريم، خاصة فى شهر رمضان.

لهذا كله يصعب مرة ثانية أن نعتبر حسن البنا امتدادًا لجمال الدين الأفغانى. ولا هو تجليًا من تجليات أفكار الأستاذ محمد عبده، بل هو نقيض كامل لهما، هو

امتداد لمدرسة ومنهج محمد بن عبد الوهاب، مع فارق مهم، هو البعد المكانى واللحظة التاريخية، ربما كان المجتمع النجدى فى منتصف القرن الثامن عشر يسمح لابن عبد الوهاب بطرح أفكاره، يتحدث البعض عن شيوع تقديس بعض الأشجار وبعض المقابر هناك، ويتحدثون عن أن ظاهرة الغلمان كانت شائعة ومنتشرة فى ذلك المجتمع، على نحو مستفز ومهين لأبسط معانى الإنسانية، ناهيك عن البعد الإسلامى، ويقولون إنها كانت تتم بصورة شبه علنية، لكن مكونات المجتمع المصرى، فى الربع الثانى من القرن العشرين تختلف كثيرًا. مجتمع البادية يختلف تمامًا عن المجتمع النهرى الزراعى وعن المجتمع الحضرى والمدنى. وحين جاء حسن البنا من المحمودية إلى القاهرة ثم إلى الإسماعيلية لم يتمكن من استيعاب وفهم المجتمع القاهرى، ولم يكن لديه الاستعداد لذلك، ولم تكن لديه الثقافة الدينية المتعمقة التى تجعله يتريث فى إطلاق الاتهامات والطعن فى معتقدات الآخرين، كما لم تكن لديه الثقافة الحديثة التى تجعله يهتم بدراسة المجتمع وتعمق مشكلاته.. وكان من المعيب فى بلد الأزهر أن يخرج من يتشكك فى مدى إيمان ومعتقدات أهل هذا البلد. لكن هذا ما فعله حسن البنا ومن تبعه.

الفصل الحادي عشر

أنا الدعوة والدعوة أنا

«يجب أن يكون الإيمان بالفكرة وصاحبها معًا»

حسن البنا

«من كان يعبد محمدًا فإن محمداً قد مات

ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت»

أبو بكر الصديق

تباينت الآراء فى شخصية حسن البنا تباينًا شديدًا، حدث ذلك فى حياته وبعد مماته، رفعه إخوانه ومريدوه إلى عنان السماء، ومنحوه من الصفات والألقاب ما لم ينل بعضها كبار صحابة رسول الله، تجد كلاً من الصحابة حمل صفة عرف بها وميزته، أول الراشدين أبو بكر هو «الصديق» وعمر بن الخطاب هو «الفاروق»، أما عثمان بن عفان فهو «ذو النورين». وابن عم الرسول على بن أبى طالب هو «الإمام» هذا ما منحته جماعة المسلمين الأولى لأشخاص لازموا رسول الله، هم رموز الإسلام، أما حسن البنا فهو العالم الربانى .. الرجل القرآنى.. الملهم الموهوب.. أستاذ الجميع فى كل شيء.. إمام أنقذ أمة.. وهكذا تتوالى الصفات والألقاب.

أما خصومه فقد منحوه ألقاب مقابلة، منها: الدجال المشعوذ .. بلا مبدأ يتخالف مع الكل.. وحين انشق عليه أحمد السكرى رفيق دربه لم يتردد فى أن يصفه بـ الكذاب. وقال عنه عدد من الكتاب الوفديين، وبينهم كُتاب لا يستهان بهم بأنه «راسبوتين» مصر. أما العقاد فقد انهال عليه بطريقته الحادة والعنيفة ليجرده من كل

شيء، حتى من جذوره الإسلامية. إذن أين حسن البنا بين هذين الفريقين؟ وكيف نفهمه؟ أقصد نفهم شخصيته وبناءه النفسى والإنسانى ورؤيته لذاته.. ويحاول البعض أن يفهم حسن البنا ويحاسبه وفقًا لمفاهيم لم يعتنقها حسن البنا نفسه ولا آمن بها، مثل التساؤل أو القول هل كان ديمقراطيًا؟!، فلنحاول أن نفهمه فى إطار ظروفه الخاصة وقناعاته التى ارتضاها لنفسه وعمل عليها طوال حياته.

حسن أحمد البنا، ابن أسرة مصرية بسيطة ، ولد فى مطلع القرن العشرين، وقد روى والده وهو يرثيه أنه دخل البيت مرة، حين كان حسن لا يزال طفلاً صغيرًا، ينام بجوار والدته، ووجد حية قريبة من رأسه، لعله كان يقصد ثعبانًا، وظهور حية على هذا النحو يكشف المدى المتواضع فى البيت، ونال قسطًا محدودًا من التعليم، لم يتمكن من دخول الأزهر لأنه لم يتمكن من حفظ القرآن الكريم، وكان ذلك هو الشرط الوحيد لدخول الجامع والجامعة العريقة، ثم درس فى تجهيزية دار العلوم، فى ذلك الوقت كان هناك ثلاثة مستويات للدراسة بدار العلوم، أدناها أو أضعفها علميًا كان التجهيزية التى درس بها حسن البنا، وهو كذلك لم يهتم بمتع الحياة العادية من مأكل وملبس ومسكن، حكى محمود عساف إنه كان عائدًا معه ذات مساء من مقر المركز العام، وكان بيت عساف قريبًا من بيت المرشد، فسارا معًا وما أن اقترب من بيت المرشد، حتى قال له إن زوجته وأولاده ذهبوا إلى الإسماعيلية لزيارة خالهم وأنه يبيت وحده الليلة، ودعاه إلى المبيت معه، ففوجئ عساف أن المنزل مفروش بالحصير، ليس فيه سجاد، وارتدى واحدة من بيجامات المرشد، ولما تهيأ للنوم قال له الأخير إن هناك غرفة بالمنزل فيها سريران، يبدو أنها غرفة الأطفال، وقال له إنها مليئة بالبق؛ ولذا الأفضل أن ينام إلى جواره فى سريره، وهكذا حياة بسيطة وفقيرة إلى أقصى حد.. وكان تحت تصرفه أموال الجماعة التى ازدادت وربت وكان يدفع رواتب وإعانات ثابتة للبعض، مثلاً ذكرت مرة السيدة جيهان السادات فى حوار معها إن حسن البنا كان يرسل مبلغًا ثابتًا كل شهر إلى «إقبال» أى زوجة السادات الأولى، وقد ذكر

السادات، نفسه، هذه الواقعة بعد قيام ثورة يوليو، وذكر محمود عساف إنه كان يدفع مكافآت ثابتة لعدد من المخبرين الذين كان يزودهم بمعلومات يقدمونها لجهات الأمن، ومع ذلك لم يقترب حسن البنا من هذا المال فى حياته الخاصة، صحيح أن أحمد السكرى تساءل ذات مرة كيف ينفق حسن البنا على ثلاثة بيوت. ومن أين له ذلك.. «بيته هو» فضلاً عن بيت الوالد والوالدة ثم إخوته.. لكن الواقع أن السكرى قال ذلك تحت الغضب، فهناك بعض إشارات إلى أن أسرة زوجته، «عائلة الصولى» بالإسماعيلية كانت تساهم ماليًا فى بيت ابنتهم زوجة حسن البنا.

وفى إدارته للجماعة كان قابضًا على كل شيء، وينشغل بكل كبيرة وصغيرة، حين انشق عليه جماعة شباب محمد، وكذلك أحمد السكرى وجهوا إليه اتهامات بأنه لا يعمل بمبدأ الشورى، وأنه يعلن أن الشورى اختيارية للحاكم أو القائد، يعملها أو لا يعملها، أى ليست ملزمة له، وأنهم ضجوا من أسلوبه، ولكن يبدو أن الأمر كان أكبر من ذلك وبمنطق آخر لديه، يكشفه محمود عساف فى مذكراته، حيث يقول «كان الإمام الشهيد إذا وقع اختياره على شخص ما ليكون مساعدًا له أو أمينًا على سر من أسرار الدعوة، يختبره أولاً فى إخلاصه وصدقه، ثم يتبين له بالتجربة معه ما إذا كان صالحًا أو غير صالح للعمل الذى يوكل إليه، فإذا نجح يختبر مرة أخرى ليتعرف على قدرته على تحمل المسؤولية وعلى الإخلاص والصدق فى النصيحة»(1).

ثم يقدم عساف تفاصيل الاختبار «كان يسأل الشخص المرشح سؤالاً: هل إذا حدث انقلاب فى الإخوان وأبعد حسن البنا، هل تظل تعمل فى الجماعة؟» ثم يقول عساف «كان هذا السؤال يلح عليه حيث انشق بعض الإخوان من قبل معارضين فكر الجماعة، مثل شباب محمد وغيرهم». ويعلق محمود عساف على موقف هؤلاء المنشقين بالقول: «لم يحس أمثال هؤلاء بمدى تجسيد الدعوة فى شخص حسن البنا وما أتم به خلقه الرفيع وسلوكه السوى المتزن. ومن كان مثلهم فإنه يجب بأن

(1) محمود عساف، مرجع سابق، ص ٦١.

الدعوة باقية، وحسن البنا زائل ولعل هذا يكون ردًا معقولاً لصاحب التفكير السطحى. فيقول له الإمام: وماذا لو حدث ذلك فى حياة حسن البنا؟».

والواضح، من كلمات محمود عساف، أن حسن البنا كان يتخوف من حدوث انقلاب عليه من داخل الجماعة.

ترى هل يمكننا القول إن ذلك التخوف الذى داخله، هو ما جعله يبالغ فى سرية التنظيم الخاص، حتى أنه أخفى أدق أموره عن كثيرين داخل الجماعة، بمن فيهم بعض المقربين منه، وأن اختبارات السرية والولاء الشخصى له، كان من ورائها الاطمئنان التام لهم، وأنهم يمكن أن ينفذوا ما يأمرهم به، ذات يوم، حتى لو كان ضد أقرب المقربين، هل خطر فى بال حسن البنا أنه قد يضطر يومًا أن يستعين برجال التنظيم وعملياته الإرهابية ضد من يمكن أن يتمرد عليه داخل الجماعة وخصمًا له، وأنه لم يستبعد ذلك، وأن مهام التنظيم لم تكن تصفية خصوم الداعية والدعوة خارج الجماعة وفى الحياة العامة فقط، بل تصفية الخصوم داخل الجماعة، إذا ظهروا يومًا ما..

عمومًا يبدو أن ذلك التخوف الذى يشير إليه محمود عساف صراحة، هو ما جعل المرشد العام، بكل ما لديه من قدرة على التحدى والمراوغة يسلم بكل مطالب جماعة شباب محمد، حين هموا بالانفصال عن الجماعة، إذ وافق على إعطائهم «مجلة النذير»، كان يريد أن يتخلص منهم سريعًا، حتى لا يتحولوا إلى عدوى تنتشر داخل الجماعة، خاصة أن ملاحظاتهم عليه كانت مخيفة، ولم يكن بمقدوره الرد عليها، كانوا يرون ويعرفون كل ما يقوم به، خاصة فى تعاملاته وعلاقاته السياسية، ولم يستطع الرد عليهم أو مواجهتهم، كانت الوقائع كاملة لديهم، وكانوا شهوداً عليها.

غير جماعة شباب محمد كانت هناك مشكلة أخرى مع أحمد السكرى الذى كان الرجل الثانى فى الجماعة، وكان شخصية قوية، وله أنصار داخل الجماعة، ولم يكن موافقًا على «العداء الصليبى» الذى يحمله حسن البنا للوفد، وكان يرى أن هذا العداء لصالح أطراف أخرى مثل الملك والإنجليز، وكان رأيه أن يتفرغ البنا للدعوة

وللجماعة ويترك له هو المجال السياسي، وهذا ما لم يكن يقبل البنا مجرد التفكير فيه؛ لذا تربص به البنا في واقعة عبد الحكيم عابدين، كان السكرى على رأس المطالبين بطرد عابدين من الجماعة، لكن البنا رد بفصله نهائيًا من كل مستويات الجماعة، ويبدو أنه قرر أن يجعل الولاء له جزء من الإيمان والولاء للجماعة، ويشرح محمود عساف تجربته في هذه الجزئية، حين قرر حسن البنا أن يختاره معه" أمينًا للمعلومات ومطلعًا على أسرار النظام الخاص". فطرح عليه السؤال نفسه، حول ماذا لو حدث انقلاب على حسن البنا وكانت إجابة عساف "إن دعوة الإخوان المسلمين بغير حسن البنا ستكون شيئًا آخر غير دعوة الإخوان التي تعلمناها وعرفناها وتربينا فيها". ولم تكن الإجابة كافية للمرشد، لكنها لم تكن سلبية، لذا راح يشرح له وجهة نظره أو يقدم نظريته في ذلك "انظر يا محمود .. إن الإيمان بالإسلام يقوم على شهادتين: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولا تصلح الشهادة الأولى وحدها ليصير الشخص مسلمًا. ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم يتجسد الإسلام في شخصه، ويمكن الإحساس به في خُلقه وسلوكه ﷺ . فإذا آمن الشخص بألا إله إلا الله، ولم يؤمن بأن محمدًا رسول الله، فهو كأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله فقط، ولا يعترفون برسول الله ﷺ"[1].

وما ينطبق على الإسلام ينطبق على الجماعة أو الدعوة كما كان يسميها، وما يتعلق برسول الله ﷺ في الدين يتعلق به هو أيضًا في الجماعة، إذ يقول "يجب أن يكون الإيمان بالفكرة وصاحبها معًا، فلسنا جمعية ولا تشكيلاً اجتماعيًا. إن كنا كذلك فلا أهمية للقائد، ويمكن أن يكون أيًا من أعضاء الجماعة أو الجمعية أو التشكيل. أما ونحن دعوة فلا بد من الإيمان بها والسير على نهج داعيتها والعمل على تطبيق أفكاره حتى انتفعنا به عن رضا"[2].

(١) محمود عساف، ص ٦٢.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

ولعل هذا يفسر لنا إصرار حسن البنا على رفض الحزبية والأحزاب، فللحزب رئيس ينتخب لفترة محددة، ثم يعاد انتخابه وقد يتقدم غيره عليه، وهو معرض لأن يختلف معه الأعضاء، أما حين تكون المسألة دعوة وداعية، فلن يكون خروج عليه دون الكفر، ولذا أطلق على مذكراته «الدعوة والداعية» وربط بينهما تمامًا وجعل كل منهما مكملة للأخرى، فلا دعوة بلا داعية، ومن الناحية العملية تصبح الدعوة هى الداعية أو مجسدة فيه، وهذه الفكرة من الناحية الإسلامية تنتمى إلى الفقه والفكر الشيعى فى المقام الأول، وما قاله البنا للصباغ يذكرنا بما كان سائدًا فى الحزب الشيوعى السوفيتى زمن ستالين تحديدًا، فقد كان الإيمان بزعامة ستالين تساوى الإيمان بالنظرية الماركسية والعكس صحيح.

والواقع أن حسن البنا لم يكن رجل فقه ولا فكر، بل كان رجل عمل وحركة فى المقام الأول، هو فى الميدان دائمًا، وما يقوله عن تجسد الدعوة فى شخص الداعية نكتشفه فى مذكراته، حين قرر أن يختار نائبًا له فى الإسماعيلية يحل محله إذا ما انتقل إلى القاهرة، وكان الإخوان يلحون عليه فى ذلك، يقول «رأيت الفكرة وجيهة، فشغلتنى حينًا، وأخيرًا رشحت لهذه المهمة أحدهم، وهو الأخ الشيخ على الجداوى، وهو من أفضل الإخوان خلقًا ودينًا وعلى قدر مناسب من العلم والمعرفة، حسن التلاوة لكتاب الله، جيد المشاركة فى البحث، دائم الدرس والقراءة، مع أنه من أسبق الناس استجابة للدعوة ومن أقربهم إلى قلوب الإخوان»[1].

والواضح أن هذه الصفات كلها حددها وقررها البنا نفسه، لكن كان هناك من لم يسترح لهذا الترشيح والاختيار ، فالشيخ الجداوى «نجار» وطلب إليه المرشد أن يترك مهنته ويتفرغ ليكون إمامًا لمسجد الإخوان. «فيقول المرشد» أؤمن بفائدة التفرغ للعمل «وتقرر أن يمنح مكافأة شهرية تكفيه من «مال الدعوة».

(١) راجع مذكرات الدعوة والداعية، ص ١٥١.

المرشد يختار ويقرر وحده ويهاجم من يعترض، وكان هناك من أبدى اعتراضًا على اختيار المرشد، أى على الشيخ الجداوى ويقوله هو عن ذلك الذى اعترض «هو يرى نفسه أكفأ وأعلم وأقدر وأكثر أهلية لهذا المنصب من هذا النجار؟ وأين الشيخ على الجداوى فى علمه وموهبته من فضيلته، وهو يحمل شهادة العالمية من جهة ويحسن قرض الشعر ويجيد الخطابة والقول ويعرف كيف ينشر الدعوة ويتصل بالناس..»[1].

اعترض هذا الرجل، وطعن فى اجتماع الجمعية العمومية، ووجد بين أعضاء الجماعة من يناصره فى موقفه، فاعتبره المرشد متآمر وأنه ومن معه يحدثون فتنة فى الجماعة، والواضح أن الشيخ الجداوى نال ثقة المرشد، بينما الآخر لم يكن يتمتع بهذه الثقة، رغم أن الشروط الموضوعية تقول إنه الأصلح وربما الأكفأ.. ولو أن المرشد لم يكن استبداديًا ولا متسلطًا ولا يوحد الدعوة فى شخصه، لفتح باب الترشيح أمام الجميع ولوضع شروط للمرشح، لكنه اختار وقرر ثم عرض الأمر على الإخوان ونال موافقتهم، إنه تصرف دكتاتورى بحت، ولننظر كيف تعامل المرشد مع المعترضين وكيف يتحدث عنهم. يقول «لم أرد أن أؤاخذهم بقسوة، أو أعاجلهم بعقوبة، أو أباعد بينهم وبين إخوانهم بإقصاء، أو فصل، ولكنى آثرت التى هى أفضل وأجمل»[2].

سوف نلاحظ أنا «الأنا المنفردة» حاضرة هنا بقوة، فهو الذى يقسو ويعاقب وهو صاحب قرار الإقصاء والفصل، لن نجد مجلسًا للإدارة أو للشورى يتخذ القرارات أو جمعية عمومية، ولن نسمع منه أن هناك تحقيقاً ومحققين يحال إليهم هؤلاء الأعضاء، ولا شؤوناً قانونية تتولى الأمر، هناك شخص واحد فقط .. سلطة واحدة .. قرار واحد، يتخذه المرشد حسن البنا.

(١) المرجع السابق، ص ١٥٢.
(٢) المرجع السابق، ص ١٥٤.

سوف نجد ما يثبت اقتناع المرشد وحرصه على أن يمسك بكل الأوراق بين يديه، فى رسالة من رسائله، تعود إلى ٢٤ من صفر ١٣٥٨هـ، ٣ أبريل ١٩٤٠م، بعث بها إلى «أخى الحبيب أحمد أفندى» ويتحدث إليه باستفاضة على الورق قائلاً «سألتنى لماذا؟ ولماذا لا أتفرغ للمهمات الأهم وأدع المهمات الصغيرة ..إلخ! ومثل هذه الأسئلة تثير فى نفسى شجنًا كامنًا وألمًا دفينًا. ليس أحب إلى نفسى من هذا التفرغ ولكن هذه المهام الصغيرة نفسها هى الآن مشكلة دعوة الإخوان ودارهم ومحور حركتهم إذا لم ألاحظ المطبعة والجريدة والدار والنظافة والاستقبال وحسن النظام فمن يلاحظ هذا؟!».

ويحاول حسن البنا أن يتوسع فى الإجابة ليقول لأحمد أفندى «أنا أعلم جوابك ستقول لى (أنا) أو مثلى، جميل جدًا». ثم يواصل الشرح والإضافة «أحب أولاً أن نتفق على أهمية هذه الشؤون الصغيرة التى نراها نحن فعلاً صغيرة فالأذان ليس إلا جزئية من جزئيات الدين الهينة ولكنه يقاتل عليه وإذا لم يجد الإمام مؤذنًا فهو المؤذن - أليس كذلك؟ - ونحن نريدها دار يسودها النظام وعملاً تهيمن عليه الدقة». ثم يضيف «وأحب أن نتفق أيضًا على أن الموظف وحده لا يكفى للقيام بهذه الأمور لأنه يحتاج إلى من يراقبه لأمرين: لقلة الاهتمام المركز فى نفوس الناس جميعًا ولقلة الدراية والخبرة والكفاءة، وإذن فلا بد من رأس دقيق يشرف على كل هذه الشؤون»[1].

نحن نجد رجلاً مشغولاً بالتفاصيل ويرى أنه هو وليس أحد غيره يتابعها ويشرف عليها، وعنده لا تقل الفروع أهمية عن القضايا الرئيسية، ومظاهر الدعوة لا تنفصل عن جوهرها، ولا بد من رأس يشرف ويتابع كل هذا، والمعنى أنه هو ..

---

(١) د. عبد العظيم المطعنى: ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية، ص ٧١، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٩م. ولم يحاول د. المطعنى القيام بدراسة هذه الرسائل وتحقيقها لمعرفة أسماء وشخصيات من تبادل معهم البنا هذه الرسائل وما تشير إليه تلك الرسائل من قضايا.

ذلك الرأس، والأخطر من ذلك أن المرشد يكشف عدم ثقة بالآخرين، حتى الموظف المعين لعمل ما، لا بد من مراقبته، ليس شكًا فيه، لشخصه، لكن لأن الناس جميعًا- كذا - يتمتعون بقلة اهتمام، وذلك متركز أو مترسب فى نفوس الناس جميعًا، وكأنهم خلقوا هكذا، وهم أيضًا بلا دراية ولا خبرة، ولا بد أن يكون هناك شخص وإنسان استثنائى، يختلف عن الناس جميعًا ويتميز عليهم جميعًا، وهذا الرجل الاستثنائى - هنا - هو المرشد، سوف نلاحظ أنه يقطع فى رسالته أن أحدًا لا يمكنه القيام بتلك المهام سوى واحد من اثنين، المرشد ومن يتحدث إليه، وأتصور أنه ذكر من يتحدث إليه من باب المجاملة أو اللباقة فى الكلام، لكن تفاصيل الرسالة تقول إنه هو وحده الذى يجب أن يجمع كل الأمور بيديه، أمور الدعوة وحتى الإشراف على شؤون مقر الجماعة!! إنها مرة ثانية تجسد الفكرة والدعوة كلها وأمور الجماعة فى شخص واحد فقط.

★★★

حين وقع الخلاف داخل الجماعة بين المرشد الثانى المستشار حسن الهضيبى وعدد من رجال الإخوان، انفصلوا عن الجماعة، وتحديدًا قام المرشد الثانى بتوقيع قرار فصلهم، فى البداية كانوا أربعة وكان من بينهم الشيخ محمد الغزالى، الذى كتب منددًا بالمرشد الثانى وبطانته، كتب الشيخ الغزالى «قال لى ذات يوم، واحد من أقرب رجال المرشد إليه: إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة، ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول ﷺ إلى الإيمان بذاته - جل شأنه؟ ذلك لأن المظهر العملى للطاعة والأسوة هو فى اتباع القائد اتباعًا مطلقًا!!» [1]، ويواصل الشيخ الغزالى القول «استدرك محدثى يقول: لا أعنى بهذا أن أسوى بين المرشد والرسول فى حقيقة الطاعة، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذى يحمل راية الدعوة، فأنا أضرب مثلاً فحسب» [2].

---

(١) راجع: محمد الغزالى: من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث، ص٢٤٦.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ويذكر الشيخ الغزالى واقعة أخرى وقعت فى أحد المساجد «من المضحك أو المبكى أن يخطب الجمعة فى مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يذكر أن الولاء للقيادة يكفر السيئات وأن الخروج عن الجماعة يمحق الفضائل، وأن الذين نابذوا المرشد العام عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة»(١).

كان الشيخ الغزالى يذكر هذه الوقائع من باب التنديد بالمستشار حسن الهضيبى، لكن الواقع أن الهضيبى لم يكن مسؤولاً عن هذه الأفكار، ولا هو الذى بثها فى أتباعه، لأن هؤلاء الأتباع تربوا فى الجماعة وكانوا فيها قبل أن يصبح الهضيبى مرشدًا عامًا، ولم يكن الهضيبى صاحب كاريزما أخّاذة حتى يؤثر فى الأعضاء على هذا النحو خلال عامين فقط، هؤلاء تربوا فى مدرسة حسن البنا وتشربوا آراءه وأفكاره، وما ذكره أحد المقربين من الهضيبى للغزالى وإن لم يذكر اسمه، هو نفس الذى سمعه محمود عساف من حسن البنا، قبل ذلك بسنوات وربما بالحرف وبالكلمة، والمعنى أن هناك مناخاً عاماً فى الجماعة خلقه حسن البنا من تفرد المرشد بكل شيء، وأكاد أقول تقديسه، إنها السلطة المطلقة، حين تلتفح بآراء وبأفكار دينية، وتنتهى عمليًا أن تتم مساواة المرشد بالرسول ﷺ، فإن كان الإسلام لا يصح بدون الشهادة بنبوة محمد وأنه رسول الله، فكذلك لا يصح الانتماء إلى الجماعة واعتناق أفكارها، إلا بالإيمان بشخصية المرشد العام، وسوف نجد أنهم لا يستعملون للحديث عن الجماعة، مصطلح الجماعة، بل يقولون «الدعوة» رغم أن هذا المصطلح ينسب تاريخيًا إلى رسول الله ﷺ، وظلال المعنى تبقى فى النفس حتى وإن استعمل المصطلح فى غير سياقه.

ونعرف من مذكرات د. عبد العزيز كامل أن المرشد الثانى حسن الهضيبى، هاله ضعف المستوى الثقافى والفقهى الذى عليه معظم أعضاء الجماعة، وأنه لذلك استعان

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

بالشيخ محمود شاكر ليعلمهم ويثقفهم، فلم يوقروه، ولم يحتمل هو جهلهم، فتركهم يائسًا منهم، متخليًا عن المهمة التى أراد منه المستشار القيام بها، هؤلاء كانوا هم من «اختارهم ورباهم» حسن البنا بنفسه..

والواقع أن نفر من المحيطين بحسن البنا تشربوا كلامه عن نفسه وأوغلوا فى نهمه، حتى لم نجد أحدًا منهم يوجه كلمة انتقاد واحدة للبنا، لم يشعر أى منهم أنه ارتكب خطأ ولو صغيرًا، يهاجمون عبد الرحمن السندى وما قام به، وينسون أن حسن البنا هو الذى صنع السندى وأطلق يديه، قد يكون ارتكب بعض الشطط، لكن البنا هو من وضعه على الطريق وأطلق له العنان.. وإذا كنا وجدنا كتابًا للأطفال عن البنا يحمل عنوان «حسن البنا .. مؤسس الدعوة الإسلامية» فهذا يكشف نظرتهم إليه، ولنتأمل أحد أعضاء التنظيم الخاص، وهو أحمد عادل كامل وهو يصف حسن البنا يقول «لم يكن رضى الله عنه بالطويل ولا بالقصير وإن كان إلى القصر أقرب. ولم يكن بالرفيع ولا بالسمين وإن كان ممتلئًا ربما، ولم يكن أبيض ناصع البياض ولا أسمر بيّن السمرة ولكنه كان سواء بين ذلك»[1].

ثم يقول أحمد عادل كامل «لم يكن فيه أى شيء غير عادى.. ولكنه وبكل تأكيد كان فيه سر غير عادى ليس من السهل أن تدرى ما هو»[2].

هذه اللغة وتلك المفردات ليست معاصرة، لكنها تذكرنا بكتاب السيرة فى زمن البعثة النبوية، حين كان يصف بعضهم رسول الله ﷺ أو بعض الصحابة، لكن عصرنا مختلف، لم يعد مقبول أن نقول عن أحد إنه ليس بالطويل ولا بالقصير، فلدينا مقاييس الآن تحدد الطول .. متوسط الطول.. أميل إلى القصر وهكذا.. بل الأدق من ذلك كله أن يذكر طول الشخص طبقًا للقياس، وهو المتبع، فنقول طوله ١٧٠ سنتيمتراً مثلاً.. ثم يقول عنه «ليس فى الإسلام واسطة بين العبد وربه وليس فيه

(١) راجع: أحمد عادل كامل: النقط فوق الحروف، صفحة ٧٨، ط ٢، سنة ١٩٨٩م.
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

كهنوتية، وليس عندنا رجال دين يغفرون للمذنبين ويبيعون فدادين الجنة للصالحين، ولكننا إزاء «إمام» قل نظيره بين أئمة الهدى النادرين فى أرض مات أحياؤها وضل أصحابها». ويصل إلى القول «ولقد كان موفقًا يوم اختار لنفسه لقب (المرشد العام للإخوان المسلمين) فقد كان يهدى حقًا إلى الرشد»[1]. وليت ذلك الأخ تذكر قول الله تعالى لرسوله الكريم «إن الله يهدى من يشاء»، لكنه لا يتذكر ولا يتوقف! إذ يقول عن حسن البنا كذلك «..يصغر الواحد منا فى نفسه كثيرًا ويحس أنه لا شيء أمام عملاق ضخم صنعه الله على عينه واصطنعه لدعوته فلا يجد أحدنا حرجًا ولا غضاضة أن يقر أنه فى حاجة إلى هذا الرجل ليرشده»[2].

هذا مجرد نموذج من الكتابات عن حسن البنا، لا أريد أن أتوسع فيه، عند أحمد عادل كامل وعند آخرين من إخوانه، تشعر معها أنك بإزاء حالة من التأليه، وأنهم يريدون تنزيه شيخهم وإمامهم عن كل ما هو إنسانى، «والحقيقة أن حسن البنا يتحمل جانبًا كبيرًا من المسؤولية عن هذا كله، فكل الذين حاولوا إبداء آراء مخالفة لآرائه أطاح بهم خارج الجماعة بسرعة شديدة وقسوة بالغة، كما فعل مع أحمد السكرى ود. حسن إبراهيم وآخرين، ولم يبق حوله إلا أولئك الدراويش والمريدين.. المنبهرين الذين لا يملكون سوى الانبهار به والتسبيح بفضائله وكأنه نبى مرسل من عند الله وليس فردًا حاول أن يجتهد فيصيب ويخطئ.

ولأن الشيخ البنا كان محاطًا بمجموعة من المبهورين أو المنسحقين أمامه، ومعظمهم كانوا شباباً صغارًا، وبلا عمق أو تفقه فى علوم الدين، فلم يجد من ينبهه إلى خطورة ما يقوم به وما يفعله، صحيح أن الله تعالى جعل شهادة أن لا إله إلا الله تكتمل بشهادة أن محمدًا رسول الله، لكنه لم ينتبه إلى عدة أمور، أن الشهادتين تؤسسان ديانة وتقيمان عقيدة، وأن محمدًا ﷺ حين طلب من أتباعه الشهادتين لم يكن

(١) المرجع السابق، ص ٨٥

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة

يأتي بشيء من عنده ولا من هواه ولا كان يريد زعامة لنفسه، بل كان ينفذ أمرًا إلهيًا، نزل به الوحى وسجله القرآن الكريم فى أكثر من آية..

وقد تعرض المسلمون لاختبار قاس فى هذا الصدد، شاء الله به أن توضع النقاط على الحروف، فحين توفى رسول الله، أخذ الحزن بمجامع المسلمين، ولم يتصور بعضهم أن يغادرهم النبى، هكذا بسرعة، فلم يكن النبى حين انتقل إلى الرفيق الأعلى عجوزًا ولا كان مسنًا، كان مريضًا وكانوا ينتظرون له الشفاء من الله، وكانوا يتوقعون الشفاء العاجل، لكن حل قضاء الله، فغضب من غضب، ووجدنا عمر بن الخطاب يحمل سيفه ويعلن: من قال إن الرسول مات ضرب رأسه بسيفه، وكادت أن تحدث الفتنة، إلى أن جاء أبو بكر الصديق.. الحكيم الحاسم، والذى رافق الرسول طوال رحلته وتشرب روح الدين والعقيدة، فوقف يخاطب المسلمين فى صلابة، ويضع مبدأ ناجعًا.. من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات.. ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت.. والمعنى أن الإيمان بالله باق وأن المطلوب فى الشهادتين هو الإيمان بسيرة محمد ورسالته وليس لشخص محمد ﷺ، فيما بعد حين انقضت تلك الأزمة، راجع أحد الصحابة عمر بن الخطاب فيما بدر منه لحظة وفاة النبى، فقال عمر كما جاء فى تاريخ الطبرى «كانت فتنته وقانا الله شرها»لكن فتنة حسن البنا لم تجد من يكتشفها فى البداية، لم يراجعه أحد من المحيطين، وهو لم يذكر ما ذكره لمحمود عساف علنًا وأمام الكافة، لعل أحد من العلماء يناقشه ويصحح له، كان ذلك التصور لديه عن دوره هو، وأهمية الإيمان به، جزءًا من عالمه الخفى، والباطن؛ لذا ظل ينتشر فى صمت بين أتباعه، حتى ظهرت تجلياته عند خلاف المرشد الثانى حسن الهضيبى مع عدد من إخوانه، وروى الشيخ محمد الغزالى ما رواه، وإلى اليوم لم يحدث فصل بين الدعوة وصاحبها، وتلك واحدة من أسباب ضعف وعثرات جماعة الإخوان إلى اليوم، فلم يخرجوا بعد، من عباءة حسن البنا، وليسوا قادرين على ذلك حتى الآن.

الفصل الثاني عشر

من الشهيد ومن القتيل ؟

فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨م أصدر محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء قرارًا بحل جماعة الإخوان المسلمين، بعد أن ثبت لديه ولدى حكومته وجهاز الأمن أن الجماعة وراء التفجيرات وأعمال العنف التى تمت فى الفترة التى سبقت اتخاذ قرار الحل، وأبرزها اغتيال المستشار أحمد الخازندار واغتيال اللواء سليم زكى، فضلاً عن تفجير شركة الإعلانات الشرقية وغيرها وغيرها..

وأقيمت للنقراشى جنازة حاشدة بدا فيها تأثر شباب الحزب السعدى لمصرعه، واعتبروه شهيدًا، كان النقراشى أحد أبطال ثورة ١٩١٩م وحكم عليه الإنجليز بالإعدام، لكن لم يتم تنفيذ الحكم، وكان مثالاً للجهاد وللنزاهة، ثم انشق عن الوفد هو وأحمد ماهر معتبرين أن النحاس باشا يخرج فى زعامته للحزب عن خط الزعيم سعد زغلول وأسسا معًا الحزب السعدى، وكان ماهر قد اغتيل سنة ١٩٤٥م، وهكذا جاءت جريمة اغتيال النقراشى لتجدد الأحزان؛ لذا هتف الشباب السعدى مطالبين بالانتقام والثأر دم بدم.. رأس برأس، وإذا كان الإخوان قد أطاحوا برأس الحزب السعدى، فيجب أن يطاح برأس الإخوان حسن البنا، ولكى نعرف حجم فجيعة السعديين فقد أصدر أحد شباب الحزب وهو نظمى لوقا كتابًا بعنوان «ريحانة الشهداء» قدم له عباس محمود العقاد، وذهب نظمى لوقا إلى حد مقارنة استشهاد النقراشى باشا فى مبنى وزارة الداخلية، بين ضباط الأمن ورجاله، بما حدث للحسين بن على وسط أتباعه يوم كربلاء.. الكتاب أصدره الحزب وهو يفيض حبًا ولوعة لما

جرى لزعيمهم ومؤسس الحزب: النقراشى باشا، والمعنى أن الهتافات التى جرت يوم الجنازة لم تكن تعبر عن انفعال طارئ أو حزن عابر، بل عن رغبة حقيقية فى الثأر والانتقام، وقد ازداد الشعور بعد ذلك حين جرت محاولة لاغتيال حامد جودة (باشا) وهو لم يكن سعديًا فقط، بل كان من أقارب النقراشى، أى أن الأسرة بكاملها مستهدفة، فيما بعد تبين أن محاولة اغتيال جودة قام بها التنظيم الخاص، وأنهم أخطؤوا السيارة، فقد كان المقصود إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء الذى خلف النقراشى وكان أيضًا سعديًا.. أى أن الحزب بكامله مستهدف من التنظيم الخاص الذى أسسه حسن البنا.

الوحيد، داخل الإخوان، الذى أدرك خطورة الأمر وأن شلال الدم بدأ، هو حسن البنا نفسه، وأدرك أنه هو نفسه المستهدف، فقد ازداد أعداؤه وبدا للكثيرين، خاصة داخل جهاز الدولة، المسؤول الأول عن هذه الجرائم، حاول البنا التوسط إلى كل من أمكن له الوصول إليه، راجيًا حينًا ومستعطفًا حينًا وباكيًا مرة ثالثة، لكن لم يجد أى استجابة، فقد فات ميعاد التوسلات ولم يعد هناك مكان للدموع، لقد فتح أبواب جهنم وتصور أن مفاتيحها بيديه، وخانه ذكاؤه، فالمرء يمكنه أن يشعل النار، لكن ليس بالسهولة نفسها يمكن أن يطفئها ولا أن يحدد ما الذى سيصيبه وأين تقف؟! تمنى البنا أن يتم اعتقاله، وطلب ذلك من بعض من سعى لديهم، ولعله تصور أن الاعتقال يمكن أن يهدئ الأمور وأنه قد ينجيه من دعوات الثأر والانتقام التى باتت موجهة لديه.. وفى الأيام الأخيرة اشتد به الخوف بعد أن تم سحب مسدسه المرخص. ولنا أن نتساءل كيف لشيخ أن يحمل مسدسًا مرخصًا فى مدينة مثل القاهرة؟ ولذا أقدم على خطوته الأخيرة بأن أصدر بيانًا يدين فيه قتلة النقراشى، حمل عنوان «ليسوا إخونًا وليسوا مسلمين»، فأضاف إلى كارهيه فريقًا جديدًا هم أولئك الذين اتهمهم فى عقيدتهم الدينية وقال عنهم «ليسوا مسلمين»، وهم من داخل جماعته ومن التنظيم الخاص الذى أسسه وأشرف عليه هو نفسه.

بعد اغتيال النقراشى بشهر ونصف الشهر جرى اغتيال حسن البنا وهو يهم بركوب التاكسى فى شارع الملكة نازلى - رمسيس حاليًا - أمام مقر جمعية الشبان المسلمين وعلى مقربة من مقر نقابة المحامين والصحافيين، الرصاص الذى أطلق على البنا لم يقتله، لذا تم نقله إلى مستشفى قصر العينى لمحاولة إنقاذه، لكن لم تتم المحاولة، فقد مات فى نفس الليلة، وقد تولت النيابة العامة التحقيق فى الحادث فور وقوعه، وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بيومين فقط، أى يوم ٢٥ يوليو، وقبل أن يتنازل الملك فاروق عن العرش بيوم تم استدعاء المتهمين وأعيد التحقيق وصدر الحكم على الجناة فى ٢ أغسطس ١٩٥٤م، من قاموا بالاعتداء على البنا نعرفهم، لكن إلى اليوم وبعد مرور ٦٣ عامًا على الحادث فإننا لا نعرف على وجه التحديد من كان وراء العملية.. من أمر بها.. من كلف المنفذين؟!

وفى الجرائم السياسية قد لا يكون الفاعل المباشر هو العنصر الأهم فى الجريمة، ربما يكون الأقل أهمية، الفاعل المباشر هو المهم من الناحية الجنائية فقط، وهو غالبًا ينال العقوبة المقررة بنصوص القوانين، لكن الأهم بعد ذلك هو من فكر وخطط.. وقبلها من قرر تصفية المراد تصفيته وأمر بالتنفيذ.. وهناك جرائم سياسية كثيرة فى التاريخ وفى معظم البلدان، لم يعرف - بعد - على وجه التحديد من كان وراءها، أمامنا حالة اغتيال الرئيس الأمريكى جون كنيدى الذى اغتيل سنة ١٩٦٤م، والقاتل «أدزوالد» معروف منذ لحظة وقوع الجريمة وتم الإمساك به واعترف وعوقب، لكن من حرضه؟ من وقف وراءه ودفعه إلى اغتيال رئيس أكبر دولة؟ ولماذا؟ هذه كلها تساؤلات بلا إجابة حتى هذه اللحظة، رغم صدور أكثر من عشرة آلاف كتاب تحاول البحث فى هذا الموضوع.. هناك أيضًا عملية مصرع الأميرة ديانا والشاب دودى الفايد داخل سيارتها، ظاهر الأمر أنه حادث سيارة عادية وقع لهما داخل النفق، ومع ذلك تشير معظم الدلائل إلى أن الحادث مدبر، ولم يعرف إلى اليوم من وراء تلك العملية، ويبدو أنه لن يعرف خلال السنوات القادمة.

حالة حسن البنا واحدة من هذه الحالات، وأغلب الظن أننا لن نعرف - على وجه اليقين - من كان وراء العملية، خاصة أن كل الأطراف وقتها فى ذمة الله الآن، ما لم تظهر وثيقة تشير إلى ذلك بوضوح، وقد لا تكون هناك وثيقة أو وثائق، لأن الجرائم من هذا النوع، أو ما يعرف بالجريمة الخفية، يكون التكليف بها والتخطيط لها شفويًا وليس بناء على عقد موقع أو تكليف كتابى، وقد يكون التكليف الشفوى ليس مباشرًا، بل بالرمز والتلميح دون القول الصريح، وربما يكون التوجيه بشفرة معينة، يفهمها المكلف بالعملية.

عدم الوصول إلى من وراء اغتيال البنا يعود إلى أكثر من سبب فى مقدمتها شخصيته هو، وطبيعة مسلكه وممارساته السياسة، وتعدد أوجهه.. فقد كان له أكثر من وجه:

الأول: وجه الشيخ أو رجل الدين، صحيح أن حسن البنا لم يكن فقيهًا ولا عالمًا قدم اجتهادًا فى حياتنا العامة أو الخاصة، لكنه حمل راية الإسلام .. «القرآن دستورنا..»، كان داعية وخطيبًا قادرًا على اجتذاب الجمهور، خاصة من ذوى الثقافة الدينية المحدودة.

الثانى: السياسى، وقد كان الرجل سياسيًا بالمعنى الكامل للكلمة، وإن شئنا الدقة كان سياسيًا بالمعنى الرديء للكلمة، كان براجماتيًا إلى حد الانتهازية، وكان متقلبًا فى تعاملاته وارتباطاته، نسق مع الوفد واستفاد من حكومة الوفد سنة ١٩٤٢م، ثم انقلب عليهم، أيد إسماعيل صدقى وهتف له طلاب الإخوان فى الجامعة وساند حسن البنا اتفاق صدقى - بيفن، الذى رفضه أغلب المصريون، أيد النقراشى باشا ثم انقلب عليه وقتله رجاله.

الثالث: كان للرجل ظاهر وباطن، وكل منهما يناقض الآخر، لم يمدح أحد الملك فاروق قدر امتداح حسن البنا له، ولم يعلن أحد تأييده للعرش كما فعل هو،

حين توفى الملك فؤاد سنة ١٩٦٣م نَعَتْه مجلة الإخوان بعبارات جاء فيها «مصر تفتقد اليوم بدرها فى الليلة الظلماء، ولا تجد النور الذى اعتادت أن تجد الهدى على سناه» وتساءلت المجلة التى كان يشرف البنا بنفسه عليها «من للفلاح والعامل من للفقير يروى غلته ويشفى علته. ومن للدين الحنيف يرد عنه البدع. ومن للإسلام يعز شوكته ويعلى كلمته. ومن للشرق العربى يؤسس وحدته ويرفع رايته؟»، وهذا الذى قالته المجلة لا يخلو من نفاق للديوان الملكى، فما قالته المجلة كان بعيدًا عن صورة الملك لدى الشعب، لكن النعى أقرب إلى كلام إنشائى وبلاغى، وإذا أخذناه بمعيار إنجازات الملك فؤاد وسياسته لوضعناه بضمير مستريح فى خانة الكذب السياسى، ولكن ترتب على هذا النعى أن دعى حسن البنا وإخوانه للمشاركة فى استقبال الملك فاروق فور عودته من لندن، عقب وفاة والده، وتقدم البنا الهاتفين «نهبك بيعتنا وأولادنا»، وفيما بعد منحت صحف الإخوان الملك فاروق الكثير من الألقاب والصفات مثل «حامى المصحف .. أمير المؤمنين.. فخر الشباب .. القدوة الحسنة .. الأسوة الحسنة..» وغيرها، ويحاول المرشد الثالث عمر التلمسانى أن يبرر تلك المواقف بالقول إنهم كانوا فى بداية حكم الملك يأملون فيه خيرًا أن يصلح حال البلاد، لكن التلمسانى تناسى أن موقف الإخوان من الملك لم يتغير وموقف حسن البنا تحديدًا، على الأقل فى الظاهر وفى العلن، ظلوا ينهالون عليه بالثناء والمديح، حتى وجدنا مجلة الإخوان المسلمين فى نهاية حرب فلسطين الأولى تنشر صورة الملك غلافًا لها، وتحتها عبارة أنها تنشر بمناسبة عودة «جيشه المظفر من فلسطين». وكان ذلك كذبًا محضًا.

سار حسن البنا خلف الملك، حين أيد الإنجليز أيدهم، ولما تراسل مع الألمان وهتلر هتف لهم، وعندما صادق الأمريكان سعى إليهم، كل هذا لا يؤاخذ به حسن البنا، فمن حقه أن يساند الملك وأن يقف خلفه، لكنه منذ سنة ١٩٤٠م يسعى إلى

اختراق الجيش، وكان الملك يعد ذلك خيانة له، كان ضباط الجيش يقسمون على الولاء للوطن وللعرش وكان حسن البنا يأخذهم يقسمون قسمًا آخر، على المصحف والمسدس، كان البنا يخترق جيش مولانا الملك بخلايا سرية، فقد تحدث عبد اللطيف البغدادى أن حسن البنا أراد له وعدد من زملائه سنة ١٩٤٠م أن يندمجوا فى جماعته ويصبحوا خلية لها داخل الجيش، ورفض البغدادى، لكن غيره لم يرفض فقد انضم بعضهم إلى الإخوان، باختصار فى الظاهر أيد حسن البنا الملك تمامًا، كان ملكيًا أكثر من الملك، حتى أنه حين وقع حادث القصاصين للملك، قاد وفدًا من الإخوان إلى القصاصين لتسجيل تهنئة بسلامة جلالته فى سجل التشريفات، وعاد لتنتقد مجلته بعض الزعماء الذين لم يتحركوا إلى القصاصين، وهكذا تحريض سافر للملك وللديوان الملكى على هؤلاء الزعماء، وفى الباطن يسعى إلى اختراق الجيش.. ما بين الظاهر والباطن مسافة ضخمة وبونا شاسعًا، والواضح أن الملك اكتشف ذلك وانتبه إليه مبكرًا.

ويبدو أن حسن البنا كان يتصور أنه أذكى من الجميع، وأنه سوف يخدع الجميع، لكن فى لحظة اكتشف الجميع خطره، ركب سيارة اللواء سليم زكى لتهدئة المتظاهرين، وبعدها ألقى طلاب الإخوان على سليم زكى قنبلة فقتلوه، ترك رجاله يقتلون الخازندار ثم أصدر بياناً يأسى فيه لمقتل الخازندار وفى البيان كلمات مبطنة تعطى مبررًا للقتل، وحين حدثت المواجهة بينه وبين قائد التنظيم الخاص عبد الرحمن السندى أصر الأخير أنه أخذ أمرًا مباشرًا من المرشد بتنفيذ العملية، وتوصل المرشد إلى أن المستشار قتل خطأ؛ ولذا وجب على الجماعة دفع الدية، لكنه تراجع عن الدفع لأن الحكومة دفعت تعويضًا لأسرة القتيل، هكذا ببساطة، تصور أن الأمر انتهى، لكن محمود فهمى النقراشى أصر على اتخاذ موقف حاسم من جماعة البنا، ولأن كل منهما كان المحطة الأخيرة بالنسبة إلى الآخر، يحسن أن نتوقف عند العلاقة بينهما وما فيها.

★ ★ ★

فى صيف سنة ١٩٤٧م تقرر أن يسافر رئيس الحكومة محمود فهمى النقراشى إلى واشنطن ليعرض على الأمم المتحدة القضية المصرية مطالبًا بجلاء القوات البريطانية جلاءً تامًا عن مصر والسودان وإنهاء النظام الإدارى للسودان، وكان معنى ذلك أن الحكومة المصرية قررت تدويل القضية الوطنية، بعد أن يئست من إمكانية التوصل إلى حل أو تفاهم مع الإنجليز، وكان المصريون توقعوا خيرًا أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فإن باب التفاوض سيفتح مع الإنجليز للتوصل إلى صيغة يتحقق بها استقلال مصر، لكن الإنجليز لم يبد منهم استجابة حقيقية، ولم يكن هناك بديل عن قيام ثورة جديدة على غرار ثورة ١٩١٩م ولم تكن الأمور مهيأة لذلك، فالثورات لا تقوم بقرار رسمى؛ لذا تقرر أن تلجأ الحكومة إلى هيئة الأمم لتطالب بحقها فى الاستقلال، وكانت الشعوب تتوقع من الهيئة الدولية، فور تأسيسها أن تتدخل لمساعدتها فى نيل الاستقلال.

كان الملك فاروق والديوان الملكى مساندًا بقوة للنقراشى فى مهمته، واندفعت التيارات المناصرة للقصر إلى مساندة النقراشى، كان الملك يريد أن يكون هناك شيء أو إنجاز إيجابى تحققه الحكومة ويتقدم به إلى الشعب، كانت صورة الملك قد أخذت فى الاهتزاز وكانت التيارات المناوئة للقصر أخذت تشتد، وكان الملك قلقًا من ازدياد التيارات والجماعات اليسارية، صحيح أنهم لم يكونوا أغلبية، بل قلة، فإن الملك كان مصابًا بفوبيا الماركسية، وكانت المشكلات الاجتماعية تتفاقم وتزداد حدة؛ لذا وقف الملك بكل ثقله خلف النقراشى فى مهمته.. فى المقابل كانت هناك عقبة كبرى أمام النقراشى تتمثل فى حزب الوفد وزعيمه مصطفى النحاس، كان الوفد يرى أن القضية الوطنية هى قضيته الأولى بامتياز وأن التفاوض مع الإنجليز شأن يخصه هو، وليس مسموحًا لأحد غيره القيام به، سعد زغلول هو الذى تفاوض حتى الحصول على تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م والذى أقر فيه الإنجليز باستقلال مصر، حتى لو اعتبر استقلالاً منقوصًا وهو كان كذلك بالفعل، ومصطفى النحاس هو الذى

تفاوض مع الإنجليز وتوصل إلى معاهدة سنة ١٩٣٦م، ومن ثم فالتفاوض مجاله هو، فضلاً عن ذلك كان الوفد حزب الأغلبية، ومن ثم فإن من يسعى إلى المفاوضة يجب أن يحظى بمساندة الأغلبية، ليدرك الطرف الآخر أن الذى أمامه يمثل الرأى العام فعلاً؛ وهذا ما دعم سعد زغلول والنحاس فى تفاوضهما مع الإنجليز، ولم يكن النقراشى تنقصه الوطنية، بل كان مبرزًا فى هذا المجال، وتاريخه يشهد له، يكفيه أنه أحد أبطال ثورة ١٩١٩م، ولم يكن ممكنًا للوفد أن يطعن أو يشكك فى وطنية النقراشى، لكن الطعن جاء من أن الحزب السعدى هو من أحزاب الأقلية، ومن ثم فإنه لا يمثل الأغلبية ولا يعبر عن رأى الأمة، ولا يصح أن يفاوض باسمها. وكان النحاس عنيدًا ومتصلبًا فى هذا الجانب؛ لذا راح يحارب النقراشى، وينظم المظاهرات ضده، ووصل الأمر أن أرسل الوفد برقية بتوقيع النحاس إلى الأمم المتحدة يعلن فيها أن النقراشى ليس مخولاً للتفاوض باسم المصريين وأنه لا يعبر عن الأمة المصرية.. ومن حقنا أن نتساءل حول هذا الموقف. ماذا لو وقف النحاس خلف النقراشى وسانده أو لم يناوئه ويضع العراقيل أمام مهمته، هل كان النقراشى سيحقق نتائج إيجابية وينتزع الاستقلال؟ وهل كان موقف الوفد سببًا من أسباب فشل تلك المهمة؟ هل كان الوفد غير مرحب بالاستقلال إذا جاء عن غير طريقه وإذا لم ينسب إليه؟ وهل كان شعار «الاحتلال على يد سعد أفضل من الاستقلال على يد عدلى» يتكرر ثانية مع اختلاف الشخوص والأسماء؟!

كان لا بد من قوة جماهيرية تساند النقراشى وتتصدى لما يقوم به الوفد، ولم يكن هناك غير الإخوان ومرشدهم حسن البنا الذى خاض المعركة بنفسه، فقد أرسل إلى هيئة الأمم المتحدة برقية مضادة لبرقية النحاس جاء فيها «النقراشى باشا يمضى ومن معه إلى مجلس الأمن بتأييد شعب وادى النيل وعلى هدى من الإيمان الوطنى». وقاد البنا مظاهرة ضخمة تحركت من أمام الجامع الأزهر ضمت شباب الجماعة وهتفوا تأييدًا للنقراشى وهجومًا على الوفد وزعيمه.. وتحدثت بعض التقارير الأجنبية عن أن رجال البوليس يسروا الأمور للمظاهرة وعملوا على حمايتها.

وانطلقت مجلة الإخوان المسلمين التى كان يترأس تحريرها صالح عشماوى، وكيل الجماعة - نائب المرشد - تشيد بالنقراشى وتهاجم الوفد والنحاس، كتب عشماوى تحت عنوان «بيان النقراشى باشا» قائلاً «كان يوم الثلاثاء ٥ أغسطس يومًا مشهودًا فى تاريخ مصر ففيه استمع العالم إلى صوت مصر على لسان رئيس وزرائها، يبسط قضيتها، ويطالب بحقوقها، ويفضح مساوئ الاستعمار البريطانى الغاشم فى شمال الوادى وجنوبه» وأضاف فى مقاله «كان خطاب النقراشى باشا الذى استغرق إلقاؤه ساعة وأربعين دقيقة خطابًا بليغًا وصفه جرو ميكو مندوب روسيا بأنه هام جدًا وممتاز كما أجمع رجال الصحافة الأمريكية بل والبريطانية والأجنبية على أن النقراشى باشا قد عرض قضية بلاده ببراعة كبيرة». ثم انتقل فى مقالات تالية ليهاجم المعارضين للنقراشى ثم يخص الوفد بالهجوم، ووصل فى هجومه حد اتهام المعارضة بالخيانة، بما يذكرنا ببعض كتاب السلطة فى زماننا، ففى مقال حمل عنوان «الطابور الخامس» .. كتب «كان الواجب الوطنى يحتم والمعارضة النزيهة تقتضى بتأييد الحكومة فى موقفها. والوقوف من ورائها صفًا واحدًا ضد الغاصب، ولكن.. هل بين رجال المعارضة وطنى يفهم واجبه! أو معارض يعرف حق أمته؟ لقد كشفت المعارضة عن وجهها قناع النفعية والرياء، وظهرت خيانتها سافرة بغير طلاء..».

وحين أرسل مصطفى النحاس برقيته إلى الأمم المتحدة ضد مهمة النقراشى، كتب صالح عشماوى مقالاً بعنوان «خيانة حزب الوفد» بدأه هكذا «يمثل حزب الوفد فى مصر دور الطابور الخامس. ما فى ذلك شك. ولقد قام على هذا الاتهام أكثر من دليل..» ويقول «حزب الوفد الذى يرأسه زعيم هَرِم حقود هو السيد مصطفى النحاس باشا لم يشأ أن ينسجم مع الحكومة والأمة المصرية فى هذا الظرف الحرج، بل أرسل برقية شخصية حقيرة إلى مجلس الأمن يزعم فيها أن النقراشى باشا ووفده لا يمثلون الأمة المصرية». ثم يقول «إن الوطنيين العرب يعتقدون أن برقية النحاس

الأخيرة إلى مجلس الأمن لا تقل إجرامًا ولا خيانة لمصر عن موقفه يوم ٤ شباط (فبراير)».. هذه الكلمات كانت وردت فى مقال بجريدة الحوادث «التى تصدر فى حلب ونقلها صالح بنصها. وأنهى مقاله بالقول «حِلُّوا هذا الحزب فقد قام على خيانته لمصر أكثر من دليل». وتوالت المقالات على هذا النحو..

كان هجوم الإخوان على الوفد ساحقًا ومتجاوزًا كل ما تعارفت عليه الأدبيات السياسية فى ذلك الوقت، الأمر الذى يدعونا إلى التساؤل هل كان كل هذا لصالح النقراشى أم تعبيرًا عن كراهية عميقة ودفينة لدى الجماعة تجاه الوفد وزعيمه.. لقد أخطأ النحاس باشا وكان عنيدًا، لكن النقراشى نفسه لم يتهم الوفد ولا زعيمه بالخيانة، ففى مقال الطابور الخامس ترد فقرة تكشف الكراهية للأحزاب وللحزبية عمومًا. «مصر بلد لم يستكمل استقلاله بعد فلم يكن هناك معنى لتعدد أحزابه وتفرق جماعاته. ولكنها أنانية الزعماء وحب الرياسة التى جعلت الأمة شيعًا وأحزابًا، كل حزب بما لديهم فرحون».

كان تأييد البنا شخصيًا وقيادته لمظاهرة تهتف للنقراشى، وتأييد جماعته لافتًا للانتباه وشغل المراقبين من المصريين ومن الأجانب، فنجد «جيفرسون باترسون» القائم بالأعمال الأمريكى فى القاهرة، يبعث بتقرير إلى الخارجية الأمريكية فى واشنطن محاولا تفسير تلك الحالة، جاء فيه «ربما يكون السبب ناشئًا عن الحرب السائدة بين الإخوان والوفد، والصحافة المحلية تزعم أن السبب الحقيقى يرجع إلى المبلغ الضخم الذى دفعه النقراشى باشا لحسن البنا من المصروفات السرية»، الصحافة المحلية، أى الصحافة المصرية، ورد فى بعضها أن المبلغ حوالى عشرة آلاف جنيه مصرى. ويضيف باترسون القائم بالأعمال الأمريكى فى الرسالة - الوثيقة - التى ترجمها ونشرها محسن محمد فى كتابه «من قتل حسن البنا؟» «يبدو واضحًا أن هذا المبلغ دفع فعلاً وقد أحدث تأثيرًا لدى قادة الإخوان».

وفى طريق عودته من واشنطن نظمت الجماعة استقبالاً شعبيًا مهيبًا للنقراشى باشا مع الهتاف له .. وأيًا كانت التفسيرات لموقف الإخوان من النقراشى، هل بسبب الجُعل الضخم الذى تلقاه البنا من المصاريف السرية أو كراهيته فى الوفد ورغبته فى الكيد له أو تعاطفًا مع القضية الوطنية، فقد كانت العلاقة طيبة بين الجانبين فى يوليو وأغسطس ١٩٤٧م، فما الذى جرى بعد ذلك كى يقدم النقراشى على حل الجماعة فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، فترد الجماعة باغتيال النقراشى بعد عشرين يومًا ولم تكد تمضى مدة شهر ونصف حتى لقى البنا نفس المصير، ليتم اغتياله بطريقة أقل كفاءة من اغتيال النقراشى؟!

دوافع النقراشى إلى حل الجماعة معروفة، فقد كثرت أعمال العنف والإرهاب، مما أخل بالأمن وبات رئيس الحكومة مطالبًا بالحفاظ على الأمن، خاصة أنه هو نفسه وزير الداخلية، وقد تزايدت أعمال العنف فى عهده، وكانت أصابع الاتهام تشير إلى الإخوان وتنظيمهم الخاص، ففى مايو ١٩٤٧م تم تدمير سينما مترو وسينما ميامى وسقط من المواطنين قتلى وجرحى، وفى يناير ١٩٤٨م استطاع البوليس أن يضبط فى المقطم ١٦٥ قنبلة وعدة صناديق بها أسلحة، واشتبك البوليس مع عدد من شبان الإخوان كان على رأسهم سيد فايز أحد قادة التنظيم الخاص، وفيما بعد سوف يكون فايز من بين المتهمين فى قضية اغتيال النقراشى، وهو نفسه سوف يرتب عبد الرحمن السندى - فيما بعد - محاولة فاشلة لاغتياله، حين أراد المرشد الثانى حسن الهضيبى تعيينه على رأس التنظيم بدلاً من السندى. وقد قال الشبان فى التحقيق إن هذه الأسلحة جمعت من أجل فلسطين لذا أفرج عنهم فورًا، وكأن شيئًا لم يحدث، وهذا ما جعل عددًا من الكتاب، من بينهم سلامة موسى يتهمون النقراشى بتدليل حسن البنا وجماعته. بعد ذلك تم تفجير حارة اليهود بالقاهرة ونسفت بعض منازلها، وقال محمود عساف إن الهدف كان تخويف اليهود فقط، لكن الواقع أن هناك منازل هدمت ومواطنين أبرياء قتلوا، وذكر صلاح شادى فى «حصاد العمر» إن العملية كانت ردًا

على مذبحة «دير ياسين» وهو منطق معوج، فالرد على مذبحة دير ياسين لا يكون في حارة بالقاهرة، يقطنها مواطنون مصريون. وفى سبتمبر ١٩٤٨م تم نسف جزء من حارة اليهود القرائين، وكان ذلك عملاً فى منتهى الغباء والعنصرية، ذلك أن اليهود القرائين فى مصر كانوا ضد قيام الدولة الصهيونية فى فلسطين وكان رأيهم أن هذه الدولة خطر حقيقى على الديانة اليهودية وعلى اليهود أنفسهم - وبعدها تم تدمير شركة الإعلانات الشرقية.. وكان قد تم يوم ٢٢ مارس اغتيال المستشار أحمد الخازندار، وفي ٤ ديسمبر ١٩٤٨م تم اغتيال حكمدار القاهرة اللواء سليم زكى، وكانت تلك الجريمة هى القشة التي قصمت ظهر البعير ، فصمم النقراشى على حل الجماعة .

وجد النقراشي أن زمام الأمن يفلت من يديه ، الإنجليز يحملونه المسؤولية والحكومة غير قادرة على حفظ الأمن فكيف لها أن تطالب بالاستقلال؟! الملك كان قلقًا.. والنقراشى نفسه له خبراته فى ذلك، لقد عايش أيام سعد زغلول ورأى ما جره على مصر اغتيال «سبرلى ستاكى».. ثم وجد رفيق عمره أحمد ماهر يتم اغتياله ومن بعده قاض كبير ثم حكمدار القاهرة، وكان الأمن قد أمسك بالسيارة الجيب التى كشفت للأمن حجم التنظيم السرى وما لديه من خطط وأسلحة؛ لذا قرر اتخاذ خطوة جريئة بحل الجماعة، ولم يواجه قراره اعتراضًا من الداخلية، كما يردد البعض، ولكن طلب مرتضى المراغى، الذى سيصبح وزير الداخلية فيما بعد، من النقراشى تأجيل القرار، حتى يضع جهاز الأمن يده على كل الخلايا السرية للجماعة ويضبطوا كل الأسلحة التى لديهم. لكن الثائر داخل النقراشى رفض تمامًا وأصر على إصدار قرار الحل، ويبدو أن خبرته الخاصة بالإخوان وحسن البنا لعبت دورًا، لقد وجد أنهم ساندوه بقوة، وقاد حسن البنا مظاهرة لمناصرته، لكنهم بعدها مباشرة قاموا بأعمال العنف. والمعنى عنده أن هؤلاء يمكن أن يقوموا ويفعلوا أى شيء، وأنه لا رادع لديهم. ولا معايير يقفون عندها، هم ساندوه حين دفعت حكومته لهم، وما أن انتهت

المهمة انقلبوا عليه، باختصار هتاف مأجور أقرب إلى مرتزقة العمل السياسى، وخطورة هؤلاء البشر حين يتملكون السلاح، وهم امتلكوه، ودربوا جيشًا ولديهم جهاز مخابرات خاص، وإذاعة سرية خاصة بهم لا تعرف الحكومة عنها شيئًا، أصبحوا دولة داخل الدولة؛ لذا لم يكن غريبًا أن يذهب حسن البنا إلى مرتضى المراغى محذرًا من حل الجماعة ومهددًا النقراشى نفسه .. وتوقع النقراشى أن يتم اغتياله، وتحقق ما توقعه، ففى يوم ٢٨ ديسمبر قتله طالب الطب البيطرى عبد الحميد حسن فى مدخل مبنى وزارة الداخلية، وكان الرد باغتيال البنا نفسه.

من أطلق الرصاص على حسن البنا ليس مجهولاً، عرف من يومها وتمت محاكمته وسجن بعد ثورة ١٩٥٢م، لكن لم يتفق أحد على من كان وراء العملية، فقد تعدد خصوم البنا.. حتى بين أنصاره لم يتم الاتفاق فى هذا الأمر، المرشد الثالث عمر التلمسانى جزم بأن الملك فاروق شخصيًا هو الذى أمر بتصفية البنا، وذهب البعض منهم إلى القطع بأن الملك ذهب إلى القصر العينى بنفسه وألقى نظرة على جثمان البنا ليتأكد ويرى بعينه أنه مات.. ردد الشيخ عبد الحميد كشك ذلك على المنبر مرارًا وتكرارًا، الوقائع تؤكد أن الملك ليلتها كان مشغولاً بأمر آخر، ولم يذهب إلى القصر العينى، لكنه أبلغ بالواقعة وهو فى إحدى سهراته.

فريق آخر داخل الجماعة اتهم رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى، الذى خلف النقراشى، وكان عبد الهادى سعديًا مثل النقراشى، وكان رفيقًا للنقراشى من أيام ثورة ١٩١٩م، وقد أراد الانتقام لصديق عمره وفعلها.. فئة ثالثة منهم تتهم بريطانيا وأمريكا وإسرائيل، أو الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة، وكان على رأس القائلين بذلك سيد قطب، استنادًا إلى أن حسن البنا ومشروعه كان يهدد هذه القوى ويخيفها. آخرون مثل الشيخ محمد الغزالى علقوا المسألة فى رقبة أحزاب ما قبل ١٩٥٢م كلها.

وسوف نلاحظ أن هؤلاء جميعًا لم يقدموا دليلاً واحدًا ولا واقعة بعينها تدلل على ما يقولون به، وهذا التوسع فى إلقاء التهم من الملك إلى رئيس الوزراء أو الأحزاب كلها والقوى الأجنبية، يعنى باختصار أنه لا أحد على وجه التحديد، ولو أن هؤلاء جميعًا أرادوا اغتيال البنا، فهذا يعنى أن المشكلة كانت فيه هو.. وأنصار البنا جميعًا كانوا يعبرون عن مشاعر حزن وغضب فقط، ومن هؤلاء الشيخ أحمد حسن الباقورى الذى ذهب فى ذكرياته إلى أن «الدولة من أكبر رأس فيها إلى أصغر موظف من موظفيها اغتالت المرشد العام» ويلتقى مع هذا القول منشور صدر بعد أيام من الاغتيال، يحمل توقيع الإخوان، جاء فيه «الجناة المجرمون هم شياطين يشبعون شهواتهم على حساب الشعب، هم أولئك الذين منحوا التراخيص للعاهرات، ونظموا وأشرفوا على بيوت الدعارة ببيع الخمور وترددوا على المواخير، وأباحوا الربا وقبلوا الرشوة، وسخروا من الفضيلة وأرسلوا نساءهم إلى الملاهى والمراقص العامة، اغتالوا البنا لأنه كان خطرًا عليهم يهدد بتقويض سلطتهم». وفات من حرروا هذا المنشور أن هؤلاء جميعًا هم الذين تركوا البنا يعمل قرابة العشرين عامًا وسمحوا لجماعته أن تكبر وتنمو، بل ساعدوه وساندوه.

وفى العموم لن تجد كاتبًا من كتاب الإخوان تحدث عن حسن البنا إلا وقد وجه اتهامًا إلى جهة ما بالمسؤولية عن مقتل حسن البنا.

★★★

خارج الإخوان ذهب الاتهام إلى طريقين، طريق عبرت عنه صحف مصرية مثل «الأساس» لسان حال السعديين وأخبار اليوم والأهرام، وقد اتهمت التنظيم الخاص لجماعة الإخوان بأنه هو الذى أقدم على هذه الجريمة وأنهم هم من قاموا باغتيال حسن البنا، تأسيًا على أن البنا كان يعمل ليل .. نهار كى تعود الجماعة إلى العمل، وأنه كان على وشك الإفشاء بأسمائهم وأسرارهم للدولة، وأن ذلك كان الطريق الوحيد لعودة الجماعة إلى العمل، وقد كان البنا عبر فى الأسابيع الأخيرة عن خطئه الشديد

بأن زج بالجماعة فى العمل السياسى، وأنه لو قدر له العمل ثانية فسوف يكتفى بالدعوة إلى مكارم الأخلاق والتمسك بالدين الحنيف، وأنه يتمنى لو كان ربّى مائة شاب يعملون فى سبيل نشر دين الله عن حق، يلقى بهم الله..

كان هناك تفكير داخل وزارة الداخلية، بين من يتابعون القضية إلى هذا الاتجاه فى التفكير. أى أن رجال التنظيم الخاص الذين قال عنهم البنا «ليسوا مسلمين» هم الذين اغتالوه، وقد تردد أن حسن البنا وصله خطاب تهديد بعد إصدار ذلك البيان، وبعد ما تردد أنه سوف يسلم النقراشى قائمة بأسمائهم. وقد استنكر بعض كتاب الإخوان ذلك التفكير.

★★★

فطريق آخر خارج الإخوان، ذهب إلى أن اغتيال البنا قام به السعديون، فقد كانوا مصممين على الثأر والانتقام للإهانة التى لحقت بهم وقتل زعيمهم، ولم يكن يرضيهم سوى رأس البنا نفسه «رأس النقراشى لا يساويها إلا رأس البنا»، وكان السعديون هم الذين يتولون الحكومة ويتولون وزارة الداخلية، وكان الملك فاروق نفسه يميل إلى هذا الاتجاه، أى نسبة الأمر إلى السعديين، فقد سأل القائم بالأعمال الأمريكى فى القاهرة جلالة الملك إن كان يعتقد -كما رددت بعض الصحف المصرية - أن النظام الخاص للجماعة وراء الاغتيال، فرد الملك بأن الأمر لم يخرج عن السعديين، وطبقًا لهذا القول يصبح التساؤل من بين السعديين تحديدًا.. هل من هم داخل الحكومة أم من هم خارجها؟!

ولنحاول أن نناقش هذه الاتهامات، فيما يخص الملك فاروق، ثابت أن الديوان الملكى والمقربين من الملك قرروا بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م اتخاذ خطوات لتحطيم الوفد انتقامًا - لمولانا - من قبول النحاس لحكومة ٤ فبراير ١٩٤٢م رغم أنف الملك، وكان على رأس هذا الفريق أحمد حسنين باشا رئيس الديوان وعلى ماهر، اتجه

حسنين إلى إحداث الوقيعة بين النحاس ومكرم عبيد، ونجح فى ذلك[1]، كان الاتجاه الآخر هو الاستعانة بحسن البنا وتقويته للحط من شعبية الوفد، وقد عمل على ذلك كل من على ماهر وأحمد حسنين معًا، وقد التقطها بذكاء أو بانتهازية حسن البنا، فقد سعى البنا إلى الضابط محمد أنور السادات كى يرتب له لقاء مع يوسف رشاد (يوسف رشاد الذى كان يتزعم فريق الاغتيالات الخاص بالملك)، وتم اللقاء بالفعل، وأراد البنا من يوسف رشاد أن ينقل إلى جلالة الملك رسالة مفادها أنه وجماعته مخلصون للعرش ولجلالة الملك شخصيًا، لكن الملك الذى تصوره كثيرون ساذجًا لم يبتلع الطعم، وقال ليوسف رشاد «حسن البنا ضحك عليك». لم يثق الملك أبدًا فى البنا ولا فى جماعته وإن لم يمانع فى أن يستخدمهم الديوان الملكى فى بعض الألاعيب السياسية الصغيرة كالانتقام من النحاس والتشهير به وبالوفد، وفى البداية لم يكن لدى الملك مشاعر قلق أو خوف تجاه حسن البنا وجماعته، لكن يبدو أن مشاعر الملك بدأت فى التغير فى عام ١٩٤٨م.

فى منتصف يناير ١٩٤٨م وقع انقلاب فى اليمن على الإمام البدر ولا داعى إلى الخوض فى تفاصيله الآن وتفاصيل أوضاع اليمن آنذاك، لكن هذا الانقلاب وجد رفضًا وإدانة من الممالك الثلاثة مصر والسعودية وشرق الأردن، وهذا الانقلاب تم بمساندة من الإخوان ومن حسن البنا شخصيًا، ويمكن أن يكون الملك فاروق استشعر خطرًا من الجماعة ومن حسن البنا، صحيح أن البنا كان دائم التردد على القصر الملكى لتسجيل اسمه فى سجل التشريفات الملكية ويترك عبارات التحية والدعاء لجلالة الملك، لكن كانت تصل دلالات مضادة إلى القصر، فالبنا يعلن أكثر من مرة فى خطبه أن الملك بالبيعة لا بالوراثة، وكان تولى الملك فى أسرة محمد على بالوراثة، لقد أقر فرسان سنة ١٨٤٠م أن تكون مصر لمحمد على وأن يحكمها أبناؤه من بعده.. وكان حسن البنا دائم الحديث عن عودة دولة الخلافة، وهذه كلها

(١) راجع تفاصيل ذلك فى كتاب د. محمد صابر عربى عن حادث ٤ فبراير.

إشارات غير مريحة بالنسبة إلى القصر الملكى، فضلاً عن أن حسن البنا امتدت يده إلى الانقلابات العسكرية، ولم يعد يكتفى هو أو رجاله بالهتاف لرئيس وزراء ضد آخر، كما فعل مع إسماعيل صدقى والنقراشى، وبعد أيام من انقلاب اليمن جرت مظاهرات فى جامعة القاهرة، أو جامعة فؤاد وقتها، وأسقط المتظاهرون صورة الملك فاروق، وارتفع هتاف فى الجامعة «لا ملك إلا الله» وفهم على الفور أنه هتاف إخوانى بحت، كل هذا لا بد أن يثير قلق الملك فاروق؛ لذا وجدنا حسن يوسف وكيل الديوان الملكى يذكر فى مذكراته أن الملك كان يشعر أن الإخوان خطر على العرش.

وذهب كريم ثابت المستشار الصحافى للملك فاروق، إلى النقراشى للنقاش معه، وطلب إليه النقراشى أن يبلغ جلالته أن الإخوان صاروا أخطر، فقد طوروا شبكة اتصالات لا سلكية تتيح لهم الاتصال بعيدًا عن أعين الحكومة وآذانها، ويبدو أن كريم لم يكن واثقًا كثيرًا من مخاوف النقراشى، لكنه ذهب بالرسالة إلى الملك، ففوجئ بالأخير يقدم له نتيجة من نتائج السنة الجديدة التى تطبعها مصلحة المساحة، وقد نزع منها صورة جلالة الملك، ووضعت صورة جديدة، أطلق عليها الملك «صورة الملك الجديد» أى حسن البنا، وكانت هذه النتائج توزع فى دمنهور ويتم تداولها بين أعضاء الجماعة، وقال الملك: النقراشى كان عنده حق، الإخوان يريدون الحكم.

هذه الشواهد كانت مبررًا للقلق وللخوف من الجماعة، أو الحذر منها ومن مرشدها، لكن ليست مبررًا للحل ولا للتخلص من البنا، وليس هناك ما يشير إلى أن تفكيرًا بهذا المعنى جرى داخل الحكومة، وبدلاً من أن تقوم الجماعة بالتهدئة، إذا بغطرسة القوة تظهر، خاصة فى شهر نوفمبر ١٩٤٨م، حيث تم نسف شركة الإعلانات الشرقية وعدد من المشروعات المملوكة لليهود، ونسف حارة اليهود، وكان تبرير الجماعة أن ذلك يتم من أجل فلسطين، والواقع أن تحرير فلسطين يتم على أرض فلسطين وليس فى حارة اليهود بالقاهرة الإسلامية، وهذه التفجيرات تثير

الغضب، لكن فى خضم الحماس لفلسطين كان من الصعب أن يرتفع صوت قوى منددًا بها، وفى تلك الفترة ضبطت «السيارة الجيب»، وكان البوليس يسعى جادًا إلى مطاردة من قاموا بالتفجيرات والتوصل إليهم، ويبدو أن أعضاء التنظيم الخاص شعروا بذلك، وأن الأمن اقترب منهم فقرروا نقل أوراقهم وبعض أسلحتهم من إحدى الشقق إلى أخرى، وضبطت السيارة بالمصادفة، كانت بلا أرقام، اشتبه فيها أحد رجال الأمن، وبسرعة أبلغ وتم اكتشاف أسرار التنظيم الخاص وكانت أسرارًا مخيفة.

حين ضبطت السيارة الجيب كان البنا فى الحج، ولما عاد ذهب كعادته إلى القصر الملكى ليسجل اسمه فى التشريفات الملكية داعيًا لجلالته، ومتصورًا أنه سيجد فى الديوان الملكى الحضن الدافئ الذى اعتاد عليه، لكن الأمور ومعها المشاعر كذلك كانت فى طريقها إلى التغير.. ولم يقتنع البنا أو لم يدرك حجم المسألة، ظل مكتفيًا بالدعاء والتأييد العلنى للملك وإعلان أن جماعته بريئة مما نسب إليها، لم يقل إن بعض أعضاء انحرفوا أو تجاوزوا، لم يذكر شيئًا عن التنظيم الخاص، لكنه أصر على أن الجماعة لا علاقة لها بما نسب إليها. أمام النقراشى وأمام رجال الأمن المتابعين والمطلعين على دخائل الأمور كان البنا أمامهم يكذب، وفى مثل هذه الأمور لا يكون الكذب نقيصة أخلاقية، أو سلوكية لكن له دلائل سياسية أخرى، وتردد وقتها أن النقراشى اتخذ قرارًا باعتقال البنا، ولكن تم سحبه خوفًا من رد فعل الجماعة.. ويبدو أن النقراشى بدأ يفكر فى حل الجماعة، وصار مقتنعًا أكثر يوم ٤ ديسمبر ١٩٤٨م حين تم قتل حكمدار القاهرة اللواء سليم زكى.. ووصلت الأخبار إلى حسن البنا من مصادره وعيونه، فى الداخلية، أن عبد الرحمن عمار (بك) وكيل الداخلية بصدد إعداد مذكرة يرفعها إلى النقراشى باشا لحل الجمعية، وقرر البنا أن يتحرك بطريقته الفوقية، فاتجه مباشرة إلى جلالة الملك راجيًا ومستعطفًا، وقفز بذلك على الحكومة وعلى وزارة الداخلية وجهاز الأمن.

وقد كشفت حفيدة النقراشى د. هدى أباظة الأستاذ بآداب عين شمس فى كتابها حول النقراشى، عن وثيقتين مهمتين فى أوراق جدها[1].. الأولى رسالة مطولة بعث بها حسن البنا يوم ١٥ ديسمبر ١٩٤٨م، إلى جلالة الملك، وذهب إلى الديوان الملكى وسلمها هناك، الرسالة مطولة ومكتوبة على ورق من أوراق الجماعة، بالآلة الكاتبة وتحمل توقيعه، ويبدو أنه لم يكن يدرى أو لم يتصور أن الرسالة ستحال إلى النقراشى، الرسالة كتبت بعد ٢٤ ساعة من مصرع سليم زكى، ولا نعرف هل قرأها الملك أم لا.. وهل أحيط علمًا بها أم لا.. لكن الديوان الملكى أحالها فى اليوم التالى إلى رئيس الوزراء، وقال رئيس الديوان واصفًا الرسالة بأنها «التماس تلقاه الديوان من حسن البنا».

الرسالة الالتماس، تحمل عناصر ثلاثة.. الأول يختص بالتعبير عن الولاء لجلالة الملك والإخلاص للعرش «أصدق آيات الإخلاص وأخلص معانى الولاء».

الثانى: الطعن الشديد فى النقراشى أمام الملك، وتحريض الملك عليه ومحاولة إحداث وقيعة بين الملك ورئيس وزرائه.

الثالث: أنه يتقدم بالالتماس بعد أن نما إلى علمه أن رئيس الحكومة بصدد اتخاذ قرار حل الجماعة.

يقول البنا: «يا صاحب الجلالة! إن الإخوان المسلمين باسم شعب وادى النيل كانوا يلوذون بعرينكم وهو خير ملاذ ويعوذون بعطفكم وهو أفضل معاذ ملتمسين أن تتفضلوا جلالتكم بتوجيه الحكومة إلى نوع من الصواب أو بإعفائها من أعباء الحكم ليقوم بها من هو أقدر على حملها ولجلالتكم الرأى الأعلى». ويقول أيضًا: «يا صاحب الجلالة لا يقوى أبدًا دولة النقراشى باشا على أن يضطلع بأعباء التصرف

(١) راجع نصها فى الملحق الوثائقى بنهاية الكتاب.

بما يحفظ كرامة مصر ويصون حقوق هذا الوادى ». وكان قوله الأخير مناقضًا تمامًا لما قاله هو نفسه عن النقراشى قبل عام، ويذهب إلى حد تحميل النقراشى مسؤولية ما جرى فى فلسطين فى تجن واضح ونفاق مباشر للملك.. المهم فى هذه الرسالة أنه يبرئ الجماعة تمامًا من كل أعمال العنف التى نسبت إليها، غير هذه الرسالة / الالتماس راح يبحث عن كل الطرق إلى الملك، جرب قناته السرية «يوسف رشاد» فلم يتمكن، ويبدو أنه أدرك أن طريقه نحو الملك مغلق تمامًا، فاستدار بنحو ١٨٠ درجة ليتوجه إلى النقراشى باشا، والواضح أنه أدرك أن الأمور لم تعد سالكة بشكل مباشر مع النقراشى، وبالتأكيد علم أن رسالته إلى الديوان الملكى أو الالتماس الذى تقدم به إلى الملك أحيل إلى النقراشى وبه كلام سخيف بحق النقراشى، فذهب إلى «حامد جودة» وكان سعديًا ورئيس مجلس النواب وتربطه صلة حميمة وقرابة بالنقراشى، استمع إليه جودة جيدًا، كان حسن البنا لا يريد قرار الحل، وأكد أن الجماعة تؤدى دورًا دينيًا، وأنه سوف يبتعد بها عن السياسة، وتفهم النقراشى ذلك كله، وكانت لديه رغبة فى عدم الوصول إلى هذه الخطوة، لكن كانت له مطالب ثلاثة من حسن البنا، وهى أن يدلهم على أسماء من قاموا بالعمليات الإجرامية التى روعت الآمنين فى القاهرة .. فقد كان هناك ضحايا وقتلى من المدنيين سقطوا فى تلك العمليات. طلب النقراشى أيضًا أن يكشف لهم حسن البنا عن مخازن الأسلحة التى لدى الجماعة وحجم ما بها من تسليح، وبذلك يضمن النقراشى عدم تكرار حوادث العنف وأن الجماعة - فعلاً - سوف تصبح كما يقول البنا للدعوة فقط، والمطلب الأخير كان أن يعلن البنا لهم مكان الإذاعة السرية التى أقاموها، وكان لدى الإخوان إذاعة تبث من شقة فى باب اللوق، وتقدم برامج موازية لما تقدمه الإذاعة المصرية، وحاولت أجهزة وزارة الداخلية الوصول إلى مقر تلك الإذاعة فلم يتمكنوا .. الغريب فعلاً أن حسن البنا استطاع اختراق أجهزة الأمن وغيرها من الأجهزة الحكومية بتجنيد عملاء من داخلها بينما تفشل أجهزة الأمن فى فعل الشئ نفسه داخل الجماعة.

عرضت مطالب النقراشي على البنا، فرد بكلام لا بد أنه أغاظ النقراشي والمحيطين به، اكتفى البنا بالقول إن كل هذه الأمور التي يتحدث عنها دولة الباشا لا يعرف عنها شيء بالمرة، وكان معنى هذا الكلام أن البنا بين أمرين، إما أنه لا يدرى شيئًا داخل الجماعة أو أنه يكذب، الأمر الأول كان مستبعدًا بالنسبة إلى رجل متسلط وفى قوة شخصية البنا على أتباعه.

النقراشي لم يبتلع هذا الكلام نهائيًا ولم يصدق حسن البنا، لأن بعض أعضاء التنظيم الخاص الذين قبض عليهم اعترفوا أن كل العمليات التي نفذوها تلقوا بها تكليفًا مباشرًا من فضيلة المرشد العام، ومعنى هذا أن المرشد العام كان يكذب على النقراشي، وهذا يعنى عدم جديته فيما بطرح وافتقاده المصداقية أمامه؛ لذا أصر النقراشي على مطالبه من حسن البنا، كى يتوقف عن التفكير فى حل الجماعة. لجأ حسن البنا إلى مرتضى المراغي طالبًا منه التوسط لدى النقراشي ، وبينما هو يتحدث معه انفعل مهددًا النقراشي[1]، ولا نعرف هل قصد أن يصل الغضب والتهديد إلى النقراشي أم يصل إلى المراغي نفسه، فيعمل على تهدئة المراغي، لكن النقراشي كان مصرًا.. فقرر أن يذهب إلى مكتب النقراشي باشا طالبًا أن يجتمع به.. فقابله عبد الرحمن عمار (بك) وجلسا معًا، وأعد عمار تقريرًا رفعه إلى النقراشي - ذلك التقرير هو الوثيقة الثانية التي أتاحتها للباحثين د. هدى أباظة - وجاء فى التقرير أن حسن البنا «.. تكلم مادحًا النقراشي باشا قائلاً إنه على يقين من نزاهته وحرصه على خدمة وطنه وعدالته فى كل الأمور». كان ذلك عكس ما قاله فى التماسه للملك، حيث قال إن النزاهة وطهارة اليد اللتين يتمتع بهما النقراشي لا تكفيان لتحمله رئاسة الوزارة.. وجاء فى التقرير أيضًا «إنه لو تمكن من مقابلة دولته بعد أن مضت سنتان لم يلتقيا فيها بسبب فجوة أثارها الوشاة لأقنع دولته بأنه من صالح الحكومة والأمة معًا أن يبقى

(١) روى مرتضى المراغي المشهد كاملاً فى مذكراته التي نشرت فى مجلة أكتوبر ثم صدرت فى كتاب مستقل عن دار المعارف.

الصرح الضخم الذى جاهد الإخوان سنوات طويلة فى إقامته». تحول الأمر إلى مجرد فجوة ناجمة عن وشاية بينهما وأنه سيقنع الباشا بأهمية الجماعة للحكومة، أى له.

فى التقرير ما يفيد أن حسن البنا قام بتغيير إستراتيجيته بالكامل، وبذكاء أو خبث شديد، فى التماس إلى الملك نفى تمامًا أى دور أو مسؤولية لجماعته عن أعمال العنف التى وقعت، واتهم النقراشى صراحة بأنه متحامل على الجماعة ويحاول أن يلصق بها تهمة تلك الأعمال ويحملها المسؤولية، والمعنى أن النقراشى رئيس الوزراء ووزير الداخلية يبحث عن كبش فداء، يحفظ به ماء وجهه أمام الملك.. لكنه فى مكتب النقراشى، قال شيئًا جديدًا، يبدو أنه قرار عدم مجادلة النقراشى فى هذا الأمر، وقدم ما اعتبره إغراء للباشا وتنازلاً ضخمًا من جانبه «يريد أن ينهى إلى دولة رئيس الوزراء بأنه قد عدل نهائيًا عن الاشتغال بالشؤون السياسية، وقصر نشاط الجماعة على الشؤون الدينية كما كانت الحال فى بداية قيام جماعة الإخوان وأنه يود من كل قلبه التعاون مع دولة الرئيس تعاونًا وثيقًا مؤيدًا للحكومة فى كل الأمور، وأنه كفيل بتوجيه رجاله فى كل الجبهات بالسير على مقتضى هذا الاتجاه».

ويقول عبد الرحمن عمار فى تقريره إن البنا «كرر ذلك المعنى وبكى بكاءً شديدًا». والواقع أن أى سياسى مثل النقراشى لم يكن ممكنًا له أن يأخذ بجدية كلام البنا، هو يقرر أنه سيعود بالجماعة إلى ما كانت عليه تمامًا ويترك الانشغال بالسياسة والاشتغال بها، لكنه يعود لينفى ذلك، فى نفس الجلسة حين يقول إنه يود التعاون مع رئيس الوزراء وأن يؤيد حكومته، وقد وصف هو التعاون المأمول بأنه «وثيق»، وهذا بحد ذاته قمة الاشتغال بالسياسة، لكن الخطير حقًا فى الرسالة ويدين نفسه به ويؤكد اعترافات بعض أعضاء التنظيم الخاص من أنهم تحركوا بأوامر المرشد حين قال لعمار بل إنه كفيل بتوجيه رجاله إلى العمل فى هذا الاتجاه، وهذا اعتراف منه أنهم يسيرون بأوامره وتوجيهه فى كل ما يقومون به، أو كما جاء فى التقرير «فى كافة الجهات». ولم يكن حسن البنا ساذجًا، فلا بد أن يتوقع سؤالاً من النقراشى ومن المحيطين به

من رجال الداخلية.. ماذا عن العمليات التى تمت خاصة وأن هناك ممتلكات أتلفت، وضحايا سقطوا؟ لذا انتهى إلى حل يعفيه هو وجماعته من كل هذه العمليات وإن لم ينكرها، وجاء فى التقرير «..أعرب عن أسفه لما وقع من جرائم ارتكبها أشخاص يرى أنهم اندسوا على الإخوان».

حسم البنا الأمر بسهولة شديدة هو يأسف - مجرد أسف - لوقوع قتلى.. مواطنين أبرياء وسقوط جرحى وتدمير المنشآت .. ومن قاموا بها ليسوا إخوانًا بل مندسين عليهم.. من الذى دسهم.. ولماذا .. وقد يدس أحد عنصرًا للحصول على المعلومات أو التجسس على الآخرين، كما فعلها البنا نفسه مع الآخرين، خاصة الشيوعيين ومصر الفتاة، لكن من يدس عنصرًا للقتل؟

ذهب عمار بالتقرير إلى النقراشى الذى قرأه بعناية وناقش عبد الرحمن عمار فى تفاصيله، والواضح أنه لم يكن يريد أن يقابل حسن البنا أو حتى يراه، فى أعماقه لم يكن يثق به، كان حسن البنا متلونًا ومتقلبًا، وكان النقراشى شخصية حادة ومستقيمة، وعاد النقراشى يؤكد لعبد الرحمن عمار .. إن كان البنا صادقًا فيما يقول فعليه أن يكشف أسرار التنظيم الخاص، وكان من المستحيل أن يكشفه البنا، فلو كشف فهو المدان الأول، هو الرئيس المباشر والأعلى للتنظيم. تابع تفاصيل نشأته ونموه.. تدريبًا وتسليحًا.. وكان التنظيم من ألفه إلى يائه خروجًا على القانون، وهو - حسن البنا - كما يقول أتباعه من أعطى الأمر بكل عملية من عملياته، لو كشف التنظيم فسوف يدان أمام القانون، فضلاً عن أنه لا يأمن انتقام أعضاء هذا التنظيم. وهكذا حسم النقراشى أمره واتخذ قرار الحل يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨م.

نعرف أن مرتضى المراغى رأى التريث فى الحل لأن هناك بعض خلايا للتنظيم ومخازن أسلحة ومفرقعات لم يتم للأمن التوصل إليها، عدد من الوزراء حذروا لأن الجماعة اخترقت الجيش. إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى كان يرى عدم حل الإخوان، وأنه يمكن الاستفادة منهم خاصة فى تحجيم نشاط الوفد، واقترح

عبد الهادى الاكتفاء بتحجيم نشاط الإخوان .. والواقع أن التنظيم الخاص أوقع الرعب فى نفوس الكثيرين، كان جهاز معلومات ومخابرات يفوق جهاز الأمن الرسمى، وكان كذلك جهاز عنف وإرهاب، ورغم كل ما يقال من أنه أنشئ خصيصًا للعمل ضد الإنجليز والصهاينة، فالواقع أنه عمل ضد المصريين فقط، لقد أفهم حسن البنا رجال السفارة الأمريكية أن التنظيم أنشئ للكفاح ضد الشيوعية والشيوعيين فى مصر، وكان يأمل من وراء ذلك أن ينتقل هذا الرأى إلى الإنجليز عبر الأمريكان، وسرب شيئًا من هذا إلى الملك، وفى العلن قال للمصريين إنه ضد المحتلين، ولم يكن صادقًا فى هذا ولا ذاك، كان التنظيم ضد خصومه وخصوم جماعته أولاً، وضد من لا يسير على نهج الجماعة، حدثنى الراحل سيد أبو النجا، فى حوار مستفيض بمنزله(١)، وكان أبو النجا يعمل فى مجال الإعلانات منذ عودته من بعثته فى إنجلترا، كان يعمل مع محمود أبو الفتح فى «المصرى»، وكان يعمل أيضًا فى شركة الإعلانات الشرقية ليزيد دخله، وذات يوم جاءه استدعاء من التنظيم الخاص أنه مطلوب للمحاكمة بتهمة العمل مع اليهود، وكان تفكيره أن لا يعير الأمر أى أهمية أو أن يبلغ البوليس إن اقتضى الأمر، واستشار أستاذه محمود أبو الفتح صاحب المصرى، فهو يعمل معه، ونصحه أستاذه أن يأخذ الأمر بجدية كاملة وإذا كانوا يطالبونه بالمثول أمامه، فليمثل، لأنهم سوف يضايقونه، وربما قتلوه إن لم يفعل، وإذا أبلغ البوليس فلن يتمكن من حمايته، ولن يفعل له شيئًا، وذهب بالفعل مدافعًا عن نفسه بأنه أزهرى التعليم والثقافة وإنه حين يعمل فى شركة مملوكة لليهود فإنه بذلك يحصل على مكان فى هذه الشركة لمسلم وهو يلتزم فى عمله بالقيم الإسلامية.. وانتهى الأمر بالنسبة إليه، أمام قوة هذا التنظيم وأخطبوطيته حذر كثيرون النقراشى، ويكفى أن نعرف أن أربعة خطابات وصلت إلى النقراشى على مكتبه مليئة بالشتائم والكلمات البذيئة والتهديد بالقتل إن هو أقدم على حل الجماعة، ولم يعرها أى اهتمام،

(١) جرى الحوار سنة ١٩٩٠م، ونشر على حلقتين بمجلة «حواء».

واعتبرها من باب «اللغو»، وتبين بعد اغتياله أن عبد المجيد حسن هو الذى قام بكتابة هذه الخطابات المجهلة، لكن الأخطر من ذلك أن هناك خطابات مشابهة وصلت مجهلة إلى بيت النقراشى، ولكن هذه المرة ليست له بل إلى زوجته، تهددها ليس بقتل زوجها، بل بما هو أقسى عليها، وهو اختطاف ابنها وابنتها إن أقدم زوجها على أى شيء تجاه الجماعة[1]، وقد سبب لها ذلك ألمًا وقلقًا فظيعًا، خوفًا على ابنها وابنتها من ناحية وخوفًا على زوجها، ومن ناحية أخرى لم يكن من حقها أن تتدخل فى عمل الزوج والقرارات التى يتخذها، وليس لها أن تطلب إليه اتخاذ قرار ما أو عدم اتخاذ قرار بعينه.

كان الحصار يشتد حول النقراشى، لا تريد الجماعة أن تترك له فرصة، ولا هى ساعدته باتجاه التهدئة، بل استمر التنظيم الخاص فى عملياته، لم يردعه المرشد، ومكنت حرب فلسطين التنظيم من جمع وتخزين أكبر كمية من السلاح والذخيرة، وقد استعمل هذا السلاح فى تفجيرات الداخل، من جهة أخرى مارست الجماعة عليه ضغوطًا عنيفة، بدأها حسن البنا نفسه بمهاجمته لدى الملك فى الالتماس الذى تقدم به، ثم فى محاولة استدرار عطفه بالتوسل والبكاء فى مكتبه، فضلاً عن خطابات التهديد له ولمنزله، وربما لو كان هناك رئيس وزراء آخر غيره لتريث كثيرًا فى القرار، لكنه كان عنيدًا وثوريًا، كان يعرف النهاية، وقالها لمرتضى المراغى.. آخرتها رصاصتين..، وطلب من عبد الرحمن عمار تجهيز مذكرة بحل الجماعة، ويبدو أن حسن البنا لم يتوقع أبدًا أن يصدر مثل هذا القرار، ليس فقط بسبب التحذيرات والتهديدات أو الضغوط التى مورست على النقراشى، بل كان يدرك أن الكل سبق وأن احتاج إليه، وأنهم سوف يبقون فى احتياج إليه، بدءًا من الديوان الملكى ومرورًا ببقية الأحزاب من الوفد إلى الأحرار الدستوريين والكتلة ثم السعديين، فضلاً عن طريقه المفتوح مع السفارة الأمريكية بالقاهرة والمشروع المشترك بينه وبينهم فى

(١) هذه الواقعة روتها لى حفيدة النقراشى د. هدى أباظة.

بمكافحة الشيوعية، لكنه لم يكن يدرك أنه تجاوز الخطوط الحمراء، وأنه قد يكون هناك احتياج إلى الجماعة، فى أداء بعض الأدوار، لكنه لم يعد هناك احتياج إليه هو، وأنه كان عليه - منذ مقتل الخازندار - أن يتخذ خطوات بتحجيم التنظيم الخاص أو حتى تسريحه وإعادة توزيع أعضائه على شعب الجماعة، لكن من جهة أخرى كان هو نفسه بحاجة إلى هذا التنظيم ليخيف به أعداء الجماعة، بل وقمع به أى تمرد عليه داخل الجماعة. كانت القوة عنصرًا مهمًا فى تفكيره وخططه، القوة العسكرية بالأساس.

يوم ٢٨ ديسمبر أطلق الرصاص على النقراشى أمام أسانسير وزارة الداخلية، استقرت ثلاث رصاصات فى ظهره، انطلقت من مسدس طالب تنكر فى زى ضابط شرطة.. هو طالب بكلية الطب البيطرى اسمه عبد المجيد حسن، والغريب أن الداخلية كانت طلبت اعتقاله بتهمة الانتماء إلى الجماعة، لكن النقراشى كان ضد التوسع فى الاعتقالات، والغريب أيضًا أن النقراشى كان منح الطالب مجانية فى التعليم مدى حياته تقديرًا لوالده الذى كان يعمل بالداخلية.

فوجئ حسن البنا برد الفعل على اغتيال النقراشى ، حتى أن خصوم النقراشى من الوفديين بادروا باستنكار العملية والهجوم على منفذها، وصل الرعب إلى الديوان الملكى، حاول البنا فى كل الاتجاهات، لكن كل الأبواب أغلقت فى وجهه، لم يعد أحد يثق به ولا أحد يأمن إليه، اكتشف الجميع - كل بمقدار- أنهم ربوا وحشًا مدمرًا، وقد بدأ يلتهمهم واحدًا وراء الآخر، بدم بارد، كان البنا يريد تأمين حياته أولاً وإعادة الجماعة ثانيًا، وكان الرأى فى الأوساط الحزبية والسياسية المصرية أن المشكلة ليست فى الجماعة، بل فى رأسها حسن البنا نفسه، وتم الخلاص منه فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩م.

وقد اتهم فريق من الإخوان «الملك فاروق» بأنه وراء اغتيال حسن البنا ، وهذا كلام يفتقد إلى أدلة، ويبدو أن بعض الإخوان بلغ بهم الاعتزاز بمرشدهم المؤسس

بأن يكون الملك قاتله، وليس أقل من ذلك، لقد خرج الملك من مصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢م، وتم تقليب أوراقه جيدًا، ولو كان هناك شيء يدينه فى هذه العملية لظهر وتم استخدامه، فور خروجه من مصر بدأت حملة تشهير واسعة به، بدأها مصطفى أمين فى أخبار اليوم تحت عنوان «ليالى فاروق». ولو كان له صلة بالعملية من قريب أو من بعيد لما سكت عنه أحد، يضاف إلى ذلك أن الملك كان لديه «الحرس الحديدى» يقوم بالعمليات القذرة، وكان «الحرس الحديدى» تحت إشراف يوسف رشاد، صديق حسن البنا، وكانت طريقتهم فى تنفيذ العمليات مختلفة تمامًا عن الطريقة التى جرت مع حسن البنا، وقصة السيارة السوداء التى كانوا يستخدمونها معروفة، لقد تحدث بعض أعضاء الحرس الحديدى ونشروا مذكراتهم، ولم نجد فيها شيئًا يتعلق بالمرشد العام، ولم يكن الملك غبيًا ليتورط فى هذه العملية، كان يعرف أن خصوم حسن البنا كثيرون، وكارهوه ليسوا قليلين، وراغبو الخلاص منه عديدون، هو نفسه أشار ذات مرة إلى السعديين.

تحدث الإخوان كثيرًا فى أدبياتهم عن دور الملك فاروق فى العملية وعن الانتقام الإلهى الذى حل به وزوال عرشه، وأن خروجه من مصر كان عقابًا إلهيًا لما حدث مع حسن البنا، والله سبحانه وتعالى لا يدير الكون بهذا المنطق، ولم يكن للملك فاروق دور مباشر فى هذه العملية، صحيح أن فاروق لم يكن يثق بحسن البنا، لكن البنا حتى وفاته كان من أشد الناس مدحًا لفاروق.

ويبدو أن رجال التنظيم الخاص كانوا مقتنعين بأن الملك وراء الاغتيال؛ لذا سعوا إلى اغتياله، إذ يحكى مرتضى المراغى – فى مذكراته – إنه تم العثور على مسدس فى جيب عامل الأسانسير الخاص بقصر القبة، وهو الأسانسير الذى كان يستعمله الملك فاروق، ولكن شاءت إرادة الله أن يبيت الملك ليلتها خارج القصر، وبالتحقيق مع هذا العامل تبين أنه عضو بالتنظيم الخاص للجماعة، وقد واجه المراغى المرشد الثانى حسن الهضيبى بتلك الواقعة.

واقعة اغتيال النقراشي حملت تحديًا خاصًا لحسن البنا، تمت العملية بينما قائد التنظيم عبد الرحمن السندي مقبوض عليه، وظل عبد المجيد حسن ملتزمًا الصمت، واتجه التركيز إلى مسؤولية البنا المباشرة عن هذه العملية، خاصة بعد أن رفض النقراشي مقابلته وتوسلاته، كان اتجاه التحقيق يسير نحو إدانة البنا مباشرة، ويبدو أنه أراد أن يبرئ نفسه فأصدر بيانه الشهير «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين»، ولما حمل المحققون البيان إلى عبد المجيد، فكت عقدة لسانه، وجاء في اعترافاته أن العملية نفذت بتعليمات من المرشد، وأنه الذي أقنعه بتنفيذها وأفتاه بمشروعيتها رجل المرشد في التنظيم سيد سابق حيث تلا على عبد المجيد حسن الآية القرآنية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الأنفال: ٤٥]. واستدعت النيابة سيد سابق للتحقيق فيما نسبه إليه عبد المجيد حسن فأنكر تمامًا وأدان ما قام به عبد المجيد وتلا قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٩٣][1].

سعى البنا إلى مقابلة إبراهيم عبد الهادي الذي أصبح رئيسًا للوزراء بعد النقراشي، وكان البنا يتصور أن بيانه سوف يفتح الباب أمامه، لكن عبد الهادي قالها صريحة لن يجلس معه قبل أن يعترف بأسماء وأعضاء التنظيم ومخازن الأسلحة، فرد البنا بأنه لا يعرف، وعاد البنا ثانية يطلب .. إذا كان رئيس وزراء مصرًا على مطلبه فهو يشترط إما الإفراج عن الأعضاء ليعرف منهم، أو أن يعتقل إلى جوارهم، كي يعرف كل شيء منهم، ولم يكن حسن البنا في وضع يسمح له بعرض شروط، فضلاً عن أن هؤلاء المسؤولين لم يكن لديهم استعداد للاستماع إلى شروط منه، هو ليس مصطفى النحاس كي يشترط، هم اعتادوا منه المديح والتوسل وأن يقدموا له

(١) راجع د. سيد عبد الرازق: محمود فهمي النقراشي، ص ٦٦٠.

ولجماعته الهبات وأن يقوموا بتوظيفه هو وجماعته فى خدمات وأدوار يقومون بها. سوف نلاحظ أن الشرطين اللذين وضعهما البنا كان لهما معنى وحيد، هو أنه يبرئ نفسه من أى تهمة، ولكن لا ينفيها عن إخوانه وجماعته، وربما كان يناور لكسب مزيد من الوقت، لإبعاد شبح الموت عنه.

بيان «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين» واستعداد البنا للتعاون مع الحكومة بكشف التنظيم، هو الذى جعل التفكير يتجه إلى أن رجال التنظيم هم الذين اغتالوه، وهذا أيضًا من باب التوقعات، ربما كان ممكنًا حدوث ذلك، لكن الواقع الفعال أن الذين قاموا بعملية الاغتيال لم يكن لهم صلة بالتنظيم، كانت صلتهم ببعض رجال الداخلية، ولو كان للتنظيم الخاص صلة أو مسؤولية عما جرى لحسن البنا، لما تردد رجال الثورة فى كشفها، خاصة بعد أن حاولوا اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية سنة ١٩٥٤م، لقد قام رجال التنظيم بمحاولة اغتيال أحدهم وهو سيد فايز، حين أراد المرشد الثانى حسن الهضيبى تعيينه بدلاً من عبد الرحمن السنوسى، وقاموا بمحاصرة حسن الهضيبى فى منزله، لكن لم يثبت أنهم فعلوا شيئًا من هذا مع حسن البنا، أقصى ما حدث أن احتد عليه السندى بعد واقعة اغتيال الخازندار، وقيل إن السندى دفع البنا فى كتفه وهو يقول له «لقد قلت لى»، يقصد أنه قال له يقتل الخازندار.

لا يبقى سوى انتقام السعديين لزعيمهم أو انتقام بعض رجال الداخلية، كان هناك فريق من السعديين يصر على الثأر لقتل النقراشى، لقد شعروا بالإهانة، من طريقة مقتله، وربما كان بعض رجال الداخلية، لقد قتل الإخوان فى شهر واحد، حكمدار القاهرة اللواء سليم زكى ثم وزير الداخلية محمود فهمى النقراشى، قيل، وهى روايات شفوية: إن حامد جودة هو الذى تولى إحضار القتلة، وقيل آخرون.. لكنها فى النهاية أقوال مرسلة لا يمكن تأكيدها ولا إثباتها، المؤكد أن حسن البنا قتل، وأن الذين أطلقوا الرصاص عليه كانوا محدودى الكفاءة فى التخطيط والتنفيذ،

أين تلك العملية مما فعله عبد المجيد حسن.. وهذا يبعد فكرة أن تكون العملية انتقامًا رسميًا من الداخلية، هى على الأغلب انتقام سعدى[1].

ويبدو أنه كان هناك من يصر على الانتقام للنقراشى، وقد جرت واقعة لم يتوقف أحد عندها، جرت فى ليلة ٢٣ نوفمبر ١٩٥٢م، وحققتها مجلة المصور - عدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٢م - فى ذلك اليوم افتتح الشيخ «حسن الأحمر» فى قريته «عين غصين» بالإسماعيلية شعبة الإخوان، ولم تكن الشعبة افتتحت منذ حل الجماعة فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، وفى نفس اليوم تم إطلاق الرصاص على الشيخ حسن فى منزله ومات، كان الأحمر من تجار القطن بالمنطقة، وتبين أن قاتله هو حسنين هاشم، كان حسنين من الشرقية، وذهب قبل الجريمة بأسبوعين إلى الأحمر طالبًا أن يعمل لديه، وكان يبيت فى مدخل منزل الأحمر.. حامت الشبهات حول أحد الأشقياء فى القرية، فاضطر ذلك الشقى أن يكشف كل شيء، وهو أن «الأحمر» سجن عامين فى الهايكستب؛ لأنه هو من درب عبد المجيد حسن قاتل النقراشى على إطلاق الرصاص وجهزه لتنفيذ العملية، أما من قام بقتل الأحمر والذى ذهب خصيصًا إليه فقد كان حارسًا فى ليمان طرة واستقال من عمله قبل أسبوعين، وذهب إليه، لم يهتم أحد وقتها بهذه الجريمة ولم يتابعها أحد بالبحث، لكن الواضح أن القاتل استقال خصيصًا من عمله وذهب إلى هذا الرجل فى قريته لينفذ العملية التى قام بها. فى التحقيقات اعتبرت المسألة جريمة قتل عادية، لكن الواضح أنه كان مدفوعًا إليها.. نحن بإزاء حلقة من حلقات الثأر لمقتل النقراشى.

قتل النقراشى أولاً بسبب قرار اتخذه ورأى ارتآه، واعتبره أنصاره شهيدًا. وقتل حسن البنا فى عملية ثأر. وحين قتل كان يقال عنه «المرحوم»، كان وحده يستعمل هذه الكلمة وكان الآخرون يستعملون كلمة «القتيل»، لكن منذ السبعينيات وحين عادت الجماعة إلى العمل أطلق عليه أنصاره لقب «الإمام الشهيد». من الشهيد ومن القتيل بالضبط؟ النقراشى أم البنا؟!

(١) ذكر بعضهم أن أرملة النقراشى قدمت هدايا لمن أطلقوا الرصاص على البنا، ودفعت لهم مكافأة مالية، وقد نفت أسرة النقراشى ذلك نفيًا تامًا.

الفصل الثالث عشر

الغرق فى «بحيرة العسل»

في أكتوبر من عام ١٩٠٦م ولد في المحمودية حسن أحمد عبد الرحمن البنا، بعد عام وبضعة أشهر على رحيل الإمام محمد عبده، وأربعة أعوام على رحيل عبد الرحمن الكواكبى، كان كل من محمد عبده والكواكبى يعبر عن مدرسة واتجاه في التفكير، جاء حسن البنا ليكون نقيضًا لكل منهما وانقلابًا عليه، خاصة الأستاذ الإمام محمد عبده، فبينما كان محمد عبده يسعى إلى إعادة تأسيس العقلانية في التعامل مع التراث والفقه الإسلامى، كان البنا يعيد إحياء السلفية بمعناها الضيق، وفى حين أن محمد عبده اختلف مع أستاذه الأفغانى، وحاول أن يجعل مفهوم «الوطن» والوطنية المصرية بعدًا أساسيًا في تفكيره، دون انعزال أو ابتعاد عن البلدان الإسلامية، عمل حسن البنا جاهدًا على إعلاء مفهوم الخلافة والدولة الدينية على المفهوم الوطنى، أما الكواكبى فقد اجتهد لمقاومة الاستبداد والتسلط العثمانى في المقام الأول، وإعطاء المسلم في وطنه حرية التفكير والتعبير، في المقابل كان حسن البنا يعلى من الاستبداد الفردى بصورة خطيرة وتحدث عن «الخليفة» باعتباره ظل الله على أرضه.

ومن بداية حياته كان حسن البنا طفلاً مختلفًا، قضى في «الكُتّاب» أو مدرسة الرشاد عدة سنوات دون أن يتم حفظ القرآن الكريم، وقد أغضب ذلك والده كثيرًا، صحيح أن حسن البنا وعد والده أن يتم حفظ القرآن الكريم، لكن لا يوجد ما يثبت أنه حقق وعده لوالده، وهذا ما حال دون أن يلتحق بالأزهر ويصبح أزهريًا. لكن ظهرت موهبة حسن البنا مبكرًا في العمل السرى وتخويف الآخرين، أو من يرى،

وهو طفل، أنه لا يسير على الصراط المستقيم، إذ كان يحرر خطابات مجهلة إلى هؤلاء مليئة بالتهديد والوعيد لأناس مسالمين من أبناء بلدته، وقد أمسك به ذات مرة صاحب مقهى فشكاه إلى والده طبقًا لروايته هو في مذكراته، هذه الموهبة والميل الغريزى لديه في العمل السرى سوف تصاحبه طوال حياته وستكبر معه، خاصة بعد تأسيس جماعة الإخوان المسلمين.

فى اللائحة الأولى لجماعة الإخوان ١٩٣٠م، نجد فيها نصًا واضحًا على أن الجماعة ليس لها صلة بالسياسة من قريب أو بعيد، وأنه لا يجوز في اجتماعاتها انتقاد الشخصيات العامة بالاسم ومن يفعل ذلك يخرجه رئيس الجماعة فورًا من الاجتماع، لكن في اللائحة الثانية للجماعة اختفى ذلك تمامًا، وظهرت فيها بنود هى من صميم العمل السياسى، وحول حسن البنا جماعته لتصبح مشروعًا سياسيًا – في المقام الأول – وما عدا ذلك من نشاط جماعته هو مجرد حواش وغطاء لذلك المشروع، والحق أن عين حسن البنا كانت على السياسة منذ وقت مبكر، ويبدو ذلك حين وجدناه يبعث برسالة إلى الملك فؤاد حول التعليم الدينى، امتلأت الرسالة ثناءً ومديحًا على الملك فؤاد، الذي لم يكن كثير من المصريين يحبونه، وأمراء الأسرة العلية والوزراء والكبراء، من البداية كان يبحث عن موطئ قدم له في السياسة وعالمها، آنذاك لم يكن لديه الكثير من مؤهلات العمل السياسى، فضلاً عن أدواته، كانت المؤهلات أن يكون صاحبها نال حظًا كبيرًا من التعليم في إحدى الجامعات الكبرى بأوروبا أو أن يكون من كبار علماء الأزهر، أو أن ينتمى إلى واحدة من العائلات الكبرى في المجتمع المصرى أو أن يكون قام بدور وطنى كبير فى أثناء ثورة ١٩١٩م أو أن يكون لعب دورًا بارزًا فى قضية ما، وأخيرًا أن ينتمى إلى واحد من الأحزاب القائمة، ويتم تصعيده من خلاله، وهو كان بلا أى ميزة من تلك الميزات، فقد نال حظًا متواضعًا من التعليم، لم يتخرج من أى من الجامعات الأوروبية، ولا حتى من الجامعة المصرية ولا جامعة الأزهر، لقد نال دبلوم دار العلوم، أى أنه لم ينل حتى الشهادة العالية،

ولم يكن من ذوى الثقافة الواسعة مثل عباس العقاد، لم يكن البنا يعرف حتى اللغة الإنجليزية، ويذكر جمال البنا أنه ذات مرة طلب إلى شقيقة الأكبر أن يدرسا معًا كتابًا بالإنجليزية، وكان يقصد أن يلم الشقيقين ببعض مبادئ تلك اللغة، فرد عليه شقيقه ردًا ألجمه تمامًا، وينم عن الرفض الكامل، إذ قال له قم نقرأ آيتين في القرآن أحسن[1]. وهو لم يكن شارك في ثورة ١٩١٩م، صحيح أنه كان لا يزال بالمحمودية، والثورة عمت البلاد المصرية كلها، هو لم يكن منخرطًا في تلك العملية، بينما وجدنا سيد قطب في «طفل في القرية» يحدثنا عن مشاركته بالخطابة بين أبناء بلدته ضد الاحتلال الإنجليزى ومناصرة الثورة وزعيمها سعد زغلول.. وكان حسن البنا من أسرة فقيرة وبسيطة، يكدح عائلها بشرف وكرامة لرعاية أسرة كبيرة العدد بالأبناء والبنات، هو كذلك لم يكن عضوًا بأى حزب ولا كانت لديه رغبة في الانضمام إلى أى حزب، كان يكره الأحزاب ويرفضها، ويبدو أنه فهم الأحزاب السياسية القائمة والحزبية عمومًا، بالمعنى الذي أشار إليه القرآن الكريم للأحزاب التى كانت مناوئة للرسول وللإسلام في بداية الدعوة بمكة المكرمة ثم المدينة المنورة.

لم يكن مستريحًا للأحزاب القائمة ولا لمبدأ الحزبية عمومًا، لكنه كان يحب السلطة ممثلة في مليك البلاد؛ لذا وجدناه يتحين الفرص لمخاطبة الملك فؤاد والإشادة به، لكن الملك فؤاد كان وقتها في نهايات حياته، وكان مستبدًا طاغية فلم يكن مستعدًا للالتفات إلى هؤلاء الذين يكيلون له المديح، هذا بالنسبة إليه العادى أو تحصيل حاصل، لكنه كان متنبهًا بكل قرون الاستشعار لديه وموهبة التسلط والطغيان إلى أولئك الذين يمكن أن يهددوا انفراده بالعرش، ولم يكن هناك ما يراه تهديدًا له غير حزب الوفد وسعد زغلول، وكان سعد قد رحل إلى بارئه منذ سنة ١٩٢٧م، فأراح الملك فؤاد من خصم عنيد، وهكذا لم يجد حسن البنا موطئًا عند الملك فؤاد ولا عند المحيطين به، لم يشعر به أحد وقتها، لا بين الأحزاب ولا بين

(١) راجع في ذلك جمال البنا: رسائل حسن البنا الشاب إلى أبيه.

العاملين بالديوان الملكى، لكن الفرصة جاءته مواتية بعد ذلك، فقد توفى الملك فؤاد فجأة سنة ١٩٣٦م، وكان ولى عهده الأمير فاروق خارج مصر يدرس في لندن، وكان لا بد أن يعود وبدأ التنادى به ملكًا على البلاد، كانت الملكة نازلى والدة فاروق مصابة بجنون أن يكون ابنها ملكًا، لكن لم تكن العائلة الملكية كلها مرحبة بذلك، خاصة الأمير محمد على الذي كان ينتظر ويحلم، ويسعى لدى الإنجليز لتنصيبه ملكًا، فهو كما يرى الأحق، وكان هناك من على استعداد لأن يستمع منه ويتعاطف معه، فإذا تم تجاوز هذه العقبة كانت هناك عقبة أخرى تتعلق بعمر فاروق فلم يكن قد بلغ سن الرشد بعد؛ ولذا كان يسعى الأمير محمد على أن يتولى هو، ولو لفترة مؤقتة، إلى حين بلوغ فاروق السن القانونية.

بإزاء هذا كله كان الاستعداد جاريًا لدى الديوان الملكى لتجهيز استقبال شعبى حاشد ومهيب للملك الشاب فور وصوله إلى الإسكندرية قادمًا بالبحر من لندن، وأن يكون الاستقبال ممتدًا من الإسكندرية إلى القاهرة، ليقتنع الجميع داخل الأسرة العلوية أن فاروق هو الملك القادم وليس أحد غيره، وأن جماهير مصر تريده هو، وكانت فرصة حسن البنا الذهبية أن يشارك في هذا الاستقبال وأن يعلن للجميع عن نفسه وعن جماعته، وأن يقول لهم «نحن هنا»، حين توفى الملك فؤاد نعاه حسن البنا نعيًا مؤثرًا، وكأنه كان كل شيء لمصر والمصريين، بل وللعرب كلهم وللمسلمين أجمعين، ثم للإسلام ذاته، ورحب بالقادم الجديد «مات الملك.. يحيا الملك» وكان البنا على رأس أفراد الجماعة الذين اختارهم هو للمشاركة في استقبال الملك، وكان معهم أيضًا من سيصبح المرشد الثالث للجماعة عمر التلمسانى المحامى بشبين القناطر وقتها، وبينما كان المطلوب - فقط - استقبال جيد للملك الشاب، تقدم حسن البنا وجماعته خطوة، فقد أعلنوا مبايعة الملك، فكان استقبال ومبايعة.. فتح ذلك الاستقبال شهية حسن البنا للسلطة وللسياسة، فبعدها بعامين يشرع في تأسيس التنظيم الخاص، الذي سيصبح في غضون سنوات قليلة الذراع الباطشة لحسن البنا،

ومع قيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م، وحالة السيولة في موقف مصر.. هل نحاز إلى بريطانيا بحكم أن جيشها يوجد على أرض مصر، أو ننحاز إلى المحور على طريقة عدو عدوى صديقى، وجدنا البنا يسعى إلى اختراق الجيش المصرى بتجنيد ضباط ومجندين به، وتصبح له خلايا داخلة، ويروى أنور السادات في مقال له بالجمهورية أنه رأى حسن البنا سنة ١٩٤٠م وهو يجمع السلاح ويقوم بتخزينه، وأن ذلك كان يتم حتى دون علم الأعضاء الكبار بالجماعة، كان جمع السلاح يتم بناء على صلات خاصة ومباشرة بين البنا وتجار هذه الأسلحة، ذات مرة كان السادات عند حسن البنا ورأى جنديًا بالجيش، كان السادات يعرفه، يدخل على البنا، وكان المجند يحمل صندوقين، وحين رأى السادات خاف الجندى، لكن البنا طمأنه، وفتح الصندوقين، ليجدهما مملوءين بمسدسات جديدة[1]، أى أن هذين الصندوقين جيء بهما من مخازن الجيش مباشرة.. كان البنا موهوبًا بحق في العمل السرى، لم يجمع السلاح والذخيرة فقط، ولكنه استعان بمن جندهم من ضباط الجيش لتدريب أعضاء التنظيم الخاص في صحراء المقطم، وهى حينها غير مأهولة، ولا يقترب منها أحد.. ودفع البنا بعدد من أعضاء التنظيم الخاص لاختراق الجماعات والأحزاب التى رآها مناوئة ومنافسة له، فقد زرع بعض الأعضاء داخل الخلايا والتنظيمات الشيوعية ثم داخل مصر الفتاة، وداخل الحزب الوطنى وهكذا.. اخترق القوات المسلحة وجهاز الشرطة، وبقيت أمامه الدائرة المحيطة بجلالة الملك ، وكان يسعى إلى اختراق هذه الدائرة بهدف الوصول إلى الملك نفسه والاجتماع به. كان حلم البنا أن يلتقى الملك وجهًا لوجه وأن يجلس معه، أتاحت له الجماعة أن يجلس مع النحاس باشا ويساومه سنة ١٩٤٢م وأن يجلس مع إسماعيل صدقى باشا، ولكن بقى أمامه الملك، وهكذا طلب من أنور السادات أن يتحدث إلى صديقه د. يوسف رشاد، كى يرتب له لقاء مع الملك، كان المسمى الرسمى ليوسف رشاد أنه طبيب الملك، لكنه

(١) الجمهورية : عدد ٢١ ديسمبر ١٩٥٣م.

كان أكثر من ذلك، كان موضع ثقة الملك ويؤدى مهامًا خاصة للملك، من بينها الإشراف على «الحرس الحديدى» الذى يقوم بمهام خاصة للملك تتعلق بتصفية خصومه وقتلهم.. وتحدث السادات مع يوسف رشاد، واقتنع رشاد، وحاول أن يتحدث مع الملك ليستأذنه ابتداءً فى أن يجلس مع البنا ليعرف ما لديه، لكن الملك لم يأذن ليوسف بمقابلة البنا، ولم ييأس البنا وعاد يطلب من السادات أن يكرر المحاولة، وكانت علاقة البنا والسادات قد توثقت، وهى علاقة سياسية في المقام الأول، وتحدث السادات مع يوسف رشاد، وكرر رشاد المحاولة مع الملك، لكن الملك، هذه المرة، نهره، وأبعده لمدة عشرة أيام، لكن حسن البنا كان مصرًا أو كان لحوحًا فلم يلبث أن كرر الطلب للمرة الثالثة، وكانت المفاجأة أن الملك استجاب هذه المرة وأذن ليوسف رشاد أن يقابل البنا، وتمت المقابلة، كان يطلب البنا أن يسمح له بالجلوس مع جلالة الملك ليعبر له عن التأييد والمساندة، فضلاً عن المبايعة، وذهب يوسف إلى الملك سعيدًا لينقل له هذا الذي سمعه، ورأيه أن يلتقيه الملك، وكانت المفاجأة الثانية أن الملك رد على يوسف رشاد «حسن البنا ضحك عليك يا يوسف»[1]..

ترى هل كان الملك يعلم بما يقوم به البنا من محاولات لاختراق الجيش المصرى وتشكيل خلايا تدين بالولاء له وليس للعرش وللملك؟ هل وصل إلى الملك نبأ علاقات حسن البنا الخارجية وتلقيه أموالاً من بعض هذه الجهات مثل شركة قناة السويس التى كانت رمزًا للاحتلال البريطانى في مصر، هل كانت لدى الملك تفاصيل اللقاء الدائم في جدة بين البنا ونائب وزير المالية السعودى، من قبل أن تعترف مصر بالمملكة العربية السعودية وقبل أن تكون هناك علاقات رسمية بين الدولتين؟ هل بلغ الملك أن هناك لقاء دائمًا يتم بانتظام بين البنا وأحد ضباط السفارة الأمريكية؟ هل ... هل...؟!

(١) القصة كاملة رواها أنور السادات في مقال له بجريدة الجمهورية عدد ٤ يناير ١٩٥٤. وراجع أيضًا محسن محمد: من قتل حسن البنا؟.

لا تستبعد ذلك، فالملك فاروق كانت لديه طرق خاصة للحصول على المعلومات ومعرفة كل ما يريد أن يعرفه، وقد عرف الكثير والكثير[1]، لكن الأمر المؤكد أن الملك فاروق لم يثق يومًا في حسن البنا، كل زعماء مصر من الوفد إلى الأحرار الدستوريين تعاملوا لبعض الوقت مع البنا واستفادوا منه، لكن فاروق لم يأمن له أبدًا، لقد ترك الديوان الملكي يستفيد في بعض المواقف من جماعة البنا، وأن يوظفها ويوظف البنا للقيام ببعض الأدوار، لكن فاروق لم يتغير رأيه أبدًا في حسن البنا، رغم أن البنا كان من أكثر وأشد الذين نافقوا فاروق بشتى السبل، ويبدو أن حسن البنا كان يتصور أن فاروق يجلس في القصر معزولاً، لا يعرف شيئًا بعيدًا عن السهرات والمجالس الخاصة، كان حسن البنا يمتدح الملك وينافقه في كل مناسبة وأحيانًا بلا مناسبة، لكنه حين يذهب مع إخوانه خارج القاهرة يحدثهم بخطاب آخر، مثل أن الملك بالمبايعة وليس بالوراثة!

أخذ حسن البنا جماعته عنوة إلى ميدان السياسة، وتعامل في السياسة بطريقة الهجّام والقناص، يقتنص موقفًا هنا وينتهز مكسبًا هناك؛ ولذا اتخذ الكثير من المواقف المتناقضة، يهاجم الوفد بضراوة، لكن حين يصبح مصطفى النحاس رئيسًا للوزراء سنة ١٩٤٢م ويحقق للجماعة بعض المكاسب يمتدحه البنا، وتصل قمة المأساة مع النقراشي، الذي يقود حسن البنا بنفسه مظاهرة سنة ١٩٤٧م لمناصرته، وما أن يصدر قرار بحل الجماعة، حتى يقتله رجاله.

قدم البنا - كذلك - عدة خطابات متناقضة ومتلونة، مثلاً يقنع رجال السفارة الأمريكية بأن التنظيم الخاص تأسس لمكافحة الشيوعية والشيوعيين في مصر، وكان ذلك هدفًا عزيزًا لدى الولايات المتحدة، وإذا كانت السفارة الأمريكية اقتنعت بذلك، فهذا لا يمنع أن تغض السفارة البريطانية الطرف عن هذا التنظيم، وما أن

(١) راجع في ذلك: د. حسين حسني «سنوات مع الملك فاروق» دار الشروق ط ١ سنة ٢٠٠١م.

ينكشف الوجه القبيح للتنظيم أمام المصريين بعد العمليات الإرهابية التى قام بها. خصوصًا اغتيال المستشار أحمد الخازندار حتى يصيح البنا بأن التنظيم تأسس لمكافحة الصهيونية في فلسطين ومقاومة الاحتلال البريطانى في مصر، واعتبر حسن البنا أن تحرير فلسطين يبدأ من حارة اليهود بالقاهرة الإسلامية وبعض المحلات المملوكة لليهود في مصر، والواقع أن حسن البنا بمحض إرادته اختار مع السياسة طريق الدم واندفع فيه إلى النهاية وحين أوشكت الدائرة أن تدور عليه من جراء جرائم التنظيم الخاص صاح قائلاً: «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين».

★★★

حين جرى اغتيال أحمد ماهر، لم يكن ماهر عدوًا للإسلام، ولم يصدر فتوى بقتله، كان أحمد ماهر زعيمًا وطنيًا لكنه قتل بسبب عدم نجاح حسن البنا في الانتخابات النيابية، ومع الوقت كان يبتعد البنا عن أهدافه الأولى المعلنة، ويلقى بنفسه في ألاعيب السياسة، المعلن منها والسرى، المشروع وغير المشروع أو المسموح به منها والقذر أيضًا، فللسياسة جانبها القذر وقد عشقه حسن البنا، وكان هناك بعض الشبان في الجماعة يرون ذلك جيدًا.. يلاحظون وينتبهون، ربما لم يكن لديهم كل التفاصيل عما يقوم به مرشدهم، فحاولوا التنبيه وأرادوه أن يتجنب تلك الطرق، ويعود إلى العمل الذي قاموا من أجله، لكنه أبى ورفض، ثم كان أن استعلى عليهم، وبعد يأس انفضوا عنه وعن جماعته، وأسسوا لأنفسهم جماعة جديدة باسم «جماعة شباب محمد»، واستغرق ذلك حوالى عامين، تحديدًا بين عامى ١٩٣٩م/ ١٩٤٠م، والتاريخ مهم، فقد كان خروجهم ذلك فى أعقاب تأسيس التنظيم الخاص والاندفاع العنيف للمرشد في طرق السياسة وانغماسه فى أوحالها.

تكررت محاولة التنبيه والإصلاح من داخل الجماعة مرة ثانية ولكن من وكيل الجماعة أحمد السكرى، والواقع أن فضل السكرى على البنا كبير، والارتباط بينهما طويل، ومن ثم كان يجب أن تؤخذ ملاحظاته بجدية واهتمام، لكن المرشد تصرف

كحاكم فرد، صاحب قرار مطلق، كان السكرى يرى الكارثة التى يندفع نحوها حسن البنا ويأخذ معه الجماعة، وكان يحاول أن يوقف اندفاعه ، فأصدر المرشد قرارًا بعزله من كل مواقعه وفصله نهائيًا من الجماعة وتم تمرير القرار على مكتب الإرشاد، كانت تهمة السكرى لدى البنا هى «التمرد على القيادة»، وقال السكرى للبنا فى رسالة إليه مذكرًا إياه ومحذرًا له من «الإغراق في السياسة الحزبية إغراقًا تامًا وتقلبك في هذه السياسة وتناسى أهدافنا السامية مما جعلنا موضع مساومة للجميع..»، فصل السكرى دون أى إجراء قانونى، لم يتم تحويله إلى تحقيق، ولم يطلب منه دفاع ولا سمح له بذلك، فقط قرار من «فضيلة المرشد».. واعتبر السكرى.. ناقضًا للعهد، حانثًا لليمين خارجًا على الجماعة، محاربًا للدعوة وكذلك كل من اتصل به أو ناصره. وهكذا نجح اتجاه البنا ولم يعد هناك من يمكن أن يناقشه أو يراجعه، وفرح البنا بتنظيمه الخاص والجيش المدرب والمسلح الذى جهزه وسعد بجهاز المخابرات الذى شكله والإذاعة السرية التى أسسها .. لم يكن يدرى أنه بذلك ينهى حياته هو ويقضى على الجماعة.

لم تكن النصائح والتحذيرات تأتى من داخل الجماعة فقط، بل جاءت من خارجها أيضًا، لكن حسن البنا كان منطلقًا كالقطار السريع لا يريد أن يتراجع خطوة واحدة، كان يسير فى طريقه لا يريد أن يلتفت يمينًا ولا يسارًا، يذكر د. إبراهيم بيومى مدكور أنه بعد عودته من البعثة التعليمية فى فرنسا، استأنف علاقته بزميل دراسته فى تجهيزية دار العلوم حسن البنا، كانت عودة د. مدكور إلى مصر سنة ١٩٣٥م، وعرض عليه البنا أن ينضم إلى جماعته وإلى جواره، يقول د. مدكور «كان يرغب فى أن أكون إلى جانبه فى جماعة الإخوان المسلمين»(١).

---

(١) راجع د. إبراهيم بيومى مدكور: مع الأيام .. شيء من الذكريات، كتاب الهلال، أكتوبر ١٩٩١م، ص ٤٩.

رفض د. مدكور هذا العرض، وكانت لديه أسبابه الوجيهة فى ذلك، وبقوله هو «صارحته أنى أؤيدها إن التزمت بأهدافها الثقافية والسلوكية، أما أن تسلك ميدان السياسة فذلك طريق سلكته من قبل، ويتطلب أوضاعًا وأساليبًا لم تتهيأ الجماعة لها»[1].

كان د. مدكور واضحًا وكان اعتراضه يستحق أن يتوقف عنده حسن البنا، فهو زميله القديم، وابتعد الطريق بينهما، ومن ثم فهو يقول رأيًا مخلصًا ومجردًا، وهو من عائلة، سياسية، يعرف دهاليز السياسة فى مصر وما يجرى فيها، وهو كذلك قضى سنوات مهمة فى أوروبا، كان يتنقل بين فرنسا وعدد من البلدان المجاورة لها، وتابع كذلك ما يجرى هناك فى مجال السياسة الدولية، وبعد ذلك كله هو أستاذ الفلسفة والدراسات الإسلامية، ومن ثم فهو متابع جيد للفكر وللحركة الإسلامية، لكن حسن البنا ألقى هذا كله وراء ظهره، لم يكن يريد لأحد، كائنًا من كان، أن يشير عليه بالابتعاد عما خطط له وحلم به، كان مأخوذًا بألاعيب السياسة والسلطة، ويتمنى أن يصبح لاعبًا أساسيًا فيها، إنه حتى لم ينتبه إلى قول د. مدكور بأن الجماعة لم تتهيأ بعد للعمل السياسى وأن اللعب فى السياسة يستلزم أوضاعًا وشروطًا معينة، فضلاً عن أساليب خاصة، ليست متاحة له ولا لجماعته، كان د. مدكور موجزًا وهو يكتب ولكن لا بد أنه شرح رأيه باستفاضة لزميله القديم.

والواقع أن المؤمن كيّس فطن، كما روى عن رسول الله، لكن الفطنة غادرت حسن البنا فى هذا الجانب، لقد عرض على د. هيكل أن ينضم إلى الجماعة وأن يصبح رئيسًا لها، لكن د. هيكل اعتذر للسبب نفسه، تلميحًا لا تصريحًا، ولم ينتبه البنا ولم يكن لديه أى استعداد لذلك.

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الاعتراض على انخراط البنا فى العمل السياسى جاء من الأحزاب الأخرى، وعبر عنه مصطفى النحاس مباشرة لحسن البنا، لكن الأخير تصور أنه الأقوى.. وحين يدخل إنسان العمل السياسى ومعه فكرة تمثل لديه اليقين المطلق، ومن خلفه مليشيا خاصة يخيف بها الآخرين والمخالفين له، فويل للجميع منه وويل له من نفسه.

★★★

كان حسن البنا فى بداية حياته يسعى إلى أن يكون صوفيًا، وانضم فترة إلى «الطريقة الحصافية». ومن المعروف أن التصوف الإسلامى بدأ بالزهد والترفع عن صغائر الحياة ومحاولة الاقتراب أكثر من الله سبحانه وتعالى، واستمرت هذه المرحلة فى القرنين الأول والثانى الهجريين، ثم انتقل التصوف إلى ما بات يعرف بالتصوف الفلسفى أو المذهبى حيث اختلطت به بعض الأفكار من فلسفات وثقافات أخرى، فصار فيه الظاهر والباطن لكن بالمعنى الإيجابى وليس بالمعنى التآمرى والسلبى، تأسيسًا على أن هناك سراً لا ينبغى للمتصوف أن يبوح به لغير الله سبحانه وتعالى، وحين صلب الحلاج قال محبوه إنه ما لقى هذا المصير إلا لأنه كشف للبشر ما لا ينبغى أن يكشف لهم، ومع هذا اللون من التصوف صارت هناك قواعد تنظيمية تحكم العلاقة بين المرشد والمريد.. ومن يقرأ الرسالة المنسوبة إلى محيى الدين ابن عربى «فى آداب المرشد والمريد» يجد أن العلاقة بينهما هى أقرب إلى أن تكون علاقة عبودية.. ليست علاقة أستاذ بتلميذه، ولا هى علاقة أبوية تربط بين أب وابنه، بل هى علاقة السيد بالعبد، ليس فيها أى ندية. ليس للمريد أن يتكلم نهائيًا فى حضرة المرشد إلا إذا طلب منه ذلك، وليس له أن يناقشه فيما يقول ولا أن يعترض عليه، ولا أن يرفض أى طلب يطلب منه، حتى لو كان فيه إزهاق روحه، وأن تكون روح المريد وحياته فى يد المرشد كجثة الميت بين يدى من يقوم بغُسلها.. وإذا توفى المرشد ليس للمريد أن يتزوج من زوجته.. وهكذا.. وأظن أن حسن البنا أخذ من التصوف وقراءاته فيه هذا النمط من العلاقة، لنلاحظ أنه لم يسترح لمسمى رئيس

الجماعة، بل فضل «المرشد العام».. فالرئيس له سلطة تنفيذية وقرارات إدارية، لكن المرشد يتحكم أو يحاول أن يتحكم فى روح من يتبعه، هو على الأقل لديه سلطة روحية عليهم، يحركهم أنىّ شاء هو، وهم لا يملكون من أمرهم شيئًا، هذه العلاقة والتنظيم الحديدى أخذه حسن البنا من التصوف، فصار لديه ظاهر وباطن.. جماعة معلنة وتنظيم خاص، خفى حتى عن الكبار فى الجماعة.. وطاعة مطلقة من الأعضاء، لا يشوبها أى شائبة، ويصبح الإيمان بالجماعة مرادفًا للإيمان بصاحبها أو المرشد، لا تتم هذه دون تلك، وغياب الثانية أو اهتزازها ينفى الأولى تمامًا.. وتأمل ما فعله البنا مع أحمد السكرى لا يقل فى قسوته - بشاعة - عما كان يصدر من ستالين مع بعض رفاقه الذين يخرجون عليه أو يتصورهم كذلك.

لم يكن حسن البنا رجل علم ولم يكن فقيهًا، لكنه كان رجل تنظيم ومعلومات بالفطرة، ومن يرصد طريقة تشكيل التنظيم الخاص وعمله والاختبارات التى كان يجريها البنا بنفسه لمعاونيه وللمقربين منه[1]، فضلاً عما قام به مع خصومه، يدرك تواضع قدرات مؤسسى أجهزة المخابرات الكبرى إلى جواره، يغتال رجاله د. أحمد ماهر دون أن يتركوا بصمة واحدة، ويظل السر مكتومًا لأكثر من أربعين عامًا، ولولا أن الشيخ الباقورى وكذلك الشيخ سيد سابق، خشى كل منهما أن يلقى الله وهو فى دور «الشيطان الأخرس» لما تكلم كل منهما ولما عرفنا بالواقعة.

ويحكى أنور السادات إنه وهو ضابط صغير أراد أن يلتقى الفريق عزيز المصرى، ويعرف حسن البنا تلك الرغبة، فينفذها له، وكان البنا قد طلب من السادات أن يتحدث مع يوسف رشاد لتدبير لقاء بين رشاد والبنا، فأراد البنا أن يجامل السادات ويقدم له - مقدمًا - المقابل، وهو أن يحقق له رغبته فى لقاء المصرى. يعطى البنا ورقة إلى السادات يذهب بمقتضاها إلى عيادة طبيب فى السيدة زينب، ويقول له لا تنسى أن تدفع تذكرة الدخول للطبيب، ويذهب إلى العيادة بالفعل

(١) رصد محمود عساف تفاصيل هذه الاختبارات فى مذكراته.

ويدخل حجرة الطبيب، الذى يأخذه إلى صالون ملحق بغرفة الكشف، وما أن يفتح باب الصالون حتى يجد «المصرى» أمامه وفى انتظاره. روى السادات هذه الواقعة فى أحد مقالاته بجريدة الجمهورية، الغريب أن الملك حسين كان حين يطلب لقاء مع أحد قادة إسرائيل، كانت الموساد تدير اللقاء بنفس الطريقة، فى إحدى العيادات بلندن. ولم يكشف أمر هذه الاتصالات إلا حين كشفتها مصادر إسرائيلية عن عمد.. وحين أدار البنا اللقاء بين عزيز المصرى والسادات، كان كل منهما مرصوداً من رجال الأمن السياسى ومن السفارة البريطانية، ومع ذلك لم يتمكن رجال الأمن ولا رجال السفارة من اكتشاف هذا اللقاء أو معرفة ما جرى فيه، لولا أن السادات هو الذى أذاعه بنفسه، أما البنا نفسه فلم يكشفه ولا كشفه أحد من رجاله، لأنهم على الأغلب ما كانوا يعلمون به.

ولأن حسن البنا لم يكن صاحب فكر دينى أو سياسى واجتماعى؛ لذا انحسر دوره فى اللعب بكواليس السياسة، وفى الفضاء الخلفى للمشهد السياسى، يؤيد هذا ويطعن ذاك من الخلف، يستفيد من الجميع ويتلاعب بالجميع وكذلك يتلاعب به الجميع، ومن يكون دوره هكذا سوف تأتى لحظة وينكشف أمره للجميع، وهذا ما حدث له بالضبط بعد اغتيال النقراشى، لم يقف أحد إلى جواره لأنه لم يكن صديقًا لأحد، كان يقدم الخدمات للبعض فى مقابل مدفوع فورًا، أيًا كانت أشكال ووسائل الدفع، قد يكون الدفع ماليًا أو فى شكل امتيازات وتيسيرات تمنح له ولجماعته؛ لذا لم يكن له مكرمة لدى أحد أو دلال عند أى طرف، وفى العادة فإن من يضع الآخرين فى نقاط ضعف أو يترصدهم مما يتصور أنها نقاط ضعف لديهم، وفى الوقت المناسب يستغلهم أو يبتزهم وينتزع منهم بعض المكاسب، لن يحظى باحترامهم ولا بحبهم، وليس صحيحًا ما يدعيه أنصاره من أن الجميع تخلوا عنه لأنهم كانوا يخشون الفكرة الإسلامية فقد أدانته هيئة كبار العلماء فى بيان صدر عقب اغتيال النقراشى، ورغم أنه حاول أن يتملص، لكن لم يصدقه أحد ولم يساعد هو أحدًا على أن يصدقه.

بعد اغتيال النقراشى باشا، بذل حسن البنا جهدًا خارقًا فى محاولة احتواء الموقف، وسعى لدى كثيرين بهدف إعادة الجماعة، وعرض أن يتوقف نهائيًا عن السياسة، وروى عنه أنه تمنى لو لم يؤسس التنظيم الخاص، وأنه يأسى أنه لم يقم بتربية مجموعة شبان يلقى بهم الله سبحانه وتعالى، يعملون للدين ولرفعة شأن الإسلام، ومعنى هذا - بفرض أن ذلك القول لم يكن تكتيكيًا منه للخروج من الأزمة - أنه كان يعيد النظر فى كثير مما قام به، وأنه يحلم بجماعة أخرى وإخوان جدد، بلا ظاهر وباطن وبلا تنظيم سرى مسلح، وبلا قتل وترويع للآمنين أو تهديد للمخالفين. حين أعلن حسن البنا ذلك لم يصدقه من تمنى أن يصدقوه، تحديدًا إبراهيم عبد الهادى الذى كلفه الملك بتشكيل الحكومة خلفًا للنقراشى، وكان إبراهيم عبد الهادى يستمع إلى الرسائل والوساطات التى يبعث بها البنا إليه، وكان أكثر إصرارًا من النقراشى، لا بد أن يعلن البنا للحكومة أسماء أعضاء التنظيم الخاص وعليه كذلك أن يكشف عن مخازن الأسلحة والذخائر التى لديهم، ثم بعد ذلك تنظر الحكومة فى بقية الأمور، خاصة عودة الجماعة، وكان البنا يصر على أنه لا يعرف ولا علم له بأسماء أعضاء التنظيم ولا شيء لديه عن التسليح، وكرر ما قاله من قبل كى أعرف وأبلغكم إما أن يفرج عنهم جميعًا أو يعتقل معهم، فاعتبر ذلك مناورة منه.. وفى النهاية فإن إبراهيم عبد الهادى ومن ثم الحكومة وكذلك الديوان الملكى لم يثقوا كثيرًا فى إعلان البنا استعداده للابتعاد عن السياسة وعن العمل السرى.

الطريف فى هذا الأمر أن جماعة البنا أيضًا لم تصدقه أو لم تأخذ مزاعمه وأقواله على محمل الجد، واعتبرتها من قبيل «كلام المفاوضات»، فلم ينفذوا كلمة واحدة مما قاله ولا التزموا بشيء منه، بل فعلوا ما ندم هو عليه وتمنى لو لم يقم به، والحادث أنه فى عام ١٩٥١م عادت الجماعة إلى العمل واختير المستشار حسن الهضيبى مرشدًا عامًا للجماعة، وكان اختياره برضاء ومباركة القصر الملكى لصلة مصاهرة كانت تربطه بمراد محسن ناظر الخاصة الملكية، وقد حاول الهضيبى تحجيم التنظيم الخاص، لكن

كان التنظيم أقوى منه، وغرقت الجماعة فى العمل السرى أكثر من العمل العلنى، وألقت بكل ثقلها فى العمل السياسى، سواء فى الشهور التى سبقت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، من اتصالات مكثفة لهم بالضباط الأحرار، ثم بعد ذلك تدخل الهضيبى وجماعته فى الخلاف الذى نشب بين اللواء محمد نجيب ورفاقه من الضباط الأحرار، والأدهى من ذلك تدخله فى الصراع بين الضباط الأحرار ورجال السفارة البريطانية، وكان التدخل «سريًا» أى دون علم الضباط ودون التنسيق معهم، وحدث ما حدث فى سنة ١٩٥٤م حيث حاولت الجماعة اغتيال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية، ثم عادت الجماعة مجددًا فى السبعينيات، لتعمل بنفس النسق ونفس العقلية، أى السياسة أولاً، وما دون ذلك يأتى بعدها.. ولأنه لم يعد لدى الجماعة سوى السياسة واللعب فى كواليسها، فإنهم باتوا أكثر تمسكًا بها وإصرارًا عليها وأشد ابتعادًا عما هو دينى ودعوى، وفى السنوات الأخيرة شهد المجتمع المصرى العديد من القضايا لم نسمع للجماعة صوتًا فيها، تأمل وفود بعض الكهول من دول مجاورة ليتزوجوا فتيات قُصَّر، مقابل مبلغ مالى يتم دفعه لأهلها، استغلالاً لفقرهم وعوزهم، وأحيانًا يتم الزواج بالتوكيل وهو مخالفة مباشرة وإهدار لقيم الدين وكل القيم الإنسانية، ويصنف هذا الزواج على أنه نوع من النخاسة أو الرق المعاصر.. ومع ذلك وجدنا من الليبراليين واليساريين من يتصدى لتلك الظاهرة، وهم من يصنفون فى خانة «العلمانيين» فى قاموس الجماعة، أما الجماعة التى ترفع شعار «الإسلام هو الحل» فلم تعبأ بهذه القضية، ولم تتوقف عندها، فضلاً عن غيرها من القضايا المشابهة.

تتحدث إحدى الأساطير القديمة عن ذلك الذى غرق فى بحيرة من العسل، وكان كل من يراه يتمنى لو خاض معه هذه البحيرة، ليكون محاطًا بالعسل.. يأكل عسلاً ويشربه ويستحم به، لكن لم ينتبه هؤلاء إلى أن العسل لزج وثقيل، فلا يمكن صاحبه من السباحة ولا يتيح له أن يتمكن من الخروج إلى الشاطئ ليمارس حياته

العادية، فضلاً عن أنه وهو وسط العسل لن يقترب منه أو يحط عليه سوى الذباب أو النحل ليلدغه، وهكذا حال جماعة الإخوان الآن، ومنذ أن نزل حسن البنا بحيرة العسل بكامل إرادته ورغبته، لم تبرح الجماعة مكانها يوم أن تركها حسن البنا.. ظاهراً وباطناً.. عمل علنى وآخر سرى، صفقات مع الجميع وضد الجميع، التنسيق حتى مع الشيطان إذا كان فى ذلك مصلحة لهم، تنظيم حديدى يساوى حديدية ستالين، ترى هل يقدر للجماعة أن تتجاوز تلك المرحلة وتخرج من بحيرة العسل أم أن الدودة فعلاً فى أصل الشجرة؟!

الملاحق

١- الفصل المحذوف من مذكرات الدعوة والداعية، بعد أن نشر في الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠م ويتعلق باستقبال حسن البنا والإخوان ومبايعتهم للملك فاروق.

٢- وفد الإخوان في القصاصين، بعد تعرض الملك لحادث القصاصين (مجلة الإخوان) وفي الخبر تحريض من الصحف الأخرى.

٣- صورة الملك فاروق غلافاً لمجلة "القدوة الصالحة".

٤- تهنئة الملك بعيد ميلاده سنة ١٩٤٧م، وهى تهنئة سنوية، لم تتوقف حتى اغتيال حسن البنا.

٥- الإخوان يستجيبون لنداء الزعيم (مجلة شباب محمد) سنة ١٩٤٢م.

٦- نظر الفاروق السامي ورأيه الثاقب. حسن البنا ١٩٤٦م.

٧- النقراشي بطل الغلاف.. (٢ فبراير ١٩٤٧م) هى صورة من ثلاثة أغلفة في أقل من شهرين.

٨- الطابور الخامس.. مقال في الهجوم على المعارضة (مجلة الإخوان المسلمون ٣١ مايو ١٩٤٧م العدد ١٥٤).

٩- الطابور الخامس يتحرك .. وهو مقال يتهم النحاس والوفد بالخيانة (مجلة الإخوان المسلمون ٢٦ يوليو ١٩٤٧م العدد ١٦٢).

١٠- غضبة في سبيل الله (مجلة النذير).

١١- رسالة الملك إلى شباب الوادي (مقال على غلاف المجلة) ٢٨ سبتمبر ١٩٤٦م.

١٢- مصر الفتاة تتقدم (تحية من مجلة النذير إلى شباب مصر الفتاة بعد الاختلاف معهم).

١٣- تهنئة الملك بالانتصار في حرب ١٩٤٨م.

١٤- تقرير عبد الرحمن عمار.

١٥- النهاس البنا إلى جلالة الملك.

١٦- حسن البنا يحرض على قتال الأقليات - القمص سرجيوس - المنارة المصرية.

١٧- حسن البنا يحرض على قتال الأقليات - القمص سرجيوس - المنارة المصرية.

١٨- سلامة موسى والإخوان.

١٩- سلامة موسى والإخوان.

٢٠- سلامة موسى والإخوان.

٢١- سلامة موسى والإخوان.

(١)

الفصل المحذوف من مذكرات الدعوة والداعية، بعد أن نشر في الطبعة الأولى ١٩٥٠م «الاحتفال بحضور جلالة مولانا الملك المعظم (فاروق الأول) وتسلمه مهام ملكه السعيد وتقديم فروض التهنئة والولاء بهذه المناسبة الميمونة».

المؤتمر الرابع للإخوان

والاحتفال بحضور جلالة الملك وتسليمه مقاليد الأمور

وقد رأى الإخوان بمناسبة حضور جلالة الملك فاروق من الإسكندرية ومباشرته سلطته أن يحتفلوا بهذه المناسبة وأن يعقدوا مؤتمرهم الرابع بالقاهرة، فأصدر المكتب النشرة الآتية :

قرر مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين الاحتفال بحضور جلالة مولانا الملك المعظم (فاروق الأول) وتسلمه مهام ملكه السعيد وتقديم فروض التهنئة والولاء بهذه المناسبة الميمونة . وتألفت لجنة من حضرات :

محمد حلمي أحمد بك وحامد عبد الرحمن بك وعبد القادر مختار بك ومحمد ذهني افندي والدكتور محمد زكي شاهين وفضيلة الأستاذ الشيخ الطنطاوي جوهري والأستاذ عبد العظيم الهادي رسلان مندوب المكتب بالشرقية والأستاذ الشيخ محمد مفيق عبد الحافظ رئيس الإخوان في المرج والأستاذ عمر التلمساني المحامي بشبين القناطر ومندوب الإخوان بها ومحمود البراوي افندي للاتصال بشعب الإخوان وبالجهات المختصة ووضع النظام اللازم، ومقر اللجنة الرئيسية دار الإخوان رقم ٥ بالعتبة الخضراء.

وقد اختيرت مدرسة النيل الثانوية بشبرا لتكون مقراً لاجتماع الإخوان ووافق مديرها حينذاك الأستاذ سيد باشا مشكوراً على ذلك ، وتوافد الإخوان في الموعد المحدد وضاقت بهم رحاب المدرسة على سعتها وانتظم الإخوان الجوالون في طوابيرهم استعداداً لهذا الحفل العظيم . وسننقل وصف موكب الإخوان من مجلتهم في الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

حشد لم يسبق له نظير في تاريخ مصر الحديثة

٢٠٠٠٠ ألف أو يزيدون — بطل العالم يحمل اللواء — بين دار الإخوان وقصر عابدين — صيحات الحق تتجاوب في أرجاء السماء : الله أكبر ولله الحمد — القرآن دستور الدنيا — الإسلام منقذ الإنسانية .

لم يكد يعلن المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة الشعب التابعة له بالأقاليم عزمه على هذا الحشد ويصدر الأوامر إلى فرقه العسكرية بالزحف إلى القاهرة حتى انهمر سيل الإخوان إلى دار الضيافة بجوار مدرسة النيل الثانوية بشبرا ، ولم ينقطع تيار الوفود منذ صبيحة يوم الثلاثاء إلى منتصف نهار الخميس يوم التتويج الملكي حتى ازدحمت هذه الدار على سعتها بهؤلاء الضيوف الكرام .

وفي حوالي الساعة الثانية صدر الأمر بانتظام الموكب فدوى الهتاف (الله أكبر ولله الحمد) وأسرع كل وفد إلى مكانه المعد له في الصف ؛ ومع النشاط الكافي

والنظام الدقيق استغرق سير الموكب فى خروجه من الدار حوالى النصف ساعة على الصورة الآتية :

السيد نصير بطل العالم يحمل اللواء الأعظم

هذه أول مرة فى التاريخ رأيت أو سمعت أن سارية اللواء تبلغ حوالى أربعة أمتار ونصف متر وعليها رقعة فسيحة من القطيفة الخضراء وقد رسم عليها المصحف فى نصف دائرة هلالية وكتب فى أعلاها الله أكبر ولله الحمد ومن تحتها الإخوان المسلمون . وقد يستغرب القارئ هذا الوصف ويتساءل وأين الرجل الذى يحمل هذا العلم ؟ ولكن إذا علم بعد ذلك أن هذا الرجل هو السيد بك نصير بطل العالم فى حمل الأثقال قد شرح الله صدره للإيمان واعتنق مبادئ الإخوان المسلمين وحاز البطولة بالتقوى والورع كما حازها فى قوة البدن فلا غرابة إذا كان هو حامل اللواء ومتقدم الصفوف .

فرق الرحالة

وانتظمت فرق الرحالة فى إثر العلم ، وأردت أن أحصيها عداً فعددت إلى حوالى المئة صف أربعة أربعة فى كل صف ، وحدث بعد ذلك ما منعنى من مواصلة العد .

أعلام الأقاليم

وتبع هؤلاء حملة الأعلام وكانت صفوفهم أكثر من الستين كل اثنين فى صف وهذه الأعلام كلها من طراز واحد رقعتها من الجوخ الأخضر رسم على كل منها المصحف فى نصف الدائرة الهلالية ومن تحتها (الإخوان المسلمون) شعبة المنصورة مثلا ، أو شعبة أسيوط . وهكذا كتب عليها أسماء الشعب .

الوفود منتظمة فى الصفوف

وبعد هذه الأعلام سارت جموع الإخوان المسلمين يلبسون وساماً أخضر اللون وشارة مذهبة قد كتب عليها اسم الإخوان ، وانتظموا صفوفاً فى كل صف أربعة . وليس من السهل إحصاء هذه الجموع عداً إلا بعملية حسابية كالآتى :

— ٣٥٤ —

تمشى فى اتجاه عكسى للموكب على حساب دقات الساعة وتحصى كم صفاً قطعتها فى خمس دقائق وتضرب هذا العدد فى أربعة ؛ إذ ذاك يمكنك الإحصاء تقريبا إذا لم يحدث لك من روعة المقام ما يجعلك تضطرب فى مشيتك .

سير الموكب

وقد أخذ الموكب يسير حتى قطع شارع شبرا وتجاوز الكوبرى واتجه نحو الجنوب فى شارع الملكة نازلى حتى دار الشبان المسلمين وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف ولم يستعد إخواننا فى الشبان للخروج — وكان هذا هو الموعد المضروب بيننا وبينهم — كما كان اليوم شديد الحرارة والشمس محرقة فرأت القيادة أن تتجه إلى القصر الملكى ثم يلحق بنا الشبان المسلمون .

الهيئات الإسلامية الأخرى

كان فى انتظار الشبان المسلمين بحسب وعدهم هيئات إسلامية كثيرة تحمل أعلامها ، فلما رأت موكب الإخوان المسلمين يتجه نحو السراى الملكية رأت هذه الهيئات أن تسير تبعاً للإخوان إذ أن الوقت لا يسمح بهذا الانتظار خصوصاً والزحام شديد والحر أشد ، وفضل الدكتور عبد الحميد سعيد أن يسير فى موكب الإخوان المسلمين وأناب عنه من يتصدر موكب الشبان . وكان سرورنا بهذا الاتحاد لا يدانيه سرور .

فى ساحة عابدين

كنت لا تجد فى ساحة عابدين موضعاً لقدم من شدة الزحام وكنت لا تكاد تسمع محدثاً لك من الهتاف الذى يتردد صداه فى الأثير .

وهناك انتظم الإخوان على باب القصر رافعين أعلامهم يهتفون (الله أكبر ولله الحمد) — الإخوان المسلمون يبايعون الملك المعظم .

عهد الإخوان وهتافهم

لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث ترى مثل هذه الجموع المنظمة بمثل هذا الإيمان العميق . وذلك الشعور الفياض يرددون هذه المعانى الخالدة : يهتفون

(الله أكبر ولله الحمد) — الإسلام منقذ الإنسانية — القرآن دستور الدنيا ومن يتبع غير القرآن قانوناً فقد ضل — نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله .

فى مسجد الكخيا

وقاربت الشمس الغروب ، فصدرت الأوامر للإخوان فهرولوا إلى أقرب مسجد « مسجد الكخيا » لإدراك صلاة العصر قبل فواته ولم يسعهم المسجد فبقى البعض فى خارجه حتى صلوا فرادى بعد انتهاء الجماعة الأولى ، ولم يمهلهم وقت المغرب فصلوا وخرجوا يقصدون دارهم قبل صلاة العشاء .

فى ميدان العتبة الخضراء

قصدوا بعد ذلك إلى العتبة الخضراء وكان يخيل إليك أن الأمة من أقصاها إلى أقصاها انضمت إلى صفوف الإخوان المسلمين تهتف من قلوب ملؤها الإخلاص « الله أكبر ولله الحمد — لا نريد غير قانون الإسلام » .

وهكذا انتهى اليوم بسلام ، لم يعكر صفوه شىء مما يحصل فى مثل هذه الاجتماعات عادة ، وكان غاية فى الدقة وحسن النظام .

(٢)

خبر بمجلة الإخوان المسلمون (حول تقدم حسن البنا
لوفد الإخوان لتهنئة الملك بالنجاة من الحادث الأليم)
وفي الخبر عتاب وتحريض على الصحف الأخرى التي لم تهتم بهذا الحدث.

من أنباء الاخوان

وفد الاخوان في القصاصين

لطف المولى القدير بملك البلاد في هذه الحادثة التي هزت الشعب وأثارت عواطف ولائه الكامنة ، ولقد كان الأخوان المسلمون في طليعة الوافدين إلى القصاصين مكان التصادم الأليم - فذهب فضيلة المرشد العام على رأس وفد من المركز العام كما ذهبت الوفود تترى من شعب الأقاليم والعواصم ومن فرق الجوالة ، يحدوهم جميعاً شعورهم نحو مليك البلاد حفظه الله وعجل له بالعافية وسرعة الشفاء ونحن نعتب على الصحف تغافلها عن تسجيل هذا المظهر الطبيعي الذي تشترك فيه كافة طبقات الأمة !!

(٣)

نموذج من الأغلفة المتكررة لمجلة الإخوان المسلمون
وتضم صور للملك تحتها عبارة «القدوة الصالحة»

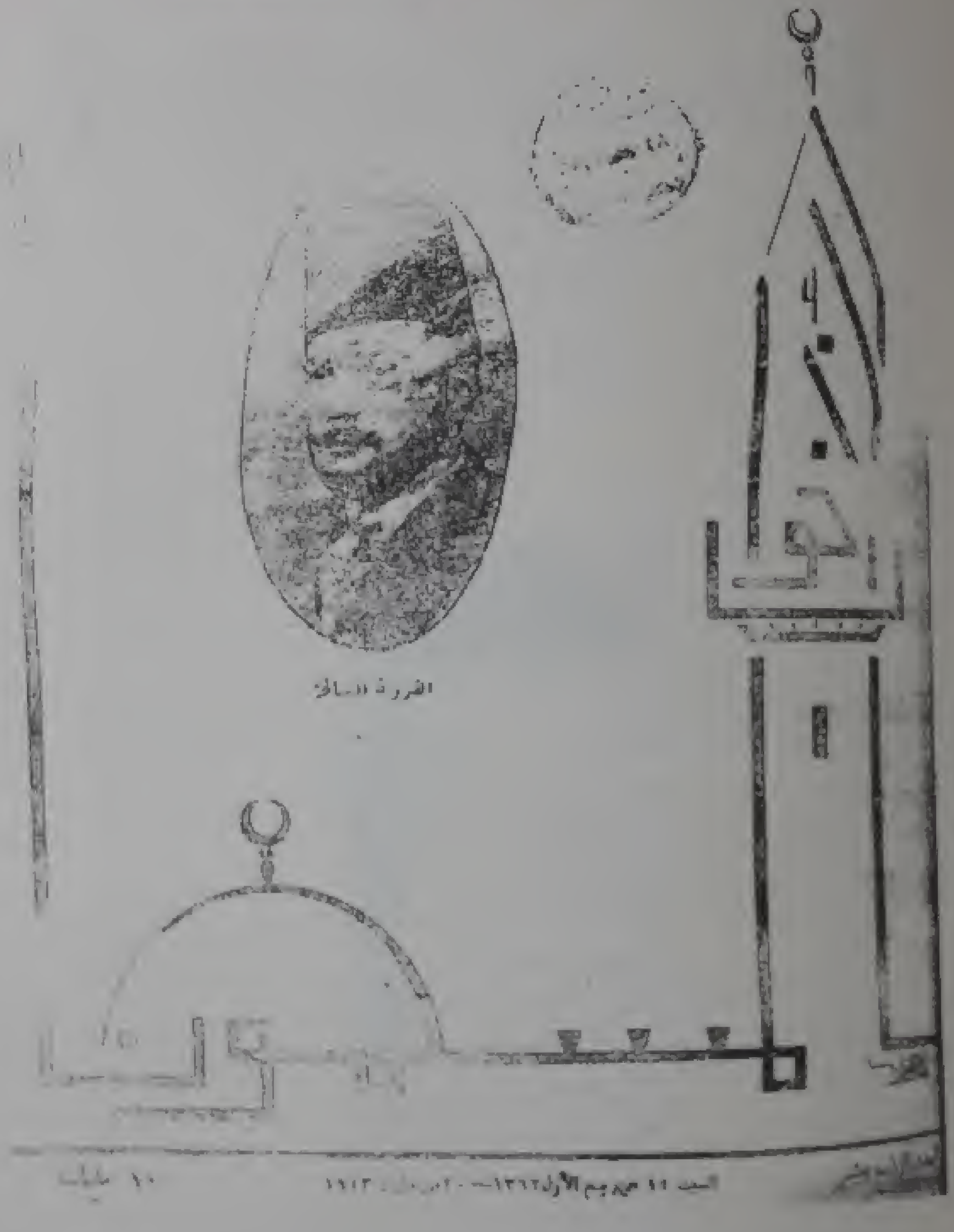

(٤)

تهنئة الملك بعيد ميلاده ١٩٤٧م

وهي تهنئة سنوية لم تتوقف حتى اغتيال حسن البنا.

الإخوان المسلمون — ٣

العنصر المفقود

بقلم المرشد العام

عيد سعيد

أطل عيد ميلاد جلالة الفاروق في هذا العام لم يكن أبهى منه ولا أجل ولا أكرم في أي عام مضى، إذ خلف جلالته مظاهر الاحتفال وأنواره وبهارجه وسافر إلى إقليم الصعيد نواحي المنكوبين منه ويزور الفقراء المعدمين ويصلهم بعطفه ومكرمات جلالة الفاروق واهتمام الحكومة والتفات بعض الأغنياء ممثلين في أعضاء مبرة محمد علي وجمعية الهلال الأحمر ... للمنكوبين ... نفوسهم البائسة أحوج إليه من جسومهم العليلة

وإنا لنرجو أن يكون بر الأغنياء بالفقراء برا موصولا يأخذ القدوة ... من الفاروق، ولا يكون بر ... مناسبات ومظاهر ...

(٥)

الإخوان المسلمون يستجيبون لنداء الزعيم (مجلة شباب محمد ١٩٤٨م).

مفاجآت .. !!

الاخوان المسلمون يستجيبون لنداء الزعيم

ويعلنون أنهم عون الحكومة فى تحقيق برنامجها الاصلاحى

جاء فى جريدة المصرى بتاريخ ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦١ تحت هذا العنوان ما يأتى:

منذ أيام قابل حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا حضرة الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين بفندق مينا هاوس مقابلة دامت وقتا غير قصير استمع فيها لنصائح رفعة الزعيم القيمة وقد تلقى رفعة الزعيم من الأستاذ حسن البنا الكتاب التالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية

أحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأحييكم فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تحدثتم رفعتكم الى الأمة المصرية الكريمة حديثا رائعا جليلا ضمنتموه كثيرا من المبادىء القويمة والأمانى الطيبة التى يسر كل مصرى أن يحققها الله على يديكم

فقد أشدتم بالصراحة والتعاون والاخلاص ودعوتم الأمة الى مصارحتكم والتقدم اليكم بالنصح ووددتم أن تمتلىء صدورنا جميعا بهذه المعانى السامية (فنحن ابناء أسرة واحدة هى الأسرة المصرية الكريمة)

وقررتم رفعتكم انه من دواعى سروركم أن تعاون الأمة والحكومة فى هذه الظروف الدقيقة فى تنفيذ سياسة خارجية حكيمة وتصميم سياسة داخلية بصيرة .. فالواجب يقتضينا والمصلحة تدعونا إلى أن ننفذ باخلاص وحسن نية أحكام المعاهدة التى وقعناها بمحض اختيارنا وملء حريتنا وقصدنا من ورائها سلامة استقلالنا القومى والاحتياط لمثل هذه الظروف العصيبة .. كما أن الحكومة ساهرة على اتباع سياسة عمرانية عاجلة لخير الطبقات الفقيرة قبل غيرها .. ومن واجب الحكومة والبرلمان أن يضعا فى رأس برنامجهما درس المسائل الاجتماعية والسعى إلى حلها حلا سريعا حاسما.

وقد أشرتم الى التطور الجديد فى حياة العالم كله تطورا هو مقدمة لتطور أعمق غورا وأبعد أثرا يجعل مظهر العالم فى غد غير مظهره اليوم.

ثم ختمتم هذا الحديث بأن علينا أن نعبر الطريق المحفوف بالمكاره المحوط بالمخاطر متعاونين متحدين مع الشعوب الشرقية واخواننا أبناء العروبة الكريمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا مترقبين بزوغ فجر الحرية والاخاء بين الشعوب فيقوم عدل الحكام على أنقاض الظلم والاستبداد وتتفيأ الأمم ظلال الطمأنينة والسكينة والسلام.

أصغينا إلى هذا الحديث القيم ثم طالعتنا الصحف بنصائحكم الجليلة الى حضرات المديرين والمحافظين ودعوتكم إياهم الى أن يكونوا أداة سلام ودعاة صلح ووئام بين العائلات وأن يديموا التجوال فى البلاد ليتبينوا مطالب الأهلين وينظروا فيها بالعين المجردة عن كل ميل وهوى وأن يستمعوا الى شكاوى المظلومين ويعملوا على رفع الظلم عنهم.

وقرأنا فى الصحف أن معالى وزير الصحة أخذ يدرس باهتمام مشكلة البغاء تمهيدا لتخليص مصر من وصمته الشائنة وانه قرر فعلا البدء بالغاء دور البغاء فى القرى والبنادر من أول مايو المقبل.

والاخوان المسلمون أمام هذه الآمال الصالحة والأعمال الطيبة النافعة يرون من واجبهم أن يستجيبوا لنداءاتكم وأن يعلنوا أنهم حريصون كل الحرص على أن يكونوا عونا لكم وللحكومة المصرية فى تحقيق برنامجكم الاصلاحى الذى أعلنتموه متمسكين دائما بآداب الاسلام العالية وتعاليمه القويمة وأخلاقه الفاضلة

والله نسأل أن يهيئنا جميعا لخير هذا الوطن العزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

(٦)

نظر الفاروق السامي ورأيه الثاقب. حسن البنا ١٩٤٦م. (مجلة الإخوان)

مهمة الإنقاذ ليس لها إلا نظر الفاروق السامي ورأيه الثاقب

وبمناسبة المرشد العام خطبة عن المفاوضات وبيانه الأمة في هذا الظرف الدقيق [illegible] للوحدة ويحدوه أن [illegible] الفاروق معقد الآمال ورجاء، أرسل لجلالته الخطاب التالي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه.

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك وادي النيل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته و «بعد» فأنت يا صاحب الجلالة موضع الأمل ومعقد الرجاء لوادي النيل ولأبناء العروبة ولشعوب الإسلام – عاطفة من الولاء والحب غرسها الله تعالى في قلوب الناس لإرادة يعلمها وحكمة يريدها لعلها أن تجتمع بك الكلمة ويرأب الصدع وتلتقي في ساحتك الأماني والآمال.

ومصر الآن يا صاحب الجلالة تجتاز أدق مراحل تاريخها الحديث وحكومتها في مفاوضة مع حكومة بريطانيا ترجو من ورائها أن تصل إلى حق الوطن في الجلاء ووحدة الوادي حتى يحيا حياة الحرية والكرامة والاستقلال في ظل عرشك العزيز وتاجك المفدى.

وستلقي نتيجة المفاوضات كائنة ما كانت على كاهل الأمة والحكومة تبعات وواجبات ثقال لا يمكن النهوض بها إلا إذا توحدت الكلمة وتضافرت جهود العاملين المخلصين.

وتلك مهمة ليس لها إلا نظرك السامي ورأيك الثاقب السديد فتفضل يا مولاي وأس بيدك الكريمة هذه الجراح وأنت نعم الطبيب، ووجه دعوتك المستجابة وأمرك المطاع إلى هـذه الأحزاب والهيئات لتأتي جميعاً عند كلمتك وهي كلمة الوطن العزيز ولتفكر مجتمعة في برنامج العمل للمستقبل القريب والطريق إلى تنفيذه على كل الفروض حتى لا نؤخذ على غرة ولا نؤتى من غفلة.

والله نسأل أن يحقق على يديك الآمال وأن يعز بعهدك السعيد مصر ووادي النيل المجيد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القاهرة في ٢١ من جمادي الأولى ١٣٦٥

٢٣ من أبريل ١٩٤٦

المخلص

حسن البنا

المرشد العام للإخوان المسلمين

(٧)

النقراشي بطل الغلاف.. (٢ فبراير ١٩٤٧م)

هى صورة من ثلاثة أغلفة فى أقل من شهرين.

إلى الأمام...!

ها هو دولة النقراشي باشا نعيد نشر صورته، وكنا طلبنا منه أن يمضي بعد أن يتكلم، وها نحن مرة أخرى نقول له إلى الأمام واصل العمل ولا تقف في الطريق..!!

(٨)

الطابور الخامس.. مقال في الهجوم على المعارضة
(مجلة الإخوان المسلمون ٣١ مايو ١٩٤٧م العدد ١٥٤)

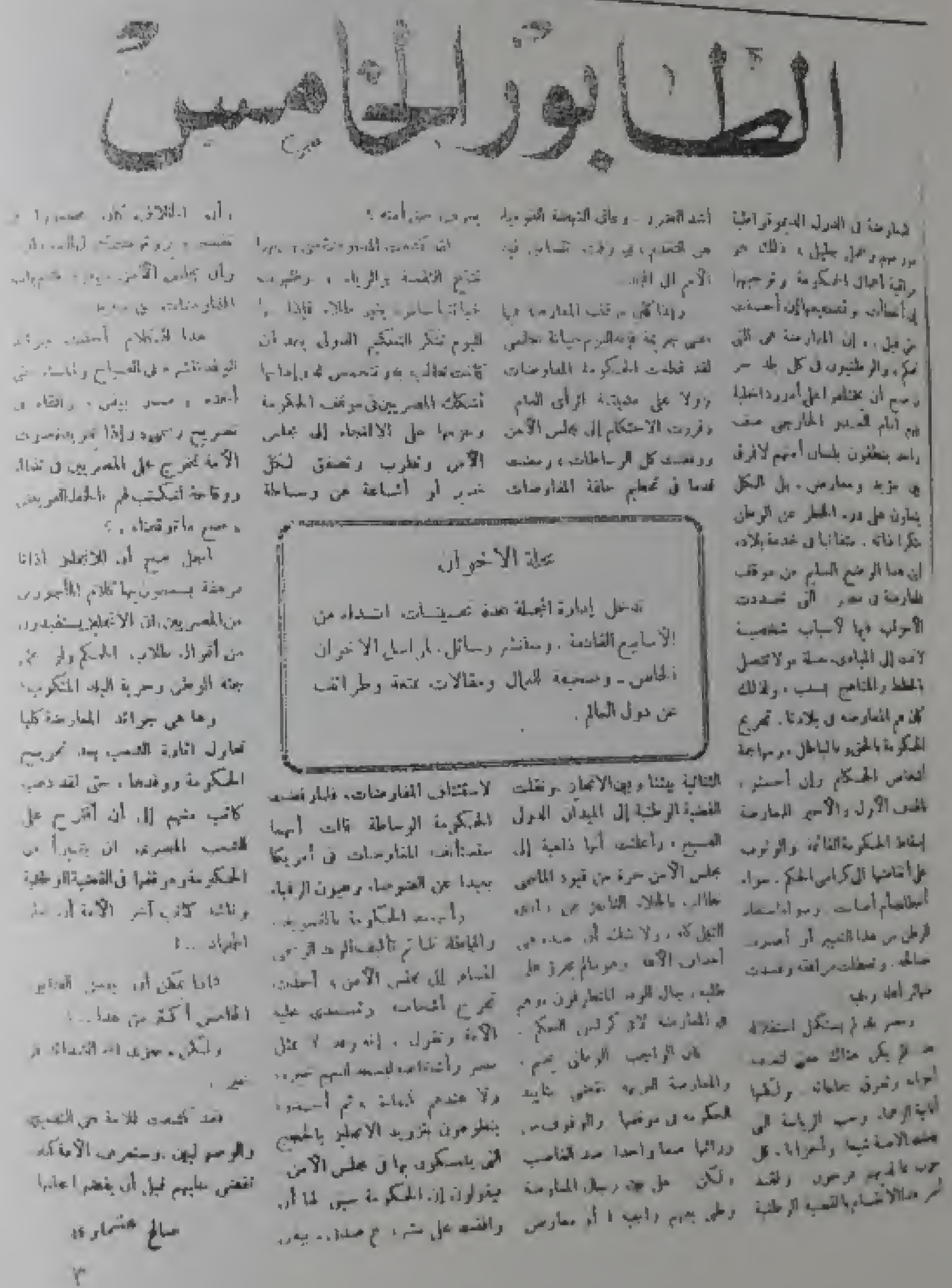

الطابور الخامس

مجلة الإخوان

تدخل إدارة المجلة عدة تحسينات ابتداء من الأسابيع القادمة، وستنشر رسائل مراسل الإخوان الخاص، وصفحة العمال ومقالات ممتعة وطرائف عن دول العالم.

صالح عشماوي

(٩)

الطابور الخامس يتحرك .. وهو مقال يتهم النحاس والوفد بالخيانة (مجلة الإخوان المسلمون ٢٦ يوليو ١٩٤٧م العدد ١٦٢).

الطابور الخامس يتحرك

يذكر القراء أننا كتبنا في مثل هذا المكان أن الانجليز يستعدون في صراعهم مع مصر على حرب الأعصاب، وعلى طابور خامس من المزعزعين والمشترين، يتغلون بالأمم، ويطعنون في الحكومة، ويجرحون أعضاء الوفد الرسمي أمام مجلس الأمن، وهكذا يطعنون قضية الوطن من الخلف، ويستغل الانجليز هذه الحركات ليظهروا مصر أمام الدول بأنها منقسمة على نفسها، وغير مجمعة على مطالبها، فيتشكك الدول في عدالة هذه المطالب وقدسية تلك الحقوق! وكان المرشح للقيام بهذه المهمة حزب الوفد وزعيمه الجليل ولكننا برحنا أحسنا الظن وقلنا ما نظن أن مصريا يقبل على نفسه أن يقوم بهذا الدور القذر.

ومرت الأيام... ووقعت حوادث القنابل في ليلة الاحتفال بعيد الجلوس، وقبض على شبان تشيد صلتهم بالوفد، واعترف أحد المتهمين بأن الاجتماعات كانت تعقد في دار النحاس باشا، وانتقلت النيابة إلى دار رفعته وفتشته، كما اتخذ أحد أعضائها في الاسكندرية أقوال رفعته فيما نسب إليه!

ومنذ أيام خطب النحاس باشا وأشار إلى خطوات تتخذ، وأعلن أن وسائل الكفاح والجهاد إلى النهاية وخرجت هذه الخطوات تبدو من غرابتها لتفرغ سمها في جسم الوطن فقد تظاهر الوفد بأنه يريد إرسال ثلاثة من أعضائه لأمريكا لتفسر الدعاية فسمحت لهم الحكومة بالسفر ولكن الوفد لم يكن جادا في حركته، فسحبت بقلة ماسخ للأعضاء من المنحة الصعبة وأصدر بيانا ملاء بالسباب وختم بأنه ليس أمامه إلا أن يلجأ إلى مجلس الأمن الدولي ليعلن باسم شعب وادي النيل أن الوفد الحكومي الممثل للولايات المتحدة على غير إرادتكم لا يملك التحدث باسمكم وأن البلاد لا ترتبط بما ارتبط أو يرتبط به هذا الوفد!

وهكذا بعد أن حاول المغرضون أن يخلوا بالأمن في أكرم مناسبة أخذوا ينفذون بقية المؤامرة من طعن في الحكومة وتجريح لوفدها الذي يعرض قضية مصر، لا قضية النحاس أو النقراشي، على مجلس الأمن!.

وكنا نظن أن الخطوات التي أنذر النحاس باشا باتخاذها قد انتهت، وأن الغرض منها لم يكن أكثر من أن تكون حركات تمثيلية لتثبت وجود الوفد على المسرح السياسي إبقاء على الأنصار وتطمينا لهم من طول الحرمان.. ولكن ما زال في رؤوس الوفديين بقية من خبل، وفي أجسادهم بقايا من السم، فقد أرسل صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد المصري برقية إلى رئيس مجلس الأمن وسكرتير هيئة الأمم المتحدة يقول فيها إن شكوى مصر إلى مجلس الأمن، بعيدة عن أن تعبر عن وجهة نظر الشعب المصري الذي انعقدت إرادته الاجتماعية على تحرير وادي النيل كله وتثبيت دعائم استقلاله، وأقول عريضة الدعوى التي قدمتها الحكومة باسم مصر، مطالبة بالجلاء الناجز عن وادي النيل شماله وجنوبه، وبانتهاء الحكم الثنائي في السودان، بعيدة عن أن تعبر عن وجهة نظر الشعب المصري؟!

ثم يتهم النحاس باشا الحكومة في برقية بأنها دكتاتورية ويطالب إلى مجلس الأمن ألا يستمع إلى شكوى تلك الحكومة لأنه لا يمكن أن تكون لها قيمة الوثيقة القوية المعبرة عن مطالب شعب وادي النيل! وأخيرا وليس آخرا، يطلب رفعة الرئيس الغير جليل إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة أن يستمع إلى صوت الوفد وحده صاحب الأغلبية الساحقة في مصر!

ولكن النحاس باشا كان بالأمس يستنجد بصديقه الحميم اللورد كليرن، ويستعين بالدبابات البريطانية للوصول إلى الحكم، واليوم وقد تغيرت الأحوال وتفرقت الأحباب يستنجد النحاس باشا جريا على عادته وطبيعته، بالدول الأجنبية ليسقط النقراشي باشا ويعيده مكرما أو غير مكرم إلى كرسي الحكم!

هذه خيانة فاق ذلك شك، وليس يطمع الانجليز في أكثر من هذا، وسنرى كيف يستفيدون منه، ويزيد من شناعة الجريمة أن تنشر هذه البرقية غداة الليلة التي أذاع فيها جلالة الملك بمناسبة شهر رمضان المعظم رسالته السامية إلى شعب وادي النيل متضمنة توجيهات كريمة لغاية عرض قضية مصر على مجلس الأمن فقد قال جلالته حفظه الله: "إننا نمر بفترة حاسمة في تاريخنا وإذا أنتم سرتم حسبما نهجنا وحددنا طريقنا على الخير منعنا... فإذا أخذتم أسبابا وتتسلح بالإيمان بالمستقبل وكلنا ثقة وإيمان بانتصار الحق والحرية" فهل قدر النحاس باشا هذه الفترة الحاسمة في تاريخ الأمة؟ وهل حاول رفيع المقام أن ينسى شخصه ويتمثل واجبه؟!

لقد طعن النحاس باشا [illegible] مصر بالوحل، ولم يحتمل هذا الوجه، ولم يجمع هذه الوصية، إلا برقية فضيلة المرشد العام إلى رئيس مجلس الأمن التي استنكر فيها باسم شعب وادي النيل، برقية رئيس حزب الوفد، كما أعلن فيها أنه لا دخل لأحد في شئوننا الداخلية وأكد مطالب الوادي في الجلاء والوحدة، ثم ناشد الضمير العالمي أن ينصف الدول الثلاث فلن يستقر سلام في الشرق ولن تهدأ ثائرة شعوب العروبة وأمم الإسلام حتى ينال وادي النيل حقه كاملا

ذلك موقف النحاس باشا رئيس حزب الوفد وتلك برقيته، وهذا موقف فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين وهذه برقيته، والفرق بينهم كالفرق بين الإخلاص والخيانة، بين التضحية وإنكار الذات وبين الأنانية والشهوة. لقد تحرك الطابور الخامس وإنا له بالمرصاد وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

صالح عشماوي

٣

(١٠)

غضبة في سبيل الله. (مجلة النذير)

غضبة فى سبيل الله !!

موقفنا النهائى

من جمعية الاخوان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وباسم الزعيم الأعظم محمد سيد الأنبياء والمرسلين [illegible]

[illegible]

أوجه الخلاف

(١) الشورى

[illegible]

(٢) العمل تحت لواء

الحاكمين بغير ما أنزل الله

[illegible]

(٣) التلاعب المالي

[illegible]

> قال ابن عباس رضي الله عنهما (ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب — ثم تلا قوله تعالى «إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى» وقوله تعالى «قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم» وقوله تعالى «وآتيناه الحكم صبيا»

[illegible]

(٤) تطهير الدستور

[illegible]

وأخيرا

[illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الموقعون

[illegible]

(١٠)

غضبة في سبيل الله. (مجلة النذير)

موقفنا النهائى من جمعية الإخوان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير وباسم الزعيم الأعظم محمد سيد الأنبياء والمرسلين نتقدم إلى إخواننا فى الله معلنين تحت راية القرآن الكريم مدار الخلاف الذى استعر بيننا وبين الإخوان المسلمين فى مسائل جوهرية تخص صميم الدعوة التى بايعنا الله على أن نعمل فى ميدانها فى غير هوادة أو ضعف أو لين مشهدين الله على ما نقول وهو نعم المولى ونعم النصير.

وإلى إخواننا فى الله نسرد بإيجاز أوجه الخلاف بيننا وبينهم مذكرين من عرفوا الدعوة وآمنوا بها بأنها لا تنحصر فى مكان ولا تتوقف على شخص ولكنها دعوة الحق، دعوة إلها واحد وزعيمها واحد خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه. وهى مفروضة على كل مؤمن.

أوجه الخلاف:

١ـ الشورى.

يرى فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين أنه لا شورى فى الدعوة، وأن الدعوة إنما ينهض بها فرد واحد له أن يأمر وعلى الجميع أن يطيع. وقد خالفناه فى هذا الرأى. وأصررنا على موقفنا لأن فى رأى فضيلته مخالفة للنظام السياسى للإسلام وتحديًا لمصدريه العظيمين الكتاب والسنة «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر».

«وأمرهم شورى بينهم»

حاولنا أن نتفاهم مع فضيلته كثيرًا فأبى إلا أن يكون رأيه الفصل ولو كان فى ذلك إقصاء للمخلصين من الإخوان المسلمين. ثم عاد إلى التعلل أخيرًا بأنه لم يجد فى الإخوان من هو أهلاً للشورى وهذا ما لا نقره عليه.

٢ـ العمل تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله.

من مبادئ الإخوان المسلمين أن لا نجاح للدعوة إلا بقوة الشعب الذاتية وتوجيه الرأى العام توجيهًا إسلاميًا خالصًا دون الاعتماد على الحاكم ولكن الأستاذ حاد عن هذا المبدأ القويم

معلنًا أن نجاح الدعوة مرهون بإرضاء الحكام والعمل تحت ألويتهم الحزبية وأخذ يسلك سبلاً متفرقة ما بايعنا الله عليه «وأن هذا صراطى مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» متناسيًا ألا أمل للإسلام فيهم وأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله – والله تعالى يقول «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون – الظالمون الفاسقون».

«ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون».

«أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا».

عارضنا هذا بكل قوة مرددين أقوال فضيلته بأننا إسلاميون غير حزبيين وأننا نعمل لله ولرسوله لا لزعيم ولا لحزب مدعمين هذا بخطبه فى المناسبات الكثيرة وبمقالاته فى صحف الإخوان – فأبى إلا العمل برأيه وأصر على المضى فيه «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون».

٢ - التلاعب المالى:

طلبنا من فضيلته تكوين هيئة قوية لمراقبة المال والمحافظة عليه لتكون مسؤولة أمام الإخوان المسلمين فأعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول الذى نعده طلبًا عادلاً يتفق مع أبسط مبادئ الإدارة – وكان من نتيجة عدم الأخذ بهذا الرأى أن أنفقت أموال كثيرة لا نقول فى أغراض شخصية ولكن على الأقل فى غير الأغراض التى جمعت من أجلها.

فأولاً: على سبيل المثال. قد جمع فى عام ١٩٣٩م أكثر من ٣٠٠ جنيه مصرى قيمة اشتراكات سهم الدعوة وكان الواجب أن يكون نصف هذا المبلغ على الأقل باقيًا فى خزانة الجماعة حسب القانون المالى لهذا السهم ولكن بكل أسف لا يوجد مليم واحد من هذا المبلغ فى خزانة الإخوان.

ثانيًا: على سبيل المثال أيضًا قد جمع فى خلال عام أو أكثر على سبيل الاكتتاب من الشعب مبالغ لمساعدة فلسطين الشقيقة فى محنتها التى تجتازها وبلغ مجموع هذه الاكتتابات حسب بيان الأستاذ الأخير مبلغ ٥٧٠ جنيهًا مصريًا ومما لا شك فيه أن هذا المبلغ يعتبر أمانة فى ذمة الإخوان فرض عليهم أن يؤدوها لأصحابها بمجرد وصولها إلى أيديهم.

ومع ذلك فلم يصل لفلسطين من هذا المبلغ سوى ٤٦٥ جنيهًا على ثلاث دفعات أما باقى المبلغ فقد اعترف الأستاذ أن جزءًا كبيرًا منه نفق فى شؤون الجماعة الخاصة ولا يرى فضيلته فى

ذلك مانعًا شرعيًا ثم عاد وقال بعد أن سمع من أحد الإخوان حكم الشرع فى هذا إنه مستعد لجمع هذا المبلغ وإرساله. والمهم أنه لا يوجد كذلك بخزانة الجمعية مليم واحد من هذا المبلغ أيضًا.

٤ ـ تطهير الدعوة:

ألحفنا على فضيلته ورجوناه غير مرة أن يحرص على طهارة الدعوة بإقصاء كل الأعضاء الذين تشوب أخلاقهم الشوائب ليسلم هذا البناء الذى كنا وما زلنا نفتديه بأنفسنا وحتى يسمو عن المطان والشبهات وكان من بين هؤلاء الأعضاء أشخاص اعترف فضيلته فى أحاديث متعددة بعد أن نبين من تحقيقات أجراها بنفسه بأن فى وجودهم إضرارًا بسمعة الدعوة من الناحية الخلقية. ولكنه أصر على إبقائهم فضلاً عن أنه أسند إليهم أعمالاً رئيسية وأخذ يشيد بذكرهم فى رحلاته إلى الصعيد وغيره.

وأخــيرًا:

على هذا اختلفنا وكان موقفنا واضحًا جليًا لا غموض فيه.

وكان اختلافنا على المبادئ العامة فلم نلجأ إلى دعاية شخصية ولا إلى أساليب كلامية متخذين من محمد صلوات الله وسلامه عليه إمامة ومن كتاب الله الكريم منهجًا - هوجمنا أشد المهاجمة وعودينا أشد المعاداة فلم نقابل العدوان بمثله بل كنا نردد قوله تعالى «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين».

غير أن هذا الموقف الهادئ نفسه لم يعجب فضيلة الأستاذ - فقد أعلن وقد راعه تأييد الإخوان المسلمين المتوالى لموقفنا بأنه لا يستطيع العمل معنا على هذه الأسس التى نتمسك بها بحق كل الاستمساك ويأبى بكل قوة أن يجيب على أى واحدة منها ولذلك فقد أعلن فصلنا من جماعة الإخوان المسلمين.

ولما كنا قد عاهدنا الله تعالى على أن نظل طوال حياتنا جنودًا للإسلام نجاهد فى سبيله «حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» عاملين تحت راية القرآن متأسين بالزعيم الأول سيد الأنبياء وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولما كان الجهاد فى سبيل الله والعمل معتمدين على أنفسنا ورض عن العمل لتحقيق المثل العليا التى نقر بها (ولينصرن الله من ينصره إنه لقوى عزيز) (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).

ونحن إذ نسير فى طريقنا فى عزم وقوة مزودين بأعمق الأسس رائدنا الإخلاص ووجهتنا الله بمجهود كل شاب مؤمن يدين أن الغاية النبيلة مقبلين على تلك التى تعرفونها.

أيها المسلمون الأبرار فى ميادين الجهاد والتضحية مترسمين ؟؟؟ المجاهدين والأنصار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التوقيعات:

- محمود أبو زيد عثمان: مدير «النذير» وعضو مكتب الإرشاد العام سابقًا.
- السيد عثمان المراغى مندوب شعب الأقاليم.
- محمد الحسينى: مندوب شعب القاهرة ومندوب كلية الشريعة .
- يوسف غنيم: مندوب شعبة أسيوط.
- على سامى النشار : الفلسفة وعضو لجنة تحرير «النذير».
- محمد حسين : لجنة الطلبة والعمال العامة.
- عز الدين عبد القادر مندوب كلية الصيدلة.
- محمد عزت حسن: مندوب كلية الهندسة.
- تميمى حمزة فراج: مندوب الطب البيطرى.
- عبد العال رشدان: مندوب الفنون التطبيقية.
- راغب خير الدين: مدرس بالجمعية الخيرية الإسلامية.
- محمد حمص: المهندس بالقناطر الخيرية.
- محمود حسن جدامى: كلية الزراعة.
- حسين عوض بريقى: كلية الحقوق .
- أحمد عامر: كلية الحقوق.
- عبد المجيد النجار: كلية التجارة.
- محمد فهمى عبد الوهاب: الفنون التطبيقية.
- محمد على المغلاوى سكرتير لجنة الطلبة والعمال العامة وعضو مكتب الإرشاد سابقًا.

(١١)

رسالة الملك إلى شباب الوادي (مقال على غلاف المجلة) ٢٨ سبتمبر ١٩٤٣م

الإخوان المسلمون

رسالة الملك إلى شباب الوادى

رسالة الملك إلى شباب الوادي

تفضل جلالة الملك جرياً على عادته الكريمة بتكريم شباب الجامعة والأزهر بإقامة حفل لهم بقصر رأس التين العامر حياهم فيه بعطفه ثم قابلهم وأهدى كل واحد منهم هدية هى صورة جلالته، ثم أذيعت رسالة جلالته إلى الشباب ونسجلها فيما يلي:

يا شباب الوادى:

يا مناط الأمل ومعقد الرجاء، وما كان للشباب هذه القيمة، إلا لأنه الفصل من العمر الذي تجيش فيه النفوس بأعذب الأماني، وتشنو فيه العوائم إلى الجديد من الآمال.

أنتم الآن في سن، هى سن الأحلام والآمال، فليكن لكم نفع في جماعتكم، وكلكم حرص على ما تتطلبه الجماعة منكم، فما استحق الحياة من عاش لنفسه فحسب.

إن العلم اليوم قد انفتح مداه، ولا تظنوا أنكم وقد تخرجتم في دور العلم قد نلتم منه ما يروي ظمأكم، فتعلموا لتزداد ثقافتكم سعة وعمقاً، وتزدادوا للحياة فهماً وإدراكاً لما فيه من جمال وجلال.

وإني حريص على أن أسمع من رجال البعوث عنكم ما ترتاح له نفسي وترضاه لكم بلادكم، وإنا لنريدكم رجالاً أقوياء، لأن عصرنا هذا لا يعيش فيه إلا القوي، وأقرنوا القوة بالطموح، إذ لا خير في أمة تفقد روح الطموح.

وليكن لكم مثل أعلى في الحياة، فإنه هو الذي ينير لكم الطريق، ويثبت أقدامكم عند الشدائد، ويغرس فيكم حب التضحية، وإن مصر وهى تعلن حرباً شعواء على الفقر والجهل والمرض، لتنتظر من شبابها المثقفين فتيات وفتياناً أن يساهموا في خدمتها حتى يؤدوا الرسالة الكبرى، رسالة الوطن القوي العزيز، وأن ينصرفوا إلى إعداد نفوسهم الإعداد الكامل، ويقيدوا الآراء المعوجة، التي هى وليدة تفكير غير سليم، حتى يكونوا كما قلت لهم من قبل: ناراً تضيء لا ناراً تحرق.

أيها الشباب:

هذه رسالتكم وإنها لرسالة مصر لكم، مصر التي هى آمالنا وأحلامنا فانهضوا بها، وأدوها حق أدائها، فالإنسان الجدير باسم الإنسان هو من أدى واجبه وعرف حقه.

مصر الفتاة تتقدم (تحية من مجلة النذير إلى شباب مصر الفتاة بعد الاختلاف معهم)

مصر الفتاة تتقدم الصفوف

لا يسعني وأنا أكتب هذه السطور إلا أن أبدأها بتحية شباب مصر الفتاة، وتحية زعيمهم الأستاذ أحمد حسين الذين هاجروا في سبيل الله وتركوا أبناءهم وعشيرتهم جهاداً في سبيل ... دفاعاً عن حمى الإسلام والمسلمين.

لقد طالت الهيئات الوطنية والإسلامية في مصر ملأت الآفاق بدعوى الجهاد، والرغبة في الاستشهاد، فلما حان وقت الامتحان لم نسمع من أكثر هذه الهيئات إلا الدعاوى العريضة، ولم نشاهد منها إلا المظاهر الزائفة، إلا مصر الفتاة فقد نجحت في هذا الامتحان، وأثبتت أنها في مقدمة العاملين، وسارت في مصر فيها القليلة في عددها الكثيرة برجولتها ... أقدام ثابتة إلى ميادين القتال ... بل إلى ميدان الجهاد الإسلامي الأكبر.

حقاً لقد اختلفنا في الماضي مع مصر الفتاة في بعض الأمور الإسلامية وما زلنا عند رأينا وجوب الحرص على آداب الإسلام وتعاليمه، باعتبارها أعظم ضمان لنهضة الأمة والحصول على نصر الله.

ولكن لا يسعنا ونحن نرى المثل العملي لإقدام رئيس مصر الفتاة وجنوده، إلا أن نسجل صفحة جديدة في مواقفنا منهم، وإلا أن نعلن تقديرنا لهذه الروح الصادقة ولا غرو، فإن الجهاد يجب ما قبله.

وإنا لندعو الله من الأعماق أن يؤيدهم في جهادهم، وأن يعيدهم سالمين لأوطانهم فما أحوج مصر إلى مثل هذه الروح الصادقة.

* * *

وبعد: فلا يسعنا في هذا المقام أن نتغاضى عما ... أعيننا وهو طلب الكمال والدعوة إليه، وكم كنا نود من الأعماق أن ...

[illegible]

وعجرتهم بشعارهم القومي، الطربوش أو ما يخالف القبعة أو الشريعة التي اعتاد أعداؤنا لبسها

إن مصطفى الوكيل رحمه الله، وهو الذي سميت باسمه كتيبة مصر الفتاة، كان من أشد الناس اعتزازاً بقوميته، وقد طبق بإخلاص مبدأ مصر الفتاة: «احتقر كل ما هو أجنبي وتعصب لقوميتك حتى الجنون». فظل محتفظاً بطربوشه طوال بعثته في لندن، ولقد شاهدته بنفسي وهو يسير مرفوع الرأس يجوب عاصمة الإنجليز. فلا يلق إلا التقدير، ولا عجب، فإن الإنجليز لا يحترمون إلا من يحترم نفسه.

هذه هي سيرة مصطفى الوكيل المؤمن الصادق، والمجاهد الشهيد، وكنا نود أن يترسم شباب الكتيبة التي تحمل اسمه هذه السيرة العاطرة خصوصاً وهم يسافرون إلى بلد إسلامي عربي.

وشباب محمد ﷺ

سيلحقون بهم

ولقد تلقى المركز العام الكثير من خطابات أنصار الدعوة بالقاهرة والأقاليم، يطرح فيها أصحابها رغباتهم للجهاد في سبيل فلسطين، ويطلبون تهيئة الوسائل اللازمة إلى تسهيل سفرهم. وإلى هؤلاء نقول بصراحة إن العقبة الوحيدة التي تحول دون جهادنا هي المادة، وإن مصر الفتاة قد استطاعت تذليل هذه العقبة، وتكفلت لجنودها بمصاريفهم في السفر، وهي حوالي ٢٥ جنيها للفرد الواحد. ومن أجل ذلك قد بدأ شباب سيدنا محمد ﷺ اكتتابهم توطئة لتذليل هذه العقبة.

(١٣)

تهنئة إلى الملك بالانتصار في حرب ١٩٤٨م

الإخوان المسلمون

توجيهات إخوانية

آداب شرقية

احب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول بمناسبة انتصار جنوده المظفرة في

السبت | ٢٢ مايو سنة ١٩٤٨
| ١٣ رجب سنة ١٣٦٧

السنة السادسة

(١٤)

تقرير عبد الرحمن عمار إلى النقراشي باشا
«صورة هذا التقرير بحوزة حفيدة النقراشي باشا د.هدى أباظة، وننشره بإذن خاص منها، فلها كل الشكر»

(١)

حضر الليلة الشيخ حسن البنا الى ديوان وزارة الداخلية وطلب مقابلتي بصفة الافضا* اليها بأمور هامة يرغب في ابلاغها فورا الى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء* ، فلما قابلته حدثنا بأنه قد علم أن الحكومة أصدرت قرارا بحل جماعة الاخوان المسلمين او هي في سبيل اصدار هذا القرار وأنه يرجو أن يحمل الى دولة رئيس الوزراء* بأنه قد عوّل نهائيا على ترك الاشتغال بالشئون السياسية وقصر نشاط الجماعة على الشئون الدينية كما كان الحال في بداية تشكيل جماعة الاخوان المسلمين وأنه يود من كل قلبه التعاون مع دولة الرئيس تعاونا وثيقا مؤيدا للحكومة في كل الأمور وأنه كفيل بتوجيه رجاله في كافة الجهات بالسير على مقتضى هذا الاتجاه ، كما أعرب عن أسفه لما وقع من جرائم ارتكبها اشخاص سبق أنهم انتسبوا على الاخوان المسلمين وراح يترحم على سليم زكي باشا قائلا أنه كان صديقا حميما له وكان بينهما تعاون وثيق وتفاهم تام — ثم تكلم عن دولة النقراشي باشا قائلا انه على يقين من نزاهته وحرصه على خدمة وطنه ومصالحه في كل الأمور . وأنه لو تمكن من مقابلة دولته بعد أن مضت سنتان لم يقابله فيها بسبب جفوة أثارها الوشاة لاقنع دولته بأنه من صالح الحكومة والامة معا أن يبقى للصرح الضخم الذي جاهد الاخوان المسلمون سنوات طويلة في اقامته كما قال أنه يحز في نفسه بل ويزعجه ويؤلمه أن ينهار هذا الصرح على يد دولة النقراشي باشا الحريص على خدمة بلاده

ثم قال أنه اذا قدر أن تمضي الحكومة في ما اعتزمته من حل الجماعة فانه يؤكد أنه ورجاله سوف لا يصدر منهم بادرة تعكر صفو الامن اذ لا يقدم على مثل هذا العمل الا مجنون كما أكد أن الحكومة لو عاونته بعدئذ لضمن للبلاد أمنا شاملا .

٢

وختم حديثه بقوله انه على استعداد للعودة بجماعة الاخوان المسلمين الى قواعدها بعيدا عن السياسة والاحزاب متوفرا على خدمة الدين ونشر تعاليمه بل انه يتمنى لو استطاع أن يعتكف فى بيته ويفسرا ويؤلف مؤثرا حياة العزلة ثم جعل يبكى بكاء شديدا ويقول انه سيعود الى مقره فى انتظار تعليمات دولة رئيس الوزراء داعيا له بالخير والتوفيق .

وكيل الداخلية

٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨

(١٥)

التماس البنا إلى جلالة الملك.

«صورة هذا الالتماس بحوزة حفيدة النقراشي باشا د. هدى أباظة، ونتشره بإذن خاص منها، فلها كل الشكر»

ديوان جلالة الملك

(١)

سري

نمرة ١٦٦٦

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي باشا

رئيس مجلس الوزراء

ديوان جلالة الملك

(١٦٦٦)

(٢)

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

اتشرف بأن أبعث لدولتكم مع هذا - بالاحالة - بالتماس تلقاه الديوان من فضيلة الشيخ حسن البنا ، المرشد العام للاخوان المسلمين .

وتفضلوا يا صاحب الدولة بقبول أسمى عبارات الاحترام ،،،

رئيس ديوان جلالة الملك

[signature]

في ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

الإخوان المسلمون
المركز العام

تليفون : ١٢٤١٢ — ١٨٣٤٩
خصوصي : ......

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

العنوان التلغرافي : الاخوان مصر
رقم القيد : ......

تحريراً في ٤ صفر ١٣٦٨
٥ ديسمبر ١٩٤٨

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك وادي النيل حفظه الله :

أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المتقين وأحيي سدة جلالتكم المجيدة بتحية الإسلام فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته متضرعاً بأصدق آيات الإجلال وأخلص معاني الولاء.

يا صاحب الجلالة :

لقد حرمنا ثمرات جهادنا في فلسطين لا لضعف في جيشنا أو تخاذل في شعبنا أو نقص في عددنا أو جهل بواجبنا ولكن لتحكم السياسة المترددة في الحرب الصارمة وتدخل رئيس الحكومة في شئون القتال وتردده في مواجهة المواقف بما تقتضيه إلى جانب العوامل الأخرى التي لا يد لنا فيها ولكن كان في وسع الحازم اليقظ والقوي الفطن أن ينتفع بها ويستفيد منها .

ولقد انفرد الحاكم العام بالعمل في السودان ينفذ فيه سياسة بريطانيا المرسومة وخطتها الانفصالية المعلومة وأخذ يوجه إلى مصر اللطمة بعد اللطمة وينفذ من برنامجه الخطوة تلو الخطوة والحكومة المصرية تمد له في ذلك وتشجعه على المضي فيه بسياستها السلبية وهو يمعن في عدوانه حتى بلغ به الأمر أخيراً إلى أن يمنع بعثة المحامين من أداء واجبها ويعلن على لسان رجاله أن مصر شيء والسودان شيء آخر وكل هذا يحدث والحكومة المصرية لم تفعل شيئاً بعد .

والعالم كله الآن يا صاحب الجلالة تغلي مراجله بالأحداث الجسام والحروب العظام ويحدث في آفاقه كل يوم شأن جديد لا يفوق أبداً دولة النقراشي باشا على أن يضطلع بأعباء التصرف فيه بما يحفظ كرامة مصر ويصون حقوق هذا الوادي المجيد العظيم . والنزاهة وطهارة اليد لا تكفي وحدها لمواجهة هذه الغمرات المتلاحقة من أحداث الزمن وملمات الغير .

وفي وسط هذه اللجة من الحوادث المتشعبة التي تتصل بحاضر الوطن ومستقبله وكيانه في الصميم يعلن دولة النقراشي باشا الحرب السافرة الجائرة على الإخوان المسلمين .

بحل بالأمر العسكري بحسم تصميم

الإخوان المسلمون
المركز العام

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان التلغرافي : الاخوان ...
رقم القيد : ....
تحريراً في ....

تليفون : ١١٢١١ — ١٨٢١٦
خصوصي : ....

(٢)

ويستعمل بهذه السلطة نفسها بدون اتهام او تحقيق سكرتيرهم العام وبعض أعضاء هيئتهم وما مر الوزارات والمصالح المختلفة بتشريد الموظفين الذين يتصلون بالهيئة ولو بالاشتراك في أقسام البر والخدمة الاجتماعية تطوعياً ونقلهم الى الأماكن النائية والمهاوي السحيقة وما عليهم ان ينقلوا فذلك شأن الموظف المفروض فيه ولكن صدور هذه التنقلات في هذه الصور القاسية التي تحمل معنى الانتقام والاتهام تحرج الصدور وتثير النفوس وتلقي الهم في نفوس رؤسائهم ومرؤوسيهم على السواء.

ويصدر الرقيب العام أمره بتعطيل جريدتهم اليومية الى أجل غير مسمى بحجة لا قيمة لها ولا دليل عليها بل انه لو صحت الأوضاع لكان للجريدة ان تؤاخذ الرقباء أشد المؤاخذة بحرمانهم منها وتعنتهم معها وعدم انصياعهم الى شكاياتها المتلاحقة.

ويتردد على الأفواه والشفاه قرار حل الهيئة ووعيد الحكومة لكل من اتصل بها بالويل والثبور وعظائم الأمور.

وأخيراً يحاول دولة رئيس الحكومة ان يلصق بالاخوان تهمة الحوادث الأخيرة التي لم تكن الا صدى لهذا العدوان من الحاكم في السودان ولجهاد اخواننا السودانيين في جنوب الوادي، ويلقي عليهم تهمة هذا الحادث الأسيف حادث مصرع حكمدار العاصمة الذي كان المركز العام للاخوان المسلمين أول من أسف له وتألم منه اذ كان رحمه الله معروفاً بعطفه على حركتهم ودفاعه عن هيئتهم ومواقفه الطيبة في ساعات المحن الى جانبهم مع حكمة في العمل واحسان في التصرف.

ويحاول دولته ان يتخذ لهذه الحرب التشهيرية تحقيقات لم يتم أمرها بعد ولم يعرف فيها المتهم من البريء الى الآن وان كانت وزارة الداخلية في بلاغاتها الرسمية قد خالفت أمر النيابة وسبقت كلمة القضاء وأعلنت على رؤوس الأشهاد اتهام الأبرياء.

يا صاحب الجلالة :

اسمح ان أجرأ في هذا المقام الكريم فأقول ان هذه المجموعة من الاخوان المسلمين في وادي النيل هي أطهر مجموعة على ظهر الأرض نقاء سريرة وحسن سيرة واخلاصاً لله وللوطن وللجالس على العرش في كل كفاحهم في سبيل دعوة لا

الاخوان المسلمون
المركز العام
تليفون : ٥٤٢٠١ — ١٨٣١٩
خصوصي :

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان التلغرافي : الاخوان مصر
رقم القيد :

(٣)

تحريراً في ١٣٦ / ١٩٤

نحن أبعد ما رسم الإسلام الحقيقي قيد شعرة وأنهم بحكم ايمانهم ومنهاجهم ونظامهم وانتشار دعوتهم بكل مكان في الداخل والخارج أكبر قوة يعتمد عليها من يريد بهذا الوطن الخير ويتمنى له التقدم والنهوض وأكسب ورقة في يد كل عامل لخير البلاد والعباد وان تحطيم دعوتهم والقضاء عليهم وهو ما تستطيعه الحكومة اذا أرادته وصممت عليه ولو في ساعة الأمر والى حين بما في يدها من سلطات عسكرية وما تملك من قوة رسمية ليس من المصلحة في شيء من شؤونها على مرضاة هذا الوطن الحقيقية وقتل للبقية الباقية من روح الأخلاق والجد والاستقامة والطهر علاوة على أن نتائج هذا الموقف في مثل هذه الظروف غير مضمونة ولا معروفة ولا أدري بحساب من يقوم دولة رئيس الحكومة بهذه المهمة ويحمل هذه التبعة الضخمة أمام الله وأمام الناس وفي التاريخ الذي لا ينسى ولا يرحم .

يا صاحب الجلالة :

ان الاخوان المسلمين باسم شعب وادي النيل كله يلوذون بعرشكم ويستجيرون به ويعوذون بعدلكم وهو أمثل ملاذ مطمئنين الى أن تتعطفوا جلالتكم بتوجيه الحكومة الى تجنب أسباب الأزمة وإطفائها من أجواء الحكم بما تفرضه من عسير أمر حتى خطيرها ولعله لعز الرأي الأعلى والله نسأل أن يتم عليكم نعمته التأييد والتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المخلص
حسن البنا
المرشد العام للاخوان المسلمين

(١٦)

حسن البنا يحرض على قتال الأقليات – القمص سرجيوس – المنارة المصرية

حسن البنا يحرض على قتال الاقليات (٣)

بعد أن ملح جيوبه بعلم الحكومة!

يقول الشيخ السوء حسن البنا في تفسيره لسورة التوبة: «وأهل الكتاب يقاتلون كما يقاتل المشركون تماماً اذا اعتدوا على أرض الاسلام أو حالوا دون انتشار دعوته.. وأما أهل الكتاب فقد رخص الاسلام في أمرهم وأجاز الاكتفاء بأخذ الجزية منهم فمن تعهدوا بادائها ورضوا بها فقد وجب ان يرفع عنهم السيف ومثلهم في ذلك المجوس والصابئون والمشركون من غير العرب والوثنيون»

أرأيتم أيها الناس كيف ان شيخ السوء يسوى بين اهل الكتاب وبين المشركين والوثنيين في قتالهم وأخذ الجزية منهم؟ وهو اذ يقول هذا القول يخالف آيات القرآن الصريحة التي تجعل فرقاً عظيماً بين أهل الكتاب وغيرهم من المشركين بل وبين أهل الكتاب وبعضهم بعض. فقد جاء في سورة آل عمران: «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين». وما جاء في سورة المائدة قوله: «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون». بل هناك في القرآن ما يسوى بين صوامع النصارى وبيعهم وبين مساجد المسلمين قوله: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً»

هذه نظرة القرآن إلى النصارى أهل الكتاب فكيف يجوز الشيخ حسن ان ينظر الى أهل الكتاب نظرته الى المشركين والوثنيين!! ولكن لا عجب اذا خالف الشيخ حسن البنا آيات القرآن الصريحة وراح يفسرها حسب هواه تفسيراً يخرجها عن معناها لانه قد سبق وأفتى لمصلحة صهره عابدين «بان القبلة والضمة والنظرة من قبيل اللمم وان فاعلها يدخل ضمن المحسنين» الأمر الذى استحق لاجله صفحات علماء الاسلام الذين هالهم جرأة هذا الفاسق المستهتر بالدين والأخلاق فراحوا يطلبون على صفحات جريدة النداء التي نقلنا عنها اقوال سبعة من كبار العلماء في عدد المنارة السابق وفي مقدمتهم فضيلة مفتى الديار المصرية الذى قال عن حسن البنا الذى أفتى هذه الفتوى الاباحية «بانه احق يدين نفسه بنفسه قبل ان يدينه الآخرون»

فلا عجب يا شيخ السوء ان تستبيح دماء الاقليات واموالهم بفتاواك وقد استبحت الأعراض والشرف والفضيلة تقدمها ذبائح تحت رجلى صهرك عابدين

ولعل في فتاوى حضرات علماء المسلمين التى نشرت ضدك في الصحف ما يحمل المسلمين في بلاد الشرق الى ان يضربوا باقوالك عرض الحائط ويدوسوا فتاواك وتفاسيرك تحت موطيء نعالهم فلا يستمعوا لك في ما تقول او تحرض لانك اصبحت غير ذى ثقة في أمور الدين بعد ان اتخذت الدعوة الى الخير وسيلة لارتكاب المحرمات وهو من اشد ما يمقته الدين الأمر الذى فيه تسخير المظهر الدينى للحصول على الشهوات وهو باب في الوقت نفسه من ابواب افساد الأخلاق كما جاء عنك في رأى فضيلة الاستاذ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء

وانا نسأل الله الذى الهم جماعة الاخوان المسلمين حتى اكتشفوا دجلك وتهريجك وشرورك ومفاسدك فاعلنوا براءتهم منك وكشفوا للناس خفاياك وفضائحك بصور زنكوغرافية عجزت عن الرد عليها مع ما فيها من فضائح كانت كافية ان تقصيك الى هاوية سحيقة. كما ألهم الشعب المصرى ان يلجأ الى علماء الدين الاسلامى يستفتونهم في امرك وفي فتاواك فلم يتأخر اصحاب الفضيلة عن ان يدلوا تعاليمك ويشجبوا تفاسيرك ويجردوك من كل روح دينى أو أدبى او اخلاقى

نسأله كذلك ان يلهم الحكومة الحاضرة ان تتبرأ منك فلا تساعدك على القيام على رجليك بعد ان هدمتك افعالك وردى الشعب المصرى بانقاضك الى خرائب سدوم وعامورة فتعود مياه السلام بين الناس الى مجاريها ويدرك كل انسان ان للكنانة رباً يهلك كل من يفسد بين بنيها مثل ما افسدت ايها المفسد العام!

(يتبع)

(١٧)

حسن البنا يحرض على قتال الأقليات - القمص سرجيوس - المنارة المصرية

(١٨)

سلامة موسى والإخوان

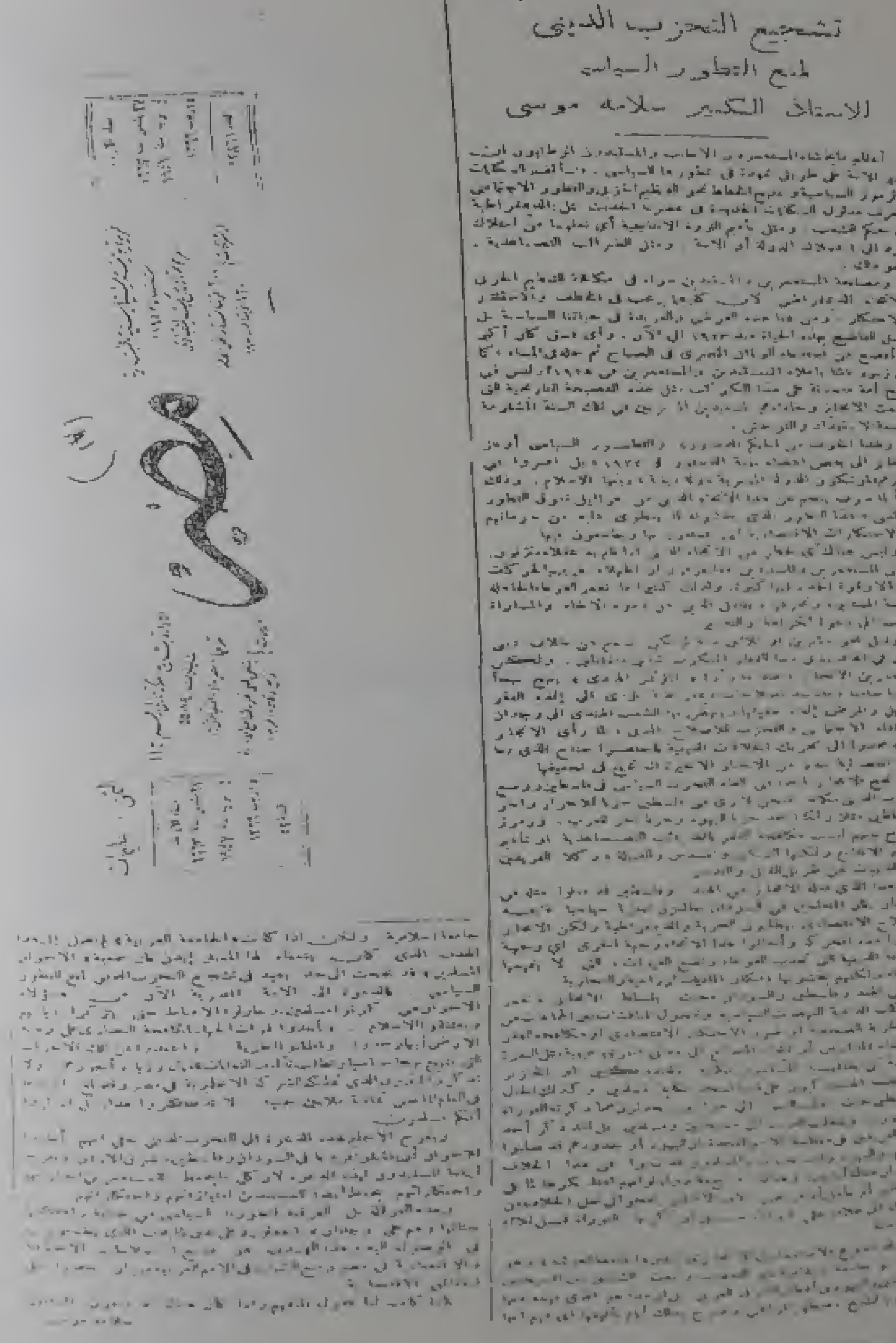

تشجيع التحزب الديني
لمنع التطور السياسي
للأستاذ الكبير سلامة موسى

(١٩)

سلامة موسى والإخوان

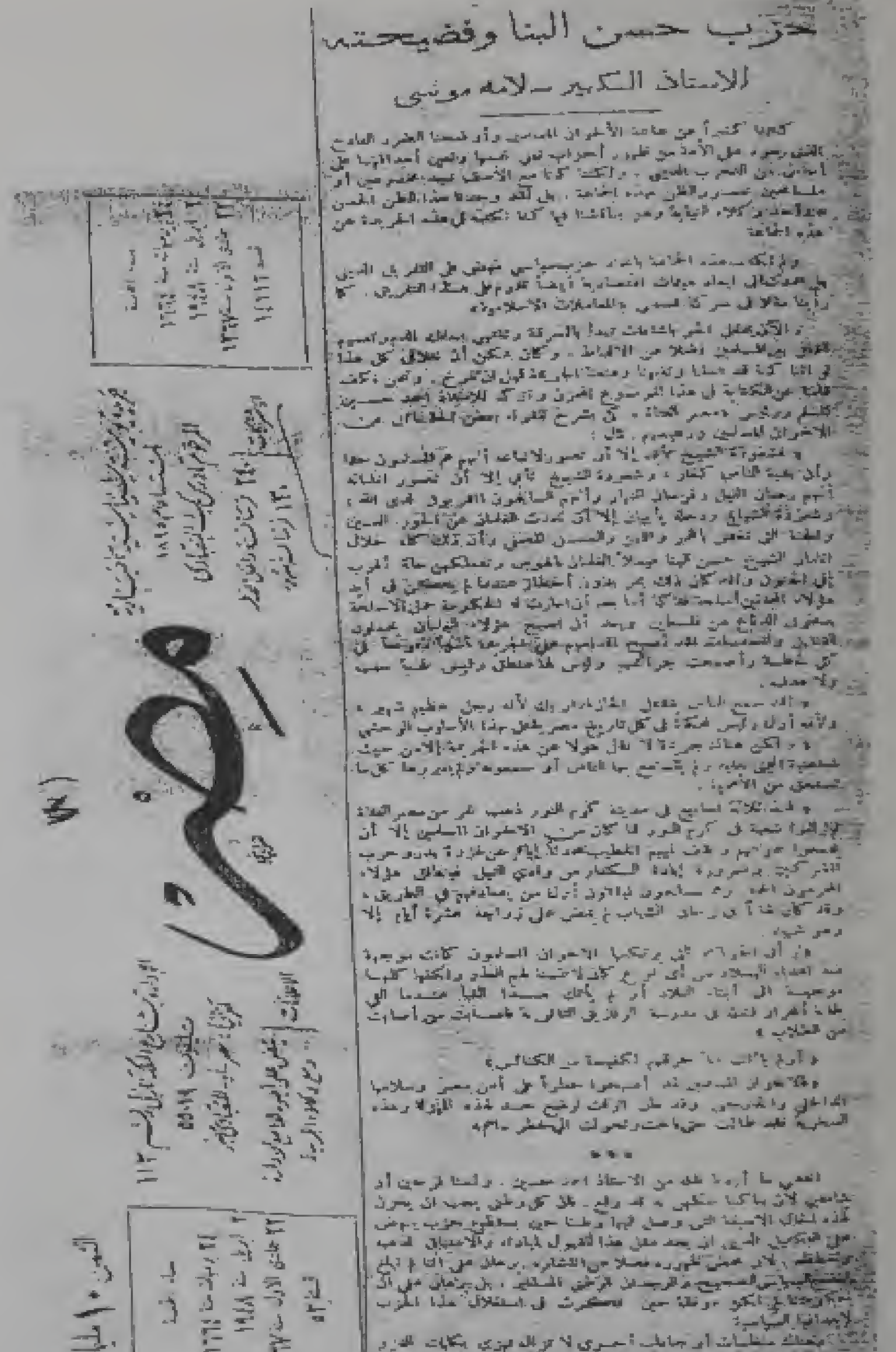

مصر

الثمن ١٠ مليمات

حزب حسن البنا وفضيحته

للأستاذ الكبير سلامه موسى

سلامه موسى

(٢٠)

سلامة موسى والإخوان

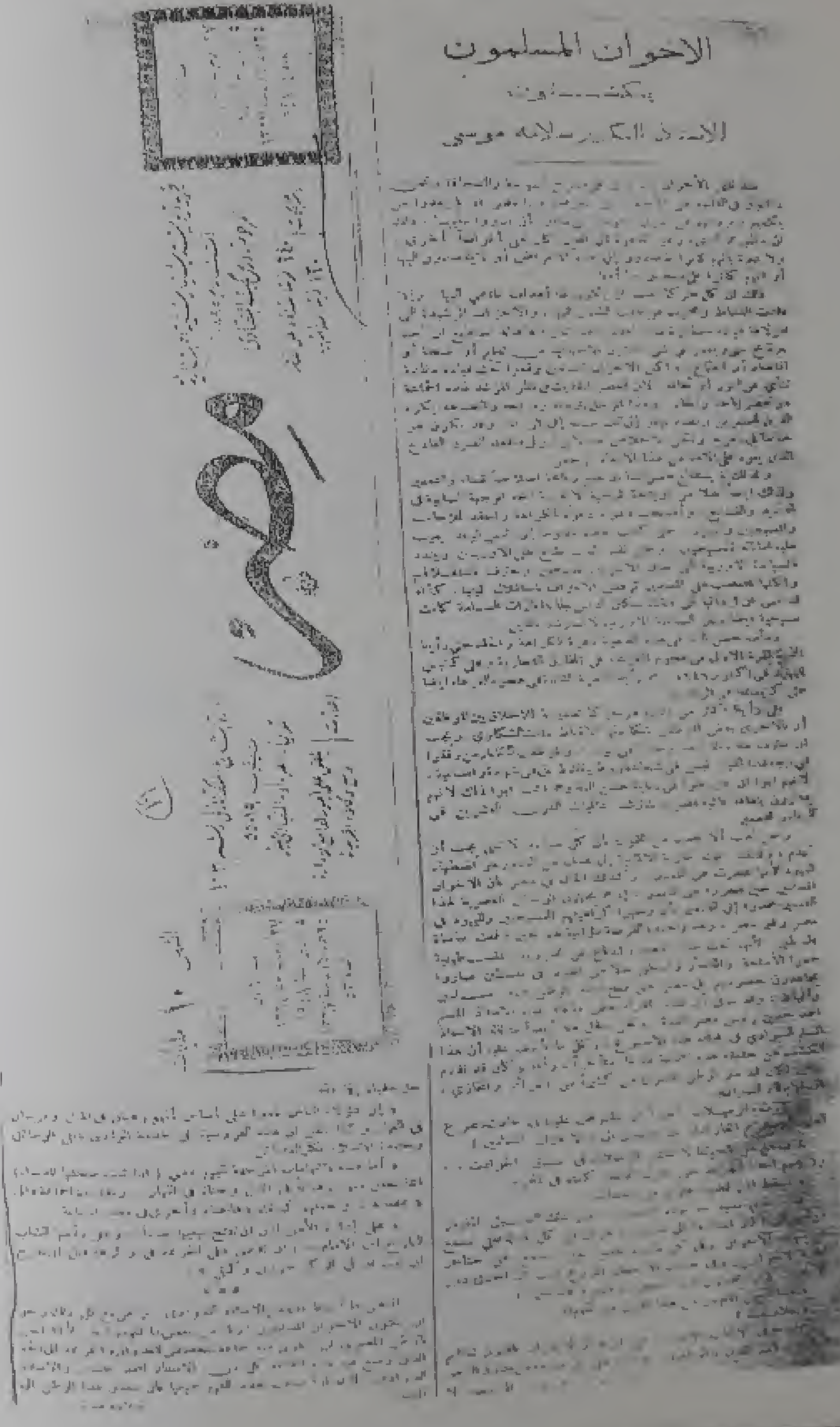

الإخوان المسلمون

سلامة موسى

(٢١)

سلامة موسى والإخوان

الاخوان المسلمون

وشعارهم المخادع

الاستاذ الكبير سلامه موسى

[illegible]

مصر

[illegible]

المحتـــويات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول: صعوبة الكتابة عن حسن البنا	١١
الفصل الثاني: أول لائحة تستبعد السياسة نهائيًا وفى الثانية صارت السياسة الأصل	٢٣
الفصل الثالث: التكفير فى تعاليم المرشد	٣٣
الفصل الرابع: طريق الدم	٤١
الفصل الخامس: حرب فلسطين	٦٥
الفصل السادس: القمص ودولة عم حسن	٨٣
الفصل السابع: الجميل السعودى	١٠٧
الفصل الثامن: إلى السفارة الأمريكية	١١٧
الفصل التاسع: حسن البنا والملك فاروق	١٣٥
الفصل العاشر: نقيض الأفغانى ومحمد عبده	١٤٧
الفصل الحادي عشر: أنا الدعوة والدعوة أنا	١٦٣
الفصل الثاني عشر: من الشهيد ومن القتيل	١٧٧
الفصل الثالث عشر: الغرق فى بحيرة العسل	٢٠٧
الملاحق	٢٢٣

حسن البنا

الذى لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الأخوان المسلمين، بين
ومريديه لقب " الإمام الشهيد " بألف لام التعريف، وهو اللقب
وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي:
أنصاره هو كذلك .. الرجل الملهم .. النوراني .. الرباني ..
القرآني، وهى صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقترب به
القداسة والعصمة.

في المقابل أطلق خصوم حسن البنا، وهم كثر، عليه لقب " راسبو
والمعنى أنه عندهم رجل الشرور والمفاسد، وأنه توارى خلف قناع
والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

ترى أين يقع حسن البنا بين هذين النقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام
الشهيد أم راسبوتين..؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل
حوله، معتمداً على أعمال حسن البنا ورسائله وخطبه، ولأن مؤسس
جماعة الأخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تنظير.. والفعل عنده
يسبق الكلمة ويتقدمها، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي
دوَنها من اقتربوا منه أو تعاملوا معه.

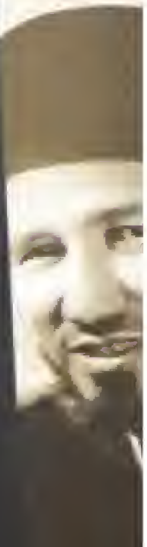

MADBOULY BOOKSHOP — مكتبة مدبولى

6 Talat harb SQ. Tel:25756421 — ٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

حسن البنا

الذى لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الأخوان المسلمين، بين أنصاره ومريديه لقب "الإمام الشهيد" بألف لام التعريف، وهو اللقب الذي سبق وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي؛ البنا بين أنصاره هو كذلك .. الرجل الملهم .. النوراني .. الرباني .. الرجل القرآني، وهى صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقترب به من درجة القداسة والعصمة.

في المقابل أطلق خصوم حسن البنا، وهم كثر، عليه لقب "راسبوتين"، والمعنى أنه عندهم رجل الشرور والمفاسد، وأنه توارى خلف قناع الورع والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

ترى أين يقع حسن البنا بين هذين النقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام الشهيد أم راسبوتين..؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل حوله، معتمداً على أعمال حسن البنا ورسائله وخطبه، ولأن مؤسس جماعة الأخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تنظير.. والفعل عنده يسبق الكلمة ويتقدمها، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي دوّنها من اقتربوا منه أو تعاملوا معه.

مكتبة مدبولى
MADBOULY BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت: ٢٥٧٥٦٤٢١
6 Talat harb SQ. Tel:25756421
www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

حسن البنا

الذى لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الأخوان المسلمين، بين أنصاره ومريديه لقب " الإمام الشهيد " بألف لام التعريف، وهو اللقب الذي سبق وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي؛ البنا بين أنصاره هو كذلك .. الرجل الملهم .. النوراني .. الرباني .. الرجل القرآني، وهى صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقترب به من درجة القداسة والعصمة.

في المقابل أطلق خصوم حسن البنا، وهم كثر، عليه لقب " راسبوتين "، والمعنى أنه عندهم رجل الشرور والمفاسد، وأنه توارى خلف قناع الورع والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

ترى أين يقع حسن البنا بين هذين النقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام الشهيد أم راسبوتين..؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل حوله، معتمداً على أعمال حسن البنا ورسائله وخطبه، ولأن مؤسس جماعة الأخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تنظير.. والفعل عنده يسبق الكلمة ويتقدمها، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي دوّنها من اقتربوا منه أو تعاملوا معه.

مكتبة مدبولى
MADBOULY BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١
6 Talat harb SQ. Tel:25756421
www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com